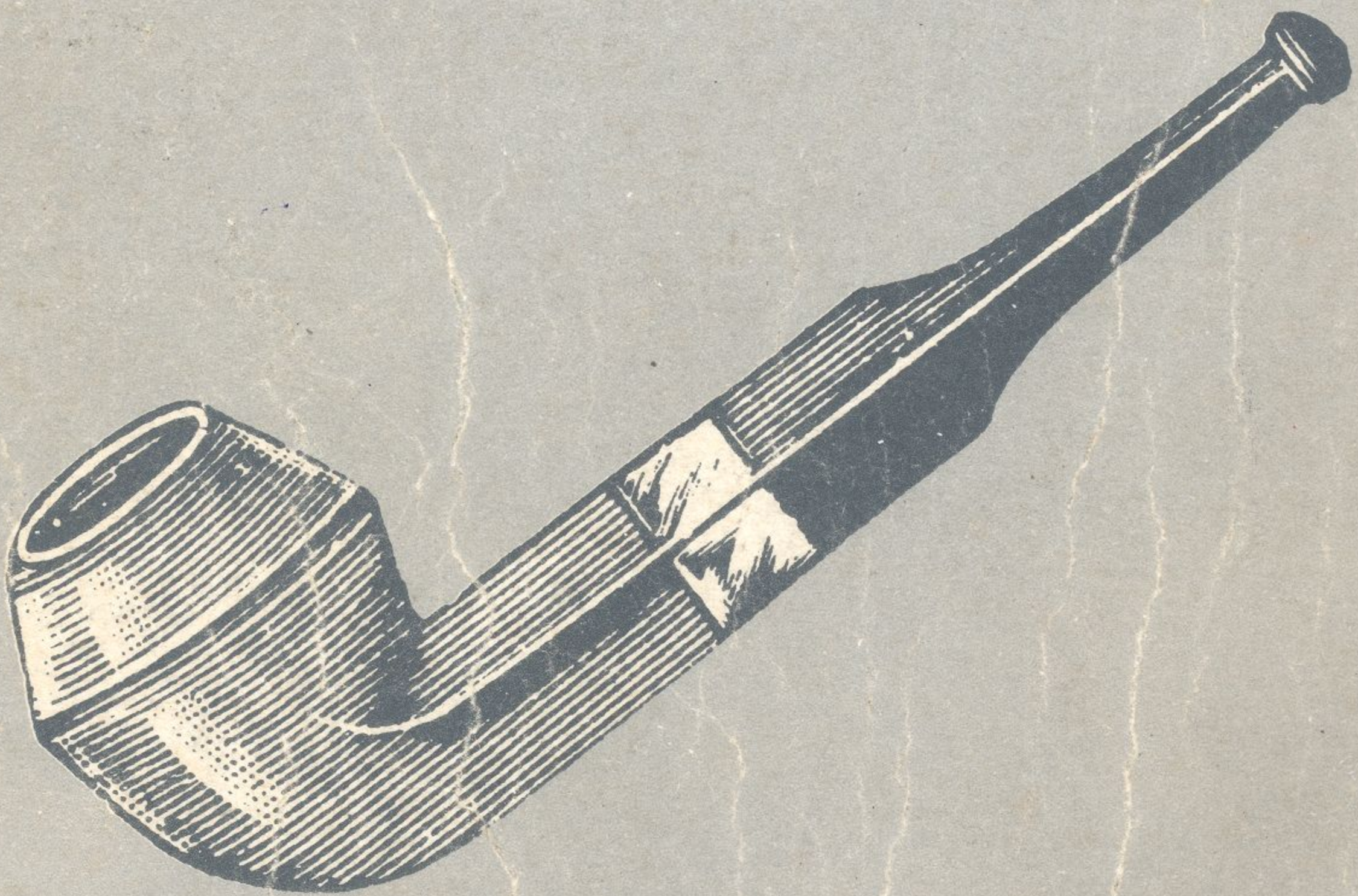


كتاب الأطلال رقم ١٨

AL-AHRAM
5.500

مذكرات محمد عبد السلام الزيات

تقديم د. فؤاد مرسى



الأطلال

القناع والكفيلة

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة المرحوم الأستاذ/محمد سعيد البسيوني

الإسكندرية

کتاب الأقالی رقم ۱۸۳

فبرایر ۱۹۸۹

كتاب الأقاليم ١٨

ثقافة الهدم والبناء

رئيس مجلس الإدارة

لطفي واكد

رئيس التحرير

صلاح عيسى

المشرف الفني

وجيه الشربتلي

مجلس التحسين

- د. ابراهيم سعد الدين
- ابو سسيف يوسف
- حسين عبد الرزاق
- د. عبد العظيم انيس
- عبد الفغار شكر
- عبد الهادي ناصف
- د. محمد احمد خلف الله

كتاب الأهالي سلسلة كتب تصدرها جريدة الأهالي

لسان حال حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

تصميم الغلاف : الفنان محي الدين اللباد .

الآراء الواردة في كتب السلسلة لا تعبر بالضرورة عن رأي التجمع

المراسلات : ٢٣ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

ثلاثة أحجار صغيرة

ارتفعت اسعار خامات الطباعة - وبخاصة الورق - ارتفاعا مذهلا خلال السنوات الاخيرة ، بشكل مضطرب ، وبمنحني صاعد ، قفزت أسعار الكتب والمطبوعات ، محدودة الدخل ، التي تعيش على عملها ، بينما أصبحت هذه الكتب والمطبوعات ذاتها ، متاحة لبعض الفئات الاجتماعية التي ربما لاتعنيها القراءة الجادة ، وان كان اقتناء الكتب يمثل لها بعض الواجهة الاجتماعية التي تجرّص على استكمال مظاهرها !

ويأتي ارتفاع اسعار الكتب والمطبوعات ، ليضيف تعقيدا جديدا ، الى العقدة الثابتة في « الحالة العربية » وهي الامية الالفبائية ، التي ماتزال تعزل ٦٠٪ - على الاقل - من المواطنين العرب ، عن سوق القراءة ، وتدفعهم لمقاطعة الثقافة المكتوبة ، بكل أشكالها ، لسبب بسيط هو انهم لايفرقون بين الالف وكوّر الذرة !

ثم جاءت « الحقبة النفطية » بكل خبراتها العميمة ، وكان من بينها ، تراجع الثقافة ، والمعرفة كقيمة خلقية ، شخصية ، او اجتماعية ، او كاساس محدد للقيمة ومانح للمكانة ، ضمن التراجع العام بقيمة العمل ، بعد ان انتقلت الامة لتعيش على « الربيع » وليس على « الجهد » وهو ما نقل الثقافة الى خانة « الاعداء » ، لجحافل الطفيليين الذين برزوا على سطح المجتمع ، واصبحوا سادته ، ومحددى قيمة وتقاليدهم فانتقلوا يسخرون منها ، ويزورون الذين يتعاطونها !



وما يدعوا للدهشة أن ذلك جميعه لم يؤد الى نقص الناشرين الى زيادة غير منطقية لأعدادهم .. رغم النقص الواضح في النصوص

.. فى بحيرة رأكدة

صلاح عيسى

لصالحه للنشر ككتب ، وتلك كلها مؤشرات على أن هناك عوامل
مصنوعة تسود سوق النشر ، فالقراء ينكمشون والكتب تزيد ،
والناشرون يتناسلون كالارانب

من هذه العوامل ، انه كان لابد للعصر الطفيلى ، أن تكون له
مطبوعات طفيلية مثله ، فيها كل خصائصه ، وتستهلك ماله من
قوائم نقدية ، لم يتعب فى تحصيلها ، وهذا هو مايفسر ذلك
الانتشار الذرى لمطبوعات تهدد الورق - المرتفع السعر - وخامات
الطباعة فيما لايفيد ، من كتب البخت وقراءة الطالع ، الى كتب
الجنس الرخيص ، الى الكتب المنسوبة زورا الى التراث والى الدين ،
الى كتب الاثارة السياسية ، والكتب الصحفية السطحية التى تعيد
تجميع ما نشر من قبل ، بخفة عقل وخفة يد ، الى ذلك التأليف المترثر
عن كرة القدم ..

من هذه العوامل ايضا : حجم التواجد الحكومى فى سوق
النشر .. وهو حجم اتسع خلال السنوات الثلاثين الماضية ، حتى
اصبحت المطبوعات الرسمية او شبه الرسمية ، تحوز قصب السبق
فى احصاءات المطبوعات ، وبعد ان كنا نشكو من عدم اهتمام
الحكومات ، بدعم الكتب والمطبوعات اصبحنا نشكو من التواجد
الرسمى الكثيف فى سوق المطبوعات ، فالحكومات العربية تستهلك
لحسابها من الورق افخر - واغلى - انواعه ، وتحوز من المطابع -
وادواتها التكميلية - احدثها وافخمها ، وتستخدم هذا وذاك ، فى
اصدار مطبوعات دعائية قليلة القيمة والتأثير ، فاذا ما انتقلت الى
نشر الكتب غير الرسمية ، نشرت اعدادا هائلة من الكتب ، تفتقد فى
اغلب الاحيان ، الى خطة واضحة ، وفلسفة محددة ، ورؤية
متسقة ، بحيث لاتستطيع ان نعرف - تحديدا - ماذا تريد بهذا

التواجد في سوق النشر ، وان كنا نستطيع ان نعترف ما لا تريد وجوده ، وما تسعى لطرده من جبهة الفكر ، ومن سوق النشر !



ولان النشر صناعة تستهدف الربح ، وتسير طبقا لقانون السوق الرأسمالية ، فمن المنطقي ان يقود قانون الربح المستثمرين في صناعة النشر ، الى ما يقود غيرهم من المستثمرين في كل ما هو صناعة رأسمالية .. من السعي إلى مغابئة غرائز المستهلكين ، او خلق حاجات غير حقيقية لديهم ، بحثا عن مزيد من الربح . ورغم ذلك ، فان النشر - كصناعة - يحوز مكانه خاصة في العملية الانتاجية الرأسمالية عموما - والطفيلية بشكل أخص - بحكم أنه صناعة تسهم اسهاما مباشرا في تكوين « الوعي » وتوجيه الرأي العام وهو ما يجعل للحرب الاقتصادية على جبهته قواها النوعية ، التي ان الاوان لكي تدرسها قوى الاستنارة والتقدم ، التي تكاد تغيب عن كثير من القضايا المحورية ، بحكم شراسة ما توجهه من هجمات ، واتساع ما تواجهه من قضايا ، وتعقيد ما يحيط بها من ظروف ..

لكن ذلك كله ، ليس مبررا للتقاعس او للتردد ، ذلك ان قضية النشر ، هي في جوهرها ، قضية ادوات الحرب على جبهة الوعي . التي لا بد وان تأخذ مكانها اللائق بها في سلم اولويات اليسار العربي عموما ، واليسار المصري .. خصوصا

لقد ان الاوان لكي نفكر جميعا - وبصوت عال - في البحث عن اجابات لعلامات استفهام كثيرة .. منها ..

هل تستطيع دور النشر التقدمية ان تعمل معا ، وان تنسق جهودها على هذه الجبهة الهامة .. مع احتفاظ كل منها باستقلالها المالي .. والاداري .. والى حد ما بتوجيهها الفكري . ١٩

وهل يكون ذلك بأن تخطط لعملها ، وتقسم ادوارها ، لتتكامل بدل ان تتنافس ، فتنحصر كل منها - مثلا - في نوع معين من الاصدارات [الابداع الادبي - الدراسات الانسانية - المعارف

هذه الخواطر عن رجل زائف

كنت ممن شملتهم حملة السادات في ٣ سبتمبر سنة ١٩٨١ ، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يأمر السادات فيها بإلقاء القبض عليّ ، واكتشفت بعدما يزيد على الشهرين من سجنى أن التهمة الموجهة إلى هي العمالة للسوفيت وتكوين تنظيم يتعامل مع السوفيت ودول الرفض ومنظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات ، كما اكتشفت أن التنظيم الموهوم يضم أشخاصا من أبرز وأشرف رجال وسيدات مصر ، لا يجمع فيما بينهم سوى معارضة كامب ديفيد وكل ما يترتب عليها من نتائج ، ومحاولة تكوين جبهة وطنية عريضة تتصدى لمعارضة سياسة السادات الداخلية والخارجية . ولم تكن المرة الأولى التي يحاول السادات فيها تلفيق تهمة العمالة لى . وقد أسقط النائب العام هذه التهمة ، كما أسقط تهمة تكوين تنظيم عنى وعن زملائي وزميلاتى من الوزراء السابقين والمحامين والصحفيين وأساتذة الجامعات .

وقد جاء إسقاط هذه التهمة الموجهة إلينا بمثابة إدانة كاملة لعصر السادات وللوسائل القذرة التى استخدمها لتلويث معارضيه . لم يكتف السادات بإخضاع بيتى وبيت شقيقتى الاستاذة الدكتورة لطيفة الزيات لأجهزة الإستماع والتصنّت والتصوير متتبعاً لثلاث سنوات ، من ١٩٧٩ إلى ١٩٨١ لأدق تفاصيل حياتنا وحياة أصدقائنا وزوارنا ، بل استخدم لمدة ثلاث وسبعينوات من ١٩٧٩ إلى ١٩٨١ أحدث وسائل المونتاج لاختلاق أدلة الاتحاد الاشتراكي هذه المجموعة المتميزة واللامعة والتى نتشرف بصداقتها ورمالقتها .

وقد سجل الاستاذ الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله واقعة تزيف عن طريق المونتاج فى محضر التحقيق معه أمام المدعى الاشتراكى وفى حضور محاميه ووصف العملية كلها بأنها ووترجيت صغيرة وحقيرة ، وانها تشكل فضيحة تدين من دبرها ولا تدين من أتهموا فيها . اما انا فقد استعرت قولاً لشيخ القضاة فى مصر عبد العزيز باشا فهمى فى وصفه لأحداث تعذيب أحد ضباط شرطة أخطاب - دقهلية لأحد المواطنين إبان عهد صدقى باشا فى الثلاثينيات بأنها « إجرام فى إجرام »

ولأعرف على وجه التحديد متى بيّت السادات تلفيق تهمة العمالة لى وإن كنت على ثقة من أن هذه النية توفرت لديه منذ زمن طويل .

وقد جمعتنى علاقات عمل بالسادات فى الستينيات فى ظل حكم عبد الناصر وكنت مديراً لإدارة الأبحاث فى مجلس الأمة وكان هو وكيلاً للمجلس ، وكنت أميناً عاماً لهذا المجلس وكان هورئيساً فى فترة لاحقة ، وفى سنة ١٩٦٩ كنت مقرراً للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى . ثم مقرراً للجنة السياسية فيه ، وكان هو أميناً لنفس اللجنة ، وتوطدت بالتدريج العلاقات بيننا فى الستينيات بحيث كان يعتبرنى فى منزلة الاخ والصديق .

وفى السبعينيات اختارنى السادات بعد فترة من تعيينه رئيساً للجمهورية وقبل أحداث ١٥ مايو ، وزيراً للشئون مجلس الأمة ، ثم أعاد تعيينى فى هذا المركز بعد هذه الأحداث إلى جانب تعيينى مستشاراً سياسياً له ، وعهد إلى بالاشراف على إعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى العربى وعقد المؤتمر القومى العام . وفى أعقاب تشكيل الإتحاد الإشتراكى إنتخبتنى لجنته المركزية سكرتيراً أول لها ، واستمر احتفاظى فى ذات الوقت بمنصب المستشار السياسى للسادات واستوعبنى العمل الجماهيرى لفترة فى إتجاه معين من الإعداد للمعركة مع العدو الصهيونى ، واتجاه إرساء قواعد

الديمقراطية تطبيقاً وممارسة داخل الاتحاد الاشتراكي ، مع اعداد وإقرار دستور دائم يضمن استمرار الخطوط الرئيسية لسياسة الدولة خارجياً وداخلياً ، كما يضمن ترسيخ أسس الديمقراطية الإجتماعية والسياسية .

وفي ختام جلسة من جلسات اللجنة المركزية أعلن السادات أنه في حاجة الى « الزيات » في عمل تنفيذي ، وتسوهم البعض ان هذا تعبير عن المزيد من الثقة في شخصي وأنه عمل جديد يضاف إلى عملي كالسكرتير الأول المنتخب للجنة المركزية ، غير أن السادات كان قد عقد النية على استبعادى من الاتحاد الاشتراكي ، وأصدر قراراً بتعيين سيد مرعى بديلاً عنى ، مخلصاً بمبدأ الانتخاب الذى نص عليه صراحة نظام اللجنة المركزية ، ثم تولى هذا المركز بالتعيين من بعده « حافظ غانم » و « رفعت المحجوب » ليؤدى كل منهما دوره في قبر الاتحاد الاشتراكي حتى أجهز عليه مصطفى خليل آخر أمين عام للجنة المركزية .

ولم يلبث قرار تعييني نائباً لرئيس الوزراء في وزارة عزيز صدقي أن صدر ، وقبلت المنصب بعد تردد .. لم أشأ أن اتخلي عن وزارة عزيز صدقي وهى تخوض المعركة الأخيرة في وقف سياسة الردة وفي الحفاظ على منجزات ثورة ٢٣ يوليو ، وفي الدفاع عن الصناعة المصرية والقطاع العام .

وقضيت في العمل التنفيذى فترة اصبت خلالها بجلطة في المخ عولجت منها طويلاً بين القاهرة ولندن ، واستقلت مع وزارة عزيز صدقي التى يؤرخ الآن لخروجها من الحكم بانتهاء حقبة من السياسة الداخلية والخارجية ، وبداية اخرى وصلنا بها الى ما وصلنا إليه الآن . على أن استبعادى من العمل الجماهيرى في الاتحاد الاشتراكي وبهذه الصورة المفاجئة كان بداية النهاية في علاقتى الوطيدة بالسادات ، إذ لم يجرؤ ان يواجهنى بقرار

الاستبعاد قبل اتخاذه ولم يجرؤ على مقابلي على انفراد بعد اتخاذه القرار تهرباً من مسئولية تفسير اسباب اتخاذه ، وتلك كانت طبيعته كما سنرى فيما يرد من احداث في هذا الكتاب .

ولم يكن قرار الاستبعاد مفاجئاً لي ، وكان مفاجئاً لي في نفس الحين . فقد بدأ الخلاف بيني وبين السادات في العديد من النقاط بمجرد ان عينت وزيراً ومستشاراً سياسياً له ، وتزايد هذا الخلاف على مر الأيام ، وأبدت رأيي في هذا الخلاف واضحاً وصريحاً ، وأدليت بالنصيحة والمشورة التي اعتقدت ان فيها صالح البلد ، وتوهمت ان فيها صالح السادات . وكنت على ثقة أنني اؤدي واجبي على افضل وجه كسكرتير اول للجنة المركزية وكمستشار سياسي للسادات .

كنت ادرك ان بيني وبين السادات خلافاً ، ولكن لم أع في ذلك الحين ان هذا الخلاف خلاف جوهري ، يحتم على كل منا ان يسير في طريق معارض لطريق الآخر . كنت أعرف السادات - المتحمس لكل خطوة من خطوات عبد الناصر ، وكل إنجاز من إنجازات ثورة ٢٣ يولية داخلياً وخارجياً . ولم أكن أعرف السادات الذي يخطط بصبر وإناة وبالتدريج لنسف كل منجزات الماضي وللسير في طريق يغيّر كل التغيير ذلك الطريق الذي اختطه عبد الناصر .

ولو حاولت التزلف قربي إلى السادات بعد خروجي من الوزارة ، أو إكتفيت حتى بالتزام الصمت لما تربص بي السادات ولا لفق لي الاتهامات ولكن كانت قناعتي أن أصحاب المبادئ لا يتزلفون ، ولا يلتزمون حتى الصمت وبهذه القناعة إلتزمت ، وبهذه القناعة عانيت .

وقد انتقلت من الوزارة إلى موضع المعارضة في مجلس الأمة حيث كنت عضواً منتخباً عن دائرة دمياط ، وعارضت فيما عارضت سياسة إنشاء البنوك الأجنبية ، وتمليك الأراضي للأجانب وتفكيك القطاع العام ، والعدول عن سياسة التخطيط . وكنت أول من بدأ

حملة على سوء توزيع الدخل في مصر وتضخم الثروات وزيادة عدد المليونيرات زيادة فلكية ، وهي حملة فسر لها السادات أيامها بأنها حملة موجهة الى أسرته ، وعلق عليها أكثر من مرة في خطبه مضيقاً على صفة الماركسية ، وأنا الذي كنت معاونه الأول لمدة تزيد على العشر سنوات ، وفاته أن يعرف عنى هذه الصفة .

وبعد نهاية فترة مجلس الأمة اخترت أن ادخل انتخابات ١٩٧٦ معارضاً في دائرتي دمياط ، رغم العروض التي توالى على من منبر الوسط أو حزب السادات . وقد اشتركت أجهزة السادات الامنية والتنفيذية والدينية والاعلامية في معركة الانتخابات كما لو كان السادات هو شخصياً المرشح ضدى في هذه المعركة وحين تعادلت مع مرشح حزب الوسط وتأتى أن تجرى إنتخابات إعادة بيننا تحولت محافظة دمياط إلى محمية تحتلها قوات الأمن المركزى المسلحة بالدروع والمدافع ، وتمركز في دمياط الشيخ بيصار وكيل شيخ الأزهر يدعو إلى إسقاطى ، ونشطت وزارة الداخلية والحكم المحلى بالتزوير والرشوة ، وخصصت الصحف اليومية المقالات والإفتتاحيات اليومية بهدف إسقاط الزيات . وفي هذه المرحلة بالذات تبدت نية السادات في تلفيق تهمة العمالة لى ، أن كرر بوق من أبواقه ، هو موسى صبرى ، هذه التهمة في أكثر من مقال إفتتاحى في أخبار اليوم وفي أخبار مختلفة ، تزعم أن الروس قد أقاموا في دمياط غرفة عمليات بهدف انجاحى ، وانهم يوزعون الثلاجات والأدوات الكهربائية على الناخبين ، وكانت الاختلاقات مضحكة ومن رية لحد لم يدفعنى الى محاولة تكذيبها ، وشعب دمياط هو الكفيل بالتكذيب ، وكانت هذه الاختلاقات ترفع اسمى بين الناخبين الى حد جعلنى لا اهتم بها . وانتصرت أجهزة السادات في المعركة ، واعلن انتخاب مرشح حزب الوسط ، ولكن حصولى على احد عشرة الف صوت في هذه الانتخابات رغم التهديد والوعيد والتشريد بقى كالشوكة في حلق السادات .

ومع زيارة السادات الاولى لاسرائيل ، نزلت بثقل معارضا لهذه الزيارة ومعارضاً لكل ما ترتب عليها من اتفاقيات ومعاهدات ، ثم لعمليات تطبيع العلاقات ، ونشطت في تنسيق معارضتي مع المعارضين لهذا الاتجاه ، سواء في مجموعة المصريين والائتلاف الوطنى من مختلف الاتجاهات السياسية او في نشاطات حزب التجمع الوجدوى .

وشرعت في إعداد كتاب بعنوان « مصر إلى أين » « دراسات وخواطر في الدستور الدائم (١٩٧١) » أبين فيه مدى تجاوز سياسة الدولة لهذا الدستور ، واحذر فيه من السير في الطريق الذى كاد يؤدي بمصر الى الخراب الاقتصادى والسياسى، وما إن تمت طباعة الكتاب حتى ضبط بمعرفة أجهزة الامن في اواخر شهر اغسطس سنة ١٩٨٠ .

وفي شهر اكتوبر سنة ١٩٨٠ داهم البوليس منزلى بدعوى ضبط اصول الكتاب والقى القبض على ، وواجهنى المحقق بأسئلته عن نشاط الائتلاف الوطنى ولم يسألنى فى شيء عن الكتاب ، وافرج عنى فى منتصف الليل اثر الضجة التى اثارها القبض على داخليا وعلى مستوى الاذاعات العالمية ، ورغم ان الاشاعات التى روجتها أجهزة الأمن فى كواليس أجهزة الاعلام اشارت الى ان القبض على لم يكن للحفاظ على اصول الكتاب بل للاستجواب فى تهمة تخاير ، ورغم أن هذا النبأ قد تسرب الى بعد الافراج عنى لم تعلق التهمة قطبى نفسيا ولم آخذ هذا الكلام مأخذ الجد .

وثناء التحقيق معى بعد انقضاء ثلاثة شهور من القبض على فى سبتمبر ١٩٨١ اتضحت الحقيقة ، فقضية التخابر مسجلة ضدى فى النيابة منذ ١٩٧٩ ، حيث بدأت عمليات التصنت والاستماع على منزلى ، ومركونه على الرف ، حيث لا أدلة ، ولا ظل لأدلة ، وظهور الكتاب فجر الموضوع ، واثار السادات الذى اصر على ان تكون

قضية حيث لا قضية ، فداهم البوليس بيتسى وحمل كل اجهزة الريكورد والراديو التى املكها الى جانب احمال من اوراقى الخاصة ، وكتبى على امل ايجاد ولو دليل واحد يحول اللاقضية الى قضية ، ولم يسفر التفتيش عن شىء واضطر رئيس نيابة امن الدولة الافراج عنى .

وبعد اسبوعين من حملة سبتمبر ١٩٨١ ، وبعد رد الفعل العنيف لهذه الحملة فى العالم العربى ، وفى العالم الغربى الذى يهتم به السادات اهتماما شديدا - كان لابد من خلق قضية تخابر لتهدة العالم الغربى ، حتى ولو لم تكن هناك قضية تخابر ، وكان لابد من وضع أكبر عدد من المعارضين فى سلة واحدة وكان عدد المتهمين فى القضية ارتفع على صفحات الجرائد القومية فى حياة السادات من ١٢ إلى ٢٢ ، فلا راد لمشية السادات أو هكذا توهم ، وقال إنه لن يرحم ونسأل له الرحمة ممن تعلو مشيئته على كل مشيئة ، وعلى من يملك الرحمة ويمنعها .

وكان لابد وان اكتب هذه العجالة القصيرة لتسلسل علاقتى بالسادات ، قبل ان اسجل خواطرى عن الفترة التى عملت فيها معه ، لكى اساعد القارىء على الربط ان انها خواطر لا يربط بينها غير توارد الافكار .

ويبقى ان اذكر حقيقة الى جانب كبير من الهمية ، حقيقة كلفتنى الكثير ، وورطتنى فى الكثير ، وجعلتنى مسئولا امام نفسى وامام الاخرين عن الكثير .

ففى الفترة ما بين ١٩٦٤ الى ١٩٧٠ لم تقف علاقتى مع السادات عند حدود العمل بل تعدت علاقة العمل بكثير الى الصداقة والمودة والافضاء وتبادل الاسرار ، واستمعت اليه فى احاديثه الخاصة والعامة ، وتوهمت انى عرفت ظاهره وباطنه ، غير ان هوة كبيرة فصلت بين صورته الحقيقية والصورة التى قدمها لى

وللاخرين طوال هذه الفترة فقد أحكم وضع القناع على وجهه حتى بدأ الأصل والصورة واحدا وكان السادات الذى عرفته قبل رئاسته للجمهورية ، او توهمت انى عرفته وطنيا مرتبطا بقضايا التحرر الوطنى ، معاديا للاستعمار . ولسياسة امريكا الامبريالية ، كما يتضح من احاديثه الخاصة جدا ، ومن كتابه « هذا عمك جمال يا ولدى » الذى منع تداوله فى السوق بعد ان انحرف كلية الى التبعية الامريكية ، وكان عدوا لدودا للصهيونية ، مؤمنا بان ما انتزع بالقوة لا يمكن ان يسترد الا بالقوة ، وباحتمية المعركة العسكرية مع العدو الصهيونى المرتبط بالاستعمار الامريكى . كان السادات كما توهمت انى عرفته متحمسا لقوانين التأميم ، اشتراكيا كأشد ما تكون الاشتراكية ، مدافعا عن القطاع العام ومهاجما للاقطاع والاقطاعيين ، متفاخرا بإنجازات ثورة ٢٣ يولية ، وبيانتصارات بطلها عبد الناصر . وباختصار كان الوجه الذى يبيديه السادات لى فى اخص الجلسات وجها ناصريا اكثر من وجه عبد الناصر ذاته ، كما يتضح من موقفه فى اللجنة المركزية من مبادرة روجرز الذى رفضها فى غيبة عبد الناصر عن مصر ، ليعود فيقبلها عندما اعلن عبد الناصر قبولها .

كان هذا وجه السادات الذى عرفته قبل ان يرأس الجمهورية وحسبت انه وجهه الحقيقى ، وكانت هذه المعرفة المزيفة والموهومة التى جعلتنى اسانده واؤيده فى انقلاب مايو . كانت هى التى جعلتنى اكذب كل ما قيل حول هذا الانقلاب وهى التى حالت بينى وبين استيعاب المعنى الكامل لبعض تصرفاته فى الفترة التى عملت معه فيها وهو رئيس للجمهورية ، وفهم هذه التصرفات على حقيقتها كمقدمات لنتائج كما اثبت تطور الاحداث ، وكنت اتصور ما هو استراتيجى فى الاتجاه الى « الامريكان » شكيتك على ضوء معرفتى الموهومة بتوجهاته ، وكان من المستحيل على ان اتصور ان انسانا ما عاش سنوات طويلة اكذوبة متصلة ، وانه واجه حتى

اخص خصوصياته بوجه مزيف ، وانه لعب دورا طويلا ومتصلا لم يخطيء في جملة ، ولا كلمة من كلماته .

وقناعتي الان ان الدور المرسوم المقصود كان قناعا متقنا يخفي حقيقة رهيبة وأود قبل أن أبدأ ، ان أوكد ان السادات استطاع بمهارة فائقة ان يجيب عنى حقيقة مكتملة اثناء فترة تعاونه معه . ولم اكن بالاعمى ، وبدأت بعض الحقائق تتكشف امامى بعد ان وصل الى رئاسة الجمهورية ، غير ان الخيوط لم تتقابل ، والصورة لم تكتمل الا بمضى السنين واندراج التفاصيل الصغيرة في مجمل الشخصية ، وفي مجمل التحولات الجذرية التى ادخلتها هذه الشخصية على سياسة بلدنا الخارجية والداخلية . والمنظور الذى استخدم فى كتابة هذه الخواطر ، ينتقل والأمر كذلك ، بين منظورى القاصر فى الفترة التى تعاملت فيها مع السادات ، ومنظورى وقد اكتسب تكاملا ابعد بعد ان اندرجت الاحداث فى اطارها الواضح .

وأرجو أن أوضح للقارىء أن الكتاب الذى اضعه بين يديه ليس تأريخا للسادات فأنا لست من كتاب التاريخ وليس دراسة لازدواجية الشخص فلا أدعى لنفسى اننى من علماء النفس ولكنها مجرد خواطر تجمع بين هذا وذاك فى محاولة لالقاء بعض الضوء على مساحة زمنية محدودة ، كنت قريبا فيها من السادات . وتكتسب هذه المرحلة أبعادها الهامة نظرا لأنها المرحلة التى تخلقت فيها سياسات السادات وتوجهاته لتتتابع بعد ذلك حلقاتها . والبدايات تحمل دائما معها مؤشرات النهايات والسقوط يبدأ بخطوة على المنحدر يتتابع بعد ذلك الى ما لا نهاية .

ومن هنا تكتسب كل كلمة وكل حقيقة وكل معلومه عن هذه المساحة الزمنية أهمية كبيرة ، وهذا ما حملنى على أن أجمع هذه الخواطر فى كتابى هذا .

واذا كنت قد عرضت خلال هذا التقديم الى ما عانيته فى عهد السادات من سجن وعدوان ومتابعة واتهامات مختلفة ومحاولات

لتلويت شرفى وسمعتى وتشويه تاريخى فليس هذا من باب المباهاة أو التفاخر ، فإن ما عانيته لا يقاس بما عاناه غيرى من الوطنيين الشرفاء وهم كثيرون وكثيرون ، كما انه لا يمثل قطرة فى بحر المعاناة التى يكابدها الشعب المصرى حتى اليوم والى الغد الطويل كنتيجة حتمية لسياسات السادات الوطنية والقومية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتى عمق من جذورها الوحشية فى أرضنا الطيبة .

لذلك فالحديث عن السادات وسياساته حديث متصل لا ينقطع والنضال ضد هذه السياسات هو أيضا نضال متصل لا ينقطع لأنه نضال فى سبيل المستقبل . والعذابات التى يتحملها المناضل خلال ذلك شئ من طبيعة الأشياء ...

وأرجو أن استميج القارىء عذرا اذا شعر بنقلة مفاجئة من موضوع الى آخر فهذه طبيعة الخواطر وهذه طبيعة الالتزام بالتتابع الزمنى للموضوعات فى محاولة لتغطية هذه المساحة الزمنية التى عايشتها فيها السادات بكل الصدق والامانة للتاريخ ولمصر وللغارىء

محمد عبد السلام الزيات



القسم الأول



السادات كما عرفته قبل رئاسته
للجمهورية [١٩٦٤ - ١٩٧٠]



عبد اللطيف البغدادي رئيس مجلس الامة يخطب والسادات الوكيل يسمع

الفصل الأول

السادات وكيلا لمجلس الامة

لا أدعى معرفة بالسيادات ولا دوره في ثورة يوليو ١٩٥٢ أو دوره في تنظيمات الضباط الأحرار فهناك من هم أكثر اتصالاً منى بهذه الفترة وأكثر قدرة منى على تناول هذا الجانب من حياته ، وكل ماتعيه ذاكرتى عن السيادات قبل الثورة انه اتهم بالاشتراك في حادث مقتل أمين عثمان في ١٩٤٦ ثم برأته المحكمة من هذه التهمة . ثم ما تردد عنه في بداية الثورة من أنه كان عضواً من أعضاء الحرس الحديدى الذى شكله الدكتور يوسف رشاد الطبيب الشخصى للملك فاروق ورئيس جهاز المعلومات الخاص بالسراى - لاغتيال مناوئى الملك .. وانه اشترك أكثر من مرة في محاولة اغتيال مصطفى النحاس رئيس الوفد . هذا بالإضافة الى ما سمعناه وقرأناه خلال الحرب العالمية الأخيرة عن صلته بشبكة للجاسوسية تابعة لألمانيا النازية وتوليه لمسئولية جهاز الارسال السرى التابع لهذه الشبكة

ولم أسمع عنه الكثير في السنوات الأولى من الثورة - غير ما كان يسمعه غيرى من أنه ظل لعبد الناصر تجده حيث تعود دائماً أن يكون منذ بداية الثورة - على وقع خطى عبد الناصر .

كان البعض يطلق عليه اسم « البكباشى صح » ذلك لأنه يعلق على كل رأى أو قول لعبد الناصر بكلمة « صح » حتى قيل أن عبد الناصر كان يسخر منه بالقول « لو أنه يغير من طريقة التعبير عن موافقته بدلاً من ترديد كلمة صح لكان ذلك أخف على أعصابى »

ثم التقيت بالسيادات لقاءات عابرة عندما استدعانى عبد الناصر ، كشخصية برلمانية متخصصة ، ليستفسر منى عن استعدادات لافتتاح أول مجلس أمة في سنة ١٩٥٦ ، وعن بعض

الامور والاعراض التي تلازم مثل هذه المناسبة .
ولم اعرف السادات شخصيا الا عندما اصبح وكيلا لمجلس
الامة الاول ، وكانت معرفتي به محدودة ايضا ، كما كانت احاديثي
معه عابرة مقتضبة . ولمست خلال هذه الفترة انه يكاد يكون
منصرفا عن اعمال المجلس ، وانه قليل التردد على مكتبه ، رغم
الازمات المتتالية التي كانت تتطلب تدخله كعضو مجلس قيادة
ثورة ، وكصديق لعبد الناصر .

لم يكن هناك ما يبرر انصرافه عن اعمال المجلس وندرة تفرده
عليه غير ما سمعته في ذلك الحين من أن السادات كان مرشحا لرئاسة
المجلس ثم عاد عبد الناصر وسحب هذا الترشيح ، وعهد الى عبد
اللطيف البغدادى برئاسة المجلس ، مما ترك في نفسية السادات
جرحا بالغا .

ويحاول السادات ان ينفي هذه الحقيقة في كتاب « البحث عن
الذات » فيروى عن هذه الواقعة مايتى :

قبل الاجتماع (اى اجتماع مجلس الامة) بثلاثة ايام كنت مع
عبد الناصر في استراحة برج العرب فاذا بي افاجا بطلب منه
ان استعد لرئاسة المجلس وقبلت ... ولكن قبل افتتاح المجلس
بليلة واحدة دعانا عبد الناصر الى الاجتماع في القاهرة ... وقال انه
يفكر في اسناد رئاسة المجلس الى عبد اللطيف البغدادى بصفتة
اقدما كيف غير عبد الناصر رأيه في خلال يومين فقط وما
الذى دعاه الى ذلك لا اعرف الى الان ...

ويمضى قائلا : لم اهتم انا برجوع عبد الناصر عن قراره في مسألة
تعيينى رئيسا لمجلس الامة لم اكن في حياتى اسعى الى منصب
او مركز ما ...

ثم اذا به يقول كان لابد على اى حال ان يتولى منصب وكيل
المجلس احد الضباط الاحرار فعرض عبد الناصر على اكثر من
واحد ولكن الجميع رفضوا ... فلم يجد مناصا من أن يتقدم بهذا

الطلب إلى « وقبلت »

ويدافع السادات عن نفسه لقبول هذا المنصب فيقول « لم يحدث في حياتي ان ميزت عملا عن آخر ما دام العمل من اجل مصر فالعمل عندي يتساوى والعبرة بالعمل لا بالمنصب (ص ١٦٣) .

ولكن السادات في مكان اخر من الكتاب يعبر عن حقيقة المرارة التي كان يعيشها من جراء معارضة زملائه لترشيحه في أى مركز قيادى فيقول :

عندما أنظر اليوم الى الثمانية عشرة عاما الاولى من الثورة قبل ان اتولى الرئاسة اجد ان هذه المرحلة من حياتي كانت فترة معاناة لم ادرك سببها في ذلك الوقت ، فقد ظلت كامنة في العقل الباطن ولكنها احدثت خلا في توازنى (ص ١٠١) .

قد يكفى هذا القول من السادات لنقرب من تكييف التصرفات التي اقدم عليها خلال السنوات العشرة التي قضهاها رئيسا للجمهورية ، داخليا وخارجيا ووطنيا وقوميا وسياسيا واقتصاديا وقد يكفى ايضا لتقييم الصفحات الطويلة التي ملأت كتاب « البحث عن الذات » بالحديث عن اخلاقيات السادات وتجرده ونجاحه الداخلى .

ونعود الى السادات وهو وكيل مجلس الامة في فترة رئاسة البغدادى للمجلس ، فقد كانت شخصية البغدادى طاغية ومؤثرة على سير اعمال المجلس ، الأمر الذى لم يترك مجالا لظهور السادات في أى حدث هام من الاحداث التي مرت على المجلس في ذلك الحين .

وللتاريخ اقول ان البغدادى حاول ان يأخذ الأمور بجدية ، وان يجعل الحياة الديمقراطية حياة حقيقية ، تذخر بالحوار والرأى الآخر ، وان يحافظ على كرامة العضوية ، وان يجعل من المجلس مؤسسة حقيقية في مواجهة مؤسسات الدولة الاخرى . ولكن كانت

هناك جماعة في المجلس يتزعمها طعيمة والطحاوي وقد كانا اسمين توأمين او متلازمين ، جمعا حولهما عددا من الاعضاء اذكر منهم الآن حمدي عاشور موهمين الجميع انهم يتلقون تسويجياتهم من أعلى .

كانوا يريدون للمجلس ان يكون مجرد ديكور ، لأن قوة المجلس فيه قوة لرئيسه ، فسعوا بالوشاية لدى عبد الناصر عن اطماع البغدادى ومدير مكتبه في ذلك الحين عمر اباظة .

واستغل هؤلاء خلافا دستوريا قام حول شرعية تعيين بعض اعضاء المجلس كموظفين او مستشارين في مديرية التحرير ، التى كان يتولى ادارة مشروعها حمدي حسنين ، لزيادة هوة الخلاف بين عبد الناصر والبغدادى .

كان احد الصحفيين المتصلين بالبغدادى وهو محمد الليثى قد تابع نشر بعض التحقيقات عن هذا الموضوع في صحيفة الأهرام ، ثم كلفنى البغدادى ، باعداد دراسة دستورية عن هذا الموضوع ، وقدمت اليه مذكرة ايدت فيها رأى القائل بعدم شرعية تعيين اعضاء المجلس في وظائف بمديرية التحرير .

واحتدمت المعركة ، يحركها من جانب عمر اباظة مدير مكتب البغدادى ، ومن جانب اخر على صبرى مدير مكتب عبد الناصر ، حتى قيل في ذلك الحين ان المعركة الحقيقية هي معركة بين مديري المكاتب . ووجدت نفسى فجأة في خضم المعركة تتجاذبنى اطراف متعددة ، لأعدل عن رأى الدستورى الذى ضمنتته مذكرتى الى البغدادى ولكننى اصررت على الالتزام به .

واذكر ان تقديرى لعبد الناصر قد ازداد عندما طلبنى ليسألنى عن هذا الموضوع ، وابدى تقديره لتمسكى برأىي ، رغم التحذيرات التى تلقيتها من الكثيرين قبل هذه المقابلة .

وتحركات كل القوى خلال هذه الأزمة ، القوى الساعية للخير ، والقوى الساعية بالقطيعة بين عبد الناصر والبغدادى ، وظل

السادات وكيل مجلس الأمة ، والمفروض ان يكون اقرب الأشخاص إلى مثل هذه الأحداث والخلافات ، بعيدا لا يبدى رأيا أو يتوسط خيرا .

وانقطعت خطوط الاتصال بين عبد الناصر والبغدادى وازدادت الأزمة حدة عندما وصل الى علمى ان البغدادى ينوى اثاره موضوع الخلاف هذا فى جلسة علنية من جلسات المجلس ليقرن هذا باستقالته من رئاسة المجلس . وقد قدرت ما فى هذا الأمر من خطورة وانعكاسات على استقرار النظام . وفى هذه المرة سارعت الى مقابلة السادات وكيل مجلس الأمة ونقلت اليه هذا الخبر وقلت له ان الأمر يحتاج الى تدخلك لتدارك ما يسفر عن ذلك من نتائج .

وكان رده غريبا اذ قال اننى لست طرفا فى هذا الصراع ولا أريد ان اكون طرفا فيه ، والبغدادى حرّ فى ان يستقيل أو لا يستقيل . قلت له ان اثاره مثل هذا الموضوع فى جلسة علنية ليس من مصلحة احد ولا بد من وجود شخصية تحاول ان تطوق الموضوع وستكون انت رئيس الجلسة التى يحتمل ان يحدث فيها البغدادى .

وكان رده أعجب فقد سألنى : هل انت مع عبد الناصر أم مع البغدادى ؟ .

وعجبت ان يكون قياس الأمور الخطيرة من جانبه بهذا الميزان « مع أو ضد » ويزول عجبى بعد ذلك مع تتابع الأحداث وخاصة بعد امساكه بكل السلطات بين يديه فقد أصبح شعاره « من ليس فى ركابى فهو ضدى ولا شئ بين هذا وذاك » .

وكان شعاره بالأمس « من يعارض عبد الناصر أو يبدى رأيا مخالفا لرأيه عليه أن يتنحى عن مركزه وأن يذهب فى زوايا النسيان » .

وعلى كل فقد كان ردى عليه اننى مع النظام واننى نقلت اليه هذه المعلومات لحماية للنظام واقترحت عليه ان يقترح على المجلس ان

تكون الجلسة سرية اذا صمم البغدادى على أن يتكلم .
ولم أجد منه تجاوبا لما اقترحته .

وخرجت من هذه المقابلة الغربية لألتقى بأحد أعضاء المجلس وهو السيد زكريا لطفي جمعه وكان صديقا لي ونقلت له الصورة فتحمس لما ابديته من رأى وقال انه سيعد طلبا بعقد الجلسة سرية (مع الاحتفاظ بسرية الموضوع كما رجوته) وسيطلب طرحه على المجلس عند نزول البغدادى الى منبر المجلس .

وقد كان وعقدت الجلسة سرية ثم تدارك عبد الناصر الموقف وانتهت الأزمة ولو انها تركت جروحا في النفوس .

وقامت أزمة أخرى بسبب مناقشات دارت في المجلس حول سياسة التعليم اعتبرها كمال الدين حسين ، وكان وزيرا للتعليم في ذلك الحين ، عدم ثقة بسياسته فتقدم باستقالته ثم سوى الموضوع بعد ذلك ، وكان الأمر في كل هذا لايغنى السادات ، وهو وكيل المجلس ، من قريب أو بعيد .





الزيات يتحدث الى اعضاء مجلس الامة

الفصل الثاني

السادات ومسئوليات الرئاسة في مجلس الأمة

برئاسة السادات لمجلس الامة من ٢٦/٢/١٩٦٤ الى ١٢/١١/١٩٦٨ توثقت علاقاتى معه ، خاصة بعد ان عينت بترشيح من جمال عبد الناصر ، امينا عاما لمجلس الامة ، وكان هذا امرا طبيعيا فعلمى فى مجلس النواب المصرى اكثر من عشر سنوات قبل قيام الثورة وتخصصى فى الشئون الدستورية ودراساتى السياسية ، كل هذا قد اكسبنى خبرة فى المسائل البرلمانية كان السادات فى حاجة اليها ليستطيع تسيير اعمال المجلس

والى جانب علاقات العمل توطدت العلاقات الشخصية بيننا ، وتزاورنا عائليا ، حتى لم يكن يمر يوم - خارج العمل - دون ان نلتقى فى منزله فى الهرم او فى منزلى المتواضع (الدكان كما كان يسميه) فى الدقى .

قامت بيننا علاقة اخوية بل كان يعتبرنى - كما كان يقول - اقرب اليه من اخويه الشقيقين . عصمت وطلعت السادات ، لانه لم يلق - على حد قوله - من اخويه غير المتاعب وعدم الوفاء . كان يلجأ الىّ حتى فى اخص خصوصياته العائلية ويسألنى الراى فيها او فى حل بعض مشاكلها ، يكفى ان اشير تعميما الى ذلك دون الدخول فى أية تفصيلات ، فهاذا كنت تناولت هذا الجانب فقد تناولته وانا حريص على خصوصيات اى انسان كحرصى على خصوصياتى ، وإنما تناولته لما تعكسه حياة الانسان الخاصة على تصرفاته العامة

قال السادات إنه لم يعرف السعادة العائلية إلا يوم أن أنجب

جمال (الابن الذكر الوحيد) وأنه قاسى أياما صعبة خوفا عليه .
فقد ظل بين الحياة والموت أياما طويلة فى ناموسية (هكذا كان يقول
لى) من الأوكسجين .

وكان يكرر القول إن جمال هو إمتدادى الوحيد فى الحياة ..
كان اليأس يملؤه ، ويردد دائما امام عبد الناصر ، يومى قبل
يومك ياريس وصيتك جمال .. كنت اشعر فى احاديثه التى كانت
تستطيل بيننا بمرارة فى اعماقه فقد كان يعتقد انه احق من غيره من
زملائه ومن البغدادى الذى تولى قبله رئاسة مجلس الامة ..
وكان يسر الى بنفس المرارة بالنسبة لجميع زملائه .. فقد
تعرض - على حد قوله - للموت مرات ، وعاش متنقلا بين المعتقلات
والسجون ، كان يقول طردت من عملى فى الجيش وتسولت عيشى ..

وحرمت من ضروريات الحياة .. وكان غيرى ينعم بالبيت المريح
وبالاسرة وبالحياة السهلة .. لديهم كل شىء وازدادوا بعد الثورة
راحة وتميزا على تميز .. وبقي هو فى مكانه . قلت له مرة ولكنك الآن
رئيس مجلس الامة ، وهذا مركز الرجل الثانى .

رد على إن مجلس الأمة مجرد ديكور .
وقلت له انه يستطيع ان يحول المجلس الى اكثر من ديكور ، وان
هذا هو واجبه ، وانه قادر على ان يفعل ذلك ، ولكننى كنت فيما يبدو
احمله اكثر من طاقته .

واذكر ان قال لى السادات فى احدى المرات انه كان يحسب الف
حساب وهو فى طريقه الى رئاسة جلسات المجلس ، وانه ظل وقتا
طويلا يشعر انه فى حاجة لان يتعاطى بعض الكحوليات ليستجمع
قواه قبل ان يتجه الى كرسى الرئاسة ، كان عاجزا عن مواجهة
المواقف الصعبة ، او غير راغب فى مواجهتها ، مختارا طريق
السلامة ، والامان لنفسه ، كانت هذه طبيعته فى كل المواقف
الصعبة التى واجهتنا خلال رئاسته لمجلس الامة .
والقصص عن ذلك كثيرة .

اذكر على سبيل المثال قصة في مناسبة الانتخابات التي جرت في ١٩٦٦ لرئاسة الجمهورية فقد ارسل عبد الناصر كتابا لرئيس مجلس الامة يوجه النظر فيه الى قرب انتهاء مدة رئاسته للجمهورية ويطلب من المجلس اعمال احكام الدستور الخاصة بترشيح رئيس الجمهورية ، وما كاد هذا الكتاب يعلن ، حتى توالى الوفود على مجلس الامة ، والاف البرقيات من مختلف الطوائف ومن مختلف انحاء الجمهورية مطالبة بترشيح عبد الناصر ، وفود لاتنقطع ليل نهار .

واحتجب السادات في منزله بدعوى المرض وغاب سيد مرعى وكيل المجلس في ذلك الحين عن الظهور في الصورة وتركونى وحدى امام هذا السيل من الوفود . ولم البث ان فهمت اسباب الاحتجاب ، قيل وقتها ان هناك ازمة بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، عامر يريد ان يجرى ترشيحه نائبا لرئيس الجمهورية بنفس الطريقة التي يجرى بها ترشيح رئيس الجمهورية والاستفتاء عليه ، لا عن طريق التعيين من رئيس الجمهورية ، كما ان حسين الشافعى ، وكان في ذلك الحين أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي ، كان يرى ان تتوجه هذه الوفود الى الاتحاد الاشتراكي وليس الى مجلس الامة .

واثر السادات كعادته الابتعاد انتظارا لما يسفر عنه الخلاف . ولم يكن امامى الا ان اسعى الى اجراء اتصال مع عبد الناصر وعرضت عليه الموضوع ، واقتنع بان المجلس هو المكان الطبيعي ، وان مهمة المجلس فيما يتعلق بالترشيح لاتنتهى الا بعد الاستفتاء واداء الرئيس لليمين الدستوري امامه .

وعاد السادات وسيد مرعى لاستقبال الوفود .
وحكاية اخرى مماثلة .

عند اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكي العربى في اعقاب بيان ٣٠ مارس اختارنى عبد الناصر عضوا في لجنة الخمسين التي اشرفت

على هذه الانتخابات ثم مقررا لها ، واعقب ذلك تعييني مقررا للجنة المائة التي اعدت اوراق المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي ثم عينني عبد الناصر امينا عاما للمؤتمر القومي ، ثم مقررا للجنة التي اعدت النظام الداخلي للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ولجنته التنفيذية العليا .

وفي اليوم الذي حدد لانتخاب اللجنة التنفيذية العليا ، اوفي اليوم السابق عليه (لا اذكر على وجه التحديد) اتصل بي هيكل تليفونيا قبل الظهر وسألني « انت الذي وضعت نظام اللجنة التنفيذية العليا وعدد اعضائها ١١ عضوا فهل يمكن ان يقتصر الانتخاب على اقل من هذا العدد على ثمانية مثلا » .

كنت حذرا في ردي - وقد كنت دائما هكذا مع هيكل - قلت ان هناك ردا قانونيا على سؤالك وردا سياسيا .. فالرد القانوني ان اللجنة لا يكتمل هيكلها القانوني الا اذا انتخب عددها كاملا ، اما اذا كانت هناك اعتبارات سياسية تقتضي ان يجري انتخاب عدد اقل ، فيمكن ان يستبقى عدد خال من المقاعد ، على ان يتم شغلها بعد ان تنتهي ظروف التعاون بين اعضاء اللجنة المركزية وتبرز من خلال عملها قيادات تستحق هذا المركز . قال هيكل ، انت دبلوماسي دائما .

لم يكن ليسألني هيكل الا اذا كان الامر ماثارا على اعلى المستويات فأخذني حذري الى منزل السادات في الهرم لأنقل اليه ماجري من حديث بيني وبين هيكل .
ونقلت اليه الصورة كاملة .

وحدث بعد ان انتهيت من حديثي مباشرة ، ان طلبه عبد الناصر تليفونيا وجرت المكالمة وانا جالس الى جانبه . لم اسمع من جانب السادات الا ترديد العبارة مضبوط ياريس .. صح ياريس .
وانتهت المكالمة .

والتفت إلى السادات قائلاً : « الرئيس متضايق منك قوى وثائر عليك .. انت قلت لهيكل انه لا بد من انتخاب ١٦ عضوا وطبعاً فتواك دي علشان تجيب خالد محيي الدين عضواً في اللجنة التنفيذية العليا . الرئيس يقول كده . »

قلت للسادات .. انا نقلت لك ماجرى بيني وبين هيكل والصورة امامك واضحة قبل ان يتصل بك عبد الناصر ، فلماذا سكّت عن تصحيح الوقائع التي نقلها هيكل .

رد على ردأ عجيباً ..

قال « انا عادتني كده مع الرئيس لما يكون شائراً ما اقدرش أواجهه .. اسأيره .. واسكت لما يبأه يهدي اقول له الحقيقة . » قلت له وانا في اشد حالات الاستغراب .

غريبة .. لما يهدي .. امتي بعد اسبوع .. بعد شهر .. بعد سنة ، وهل يمكن أن نتفادى ما يكون قد حدث . وقلت في نفسي كيف يستطيع عبد الناصر ان يحكم حكماً صحيحاً على الاشياء واقرب المقربين اليه يحجم عن ان يقول له الحقيقة .. بل يخفيها عنه مسaire واسترضاء له .

كانت هذه حقيقة ، قالها عبد الناصر في اول اجتماع اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ففي اجتماع اللجنة في ٣ اغسطس وكانت في ذلك الحين مشكلة من الرئيس واعضاء مجلس قيادة الثورة الباقين معه في الحكم (زكريا محيي الدين - انور السادات - حسين الشافعي) وعلى صبرى ثم رئيس الوزراء في ذلك الحين - صدقي سليمان .

نقد عبد الناصر نفسه في هذا الاجتماع نقداً ذاتياً ، ونقد نظام الحكم واسلوبه .

قال عبد الناصر انه من متابعة الاحداث التي جرت اخيراً

وتحليلها بدقة يتبين لنا انه لم يكن لدينا نظام سليم ثم قال .. ان الذى اوصلنا الى هذه الحالة اننا نسكت عن ان نتكلم الحقيقة ، ونرفض ان نقبل النقد ، وان هذا سيؤدى بنا الى مستقبل مظلم .. (محضر اللجنة التنفيذية العليا فى ٣ ، ٤ اغسطس سنة ١٩٦٧) . وهكذا تتابعنا امامى نفس الصورة صورة الهروب من اتخاذ المواقف وانعدام القدرة على المواجهة واختيار طريق النجاة واقتناص الفرصة للوصول ، ايا كان الثمن .

وكانت هذه هى نفس صورة السادات فى علاقاته بزملائه اعضاء مجلس قيادة الثورة .. تفادى اتخاذ أى موقف والتهرب من المواجهة .

واذكر واقعة حدثت عندما كان زكريا محيى الدين رئيسا للوزراء ، فقد دعى اعضاء مجلس الامة الى حفل اقيم فى المحلة الكبرى واظنه كان بمناسبة احتفال بعيد اول مايو ، وعوملوا من قوات الشرطة اسوأ معاملة ، وعادوا فى حالة غضب شديد وقابلوا السادات فاحالهم السادات إلى . واتفقنا على ان يتقدم عدد من الأعضاء باسئلة الى رئيس الوزراء ووزير الداخلية عن هذا الحادث . كان عبد الفتاح حسن (ولا اذكر رتبته العسكرية) وزير دولة فى ذلك الحين ، ويتولى شئون مجلس الامة ، ونقلت اليه الصورة وطلبت منه ان يستعد للرد على اسئلة الاعضاء فى جلسة الغد ، وكان ذلك باتفاق بينى وبين السادات ولم يستطع عبد الفتاح حسن ان يصمد امام غضبة الاعضاء فى جلسة الرد على الاسئلة ، فشكا الى زكريا محيى الدين بدعوى ان هذا الهجوم كان مخطئا .

وفى اليوم التالى طلبنى السادات فى مكتبه وكان معه زكريا محيى الدين وفوجئت به يقول لى :

زكريا متهمك بانك كنت مخطئا للهجوم عليه .

عجبت من هذه العبارة وجلست فى مواجهة زكريا محيى الدين

وبداً في أسئلته وكأنه يتولى التحقيق معي
رفضت هذا الوضع وقلت له انني لا اتحمل عجز وزيره عن
مواجهة أسئلة أعضاء المجلس ، وانه كان لابد لي من اتخاذ اجراء
لامتصاص الغضب بين أعضاء المجلس ، واذا كنت لا اقبل
التحقيق معي بهذه الصورة فانني لا اتصل من المسئولية .
وسكت السادات ولم ينطق بكلمة واحدة فاستأذنت وخرجت .
وعدت اليه مرة اخرى بعد خروج زكريا محيى الدين ومعى
استقالتى .
وعلمت بعد ذلك انه جرى اتصال مع عبد الناصر وسوى
الموضوع .

هذا مثل من امثلة كثيرة على تنصل السادات من أية مسئولية .
كان واجبه وهو رئيس مجلس الامة ان يحافظ على كرامة أعضاء
المجلس ، ولكنه أثر السلامة ، وأثر ان يلتزم برج الامان الذى
شيده لنفسه ، ليعيش فيه لا يغضب منه احد ولا يغضب عليه احد ..
واقعة اخرى فقد كان المهندس عبد الخالق الشناوى وزيرا للرى
وجرى في المجلس نقاشا حادا بينه وبين أعضاء مجلس الشعب عن
محافظة البحيرة برئاسة محمود ابو وافية ، صهر السادات ، حول
توافر المياه في الترع وحول مسئوليات بعض موظفيه . وكان
عبد الخالق الشناوى من الشخصيات التى تحتفظ بكرامتها فلم يقبل
بعض الالفاظ الجارحة التى وجهت اليه من محمود ابو وافية ومن
غيره من الأعضاء الذين شجعهم محمود ابو وافية على مهاجمته ،
فهاجم هؤلاء الأعضاء هجوما مريرا ، وتصاعدت الازمة الى
اقصاها ، وبدلا من ان يستخدم السادات سلطات رئيس المجلس في
وقف مثل هذا الهجوم المتبادل ، وفي حذف الالفاظ الجارحة من
مضبطة المجلس ، او برفع الجلسة ليصفى الخلاف بين الجانبين ،
فاذا به يعلن انه سيرفع الامر الى رئيس الجمهورية .
كان قرارا عجيبا وغريبا ، فما دخل رئيس الجمهورية في مثل هذا

الموضوع . والمجلس يملك ان يستجوب الوزير ويسحب الثقة ما دام الخلاف قد استحكم بينه وبين الوزير .
ولكن السادات كعادته ، لا يريد ان يتخذ موقفا قد يحسب عليه او قد يحاسب عليه ، وقد تناولنا في مناسبات اخرى بعضا من هذه المواقف - اذا كان لنا ان نصفها بالمواقف من باب المجاز .
ويذكرني كل ذلك بقصة طريفة ، فقد دخلت على السادات مرة في مكتبه بمجلس الامة ، وكان ذلك بعد حرب ١٩٦٧ فوجدته مع مندوب للاذاعة يسجل بصوت جهورى ومنغم وبعد انتهاء التسجيل وانصراف المندوب قال لى لقد اردت ان ابدل الشريط الموجود فى ارشيف الاذاعة بصوتى يوم اعلان نجاح الثورة صبيحة يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لان صوتى كان فى هذا اليوم خافتا ومتريدا والقصة لا تحتاج لتعليق .





عامر وعبد الناصر - الصراع الذي هرب منه السادات

الفصل الثالث

السادات يهرب من مواجهة
عبد الحكيم عامر وعلي صبرى

في الاعداد لجلسة اداء اليمين الدستورية - بعد ان وافق الشعب في الاستفتاء على اختيار عبد الناصر - قال لي السادات انه يريد ان يكون خطابه في هذه المناسبة متميزا عن أى خطاب ألقاه قبل ذلك .

أعددت له الخطاب ، لم تكن الكتابة عن عبد الناصر صعبة ، ولكن الجديد كان قصة عبد الناصر مع الديمقراطية ، وكيف اختلف مع الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار في ٢٧ يوليو ١٩٥٢ ، بعد نجاح الثورة بأيام قليلة ، حول أسلوب الحكم الذي يتعين ان يلتزمه الثورة : الديمقراطية أم الديكتاتورية :

واحتوى الخطاب على دفاع عبد الناصر عن الديمقراطية في هذا الاجتماع ، وكيف ترك الاجتماع بعد أن صوت جميع الأعضاء في صف الديكتاتورية قائلاً لهم : اننى مستقيل ولكن أخرج كلمة أقولها لكم « أن الطريق الذى يبدأ بالدم لا بد ان ينتهى بالدم » وانتهت مراسم جلسة أداء اليمين الدستورية وبارح عبد الناصر مبنى المجلس .

ورأيت بعد ذلك منظرا مثيرا ، فقد وقف عبد الحكيم عامر مع السادات بعيدا ، ووجهه محتقن وهو يشوح بيديه ثم ينصرف مسرعا من مبنى المجلس .

ودخلت على السادات في مكتبه فوجدته في حالة فزع وتهالك قال : - لقد هددنى عبد الحكيم عامر .. ياريتنى ما قلت هذا الخطاب .. عبد الحكيم غاضب ولن يحضر حفل أم كلثوم .. (وكان المجلس قد اعد حفلا كبيرا في قاعة جمال عبد الناصر في جامعة القاهرة احتفالا بهذه المناسبة في مساء نفس اليوم)

وكعادته قال السادات : انا رايع ميت ابو الكوم ولن أعود منها
ابدا ..

قلت .. له : كيف تذهب الى ميت ابو الكوم وانت صاحب الدعوة
الليلة ، هل تلغى الحفل .. ؟!

قال انا ما اقدرش أواجه عبد الحكيم بعد الان .. (انعدام
المواجهه مرة اخرى) .. قلت له اتصل بعبد الناصر قال لى :
حاتصل به من البيت

وانصرف السادات من المجلس ..

لم يتوقف عن الاتصال بى تليفونيا .. انا مش عارف اتصل
بالريس ولا عبد الحكيم ، كان يستطيع ان يذهب الى منزل الريس
ويواجهه ، او يذهب الى بيت عبد الحكيم ويواجهه .. ولكنه لم
يفعل .. اشعرنى فى احاديثه اننى المذنب .

كان الوقت يمر بسرعة وكنت اعرف ان عبد الحكيم كانت له
بطانته ، ومن بينها عضوان فى مجلس الامة كانا صديقين لى ، كامل
عبد الهادى ومحمد عبد الصمد محمد ، من أعضاء المجلس عن
محافظة عبد الحكيم (محافظة المنيا)

أخذت سيارتى وذهبت الى منزل كامل عبد الهادى فى الدقى ،
وطلبت منه ان يصطحبنى الى بيت عبد الصمد وهو فى الدقى ايضا
فلم نجده .. فقلت لكامل عبد الهادى اننى اريد بأى صورة ان اقابل
المشير لأمر هام جدا ..

وتوجهنا الى منزل المشير فى الدقى ولم اكن قد زرته فى حياتى .
كان المشير يستريح بعد ان تناول غداءه وانتظرت فى الصالون
الكبير ، وانا اتحسب لهذه المقابلة ، تمت اولم تتم ، الف حساب .
وخرج الى كامل عبد الهادى يدعوئى الى الدخول على المشير فى
غرفته ملحقة بالصالون وتركنى مع المشير وخرج الى الصالون
الكبير ..

كان المشير شخصية لها طبيعتها الاجتماعية ، يمكن ان تقبل

عليه من اول لقاء ، وترتاح الى الحديث معه ، وهو بشوش دائما ومنطلق بلا عقد . قابلته قبل ذلك وسافرت معه مرة في زيارة لليمن للمشاركة في الدراسات التي تجرى لتنظيم دولة اليمن بعد الثورة ..

بادرنى عبد الحكيم قائلا انا عارف انت جاي ليه .. جمال عارف وانا عارف وكلنا عارفين انك انت اللي بتكتب خطب السادات .. قلت له يا سيادة المشير علشان كده انا جايلك ...

حدثني عن السادات ولا اسمح لنفسى ان أقول ما قاله لأننى لا أستطيع ان استشهد به فهو فى رحاب الله .. واكتفى بالقول أن الحديث كله كان يدور على أنه هو الذى أشرك السادات فى الثورة وفى تنظيّماتها وأن أغلب زملائه كانوا يعارضون انضمامه الى اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار بسبب ماضيه فى خدمة السراى وفى خدمة النازى ثم قال : وأنا عارف السادات مجاش ليه ..

واستدرك قائلاً لازم انت لسه ما اتغدتش

فقلت ضاحكا : باين لاحاتغدى ولاحاتعشى بعد كده ..

وانتهى الحديث بأن وعدنى بأنه سيحضر الحفل وأنه سيتصل بجمال لاصطحابه الى الحفل .

وخرجت من عنده الساعة السادسة مساء لأزف البشرى الى السادات ، ولاتوجه بعد ذلك الى جامعة القاهرة لأشرف على الاستعدادات للحفل .

مرة أخرى .. تتأكد طبيعة السادات فى انعدام المواجهة .

وننتقل الى حدث آخر يتصل ايضا بعبد الحكيم عامر

حدث عندما احتدم الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بعد هزيمة ١٩٦٧ ، اننى فوجئت بالسادات يرسل الى منزلى إحدى سياراته فى الساعة السادسة صباح يوم كان مقررا ان تعقد فيه جلسة للمجلس فى الساعة السادسة مساء وذلك لأوافيه على وجه السرعة فى منزله فى الهرم .

وفي منزله في الهرم وجدته في حالة هلع شديد - وكانت هذه حالته كلما واجهته مشكلة من المشاكل - قال لي :

عبد الحكيم مصمم يحضر جلسة النهارده ويتحدث الى اعضاء المجلس .. وانا لا استطيع ان اواجه عبد الحكيم أو امنعه من الكلام ، فقد يعتدى على ، ودا في حالة جنون .. قد يقتلنى لو منعتة ..

كان يتحدث الى ، وكأنه يتحدث الى نفسه من فرط خوفه وهلعه . وكان عبد الناصر في هذا الوقت في الاسكندرية او برج العرب لا اذكر :

هدأت من روعه وقلت له اننى سأذهب مباشرة الى المجلس ، وسأتصل بالاذاعة لتذيع في جميع نشراتها تأجيل جلسة المجلس اداليا ، ولن يعود موظفو المجلس بعد الظهر ، وسأتفاهم مع الصحفيين على عدم الحضور .

لم يتركنى الا بعد ان اطمأن على ان الاعلان الذى سستذيعه الاذاعة سيكون صادرا عنى وليس عنه .

جاء بعض الاعضاء والصحفيين لیسألونى عن السبب فقلت لهم اننى لم اجد من الاعمال ما يستحق أن تعقد من اجله جلسة للمجلس ، فأجلت الأعمال الى الاسبوع المقبل حتى تكون بعض اللجان قد أنجزت اعمالها .

ولم يجتمع المجلس في هذه الليلة ولم يتوقف السادات عن الاتصال بى طوال اليوم وحتى المساء ، ومرة الأزمة بسلام ، وعلمت بعد ذلك ان السادات أفهم عبد الحكيم ان هذا التدبير قد تم باتفاق بين عبد الناصر وبينى وانه لا يعلم عنه شيئا وانه سيحقق معى في هذا التصرف .. ونستطرد الى حدث اخر .

ففى اعقاب انتخابات الاتحاد الاشتراكى العربى في ١٩٦٨ واجتماع المؤتمر القومى العام واختيار لجنته المركزية ، اجتمعت اللجنة المركزية لانتخاب لجننتها التنفيذية العليا ودارت مناقشة

حول هذا الموضوع .. كان من رأى بعض الاعضاء ان يختار عبد
الناصر اعضاء اللجنة التنفيذية العليا ، ولو بصفة مؤقتة ، حتى يتم
التعارف بين اعضاء اللجنة المركزية ويصبح من الممكن لهم من
خلال العمل والممارسة اختيار القيادات التى تتولى مثل هذه
المسئولية .

وأصر عبد الناصر على اجراء الانتخابات ، واخذ يتصل بامناء
المحافظات ليستطلع آراءهم ، كانت الانباء تتردد حول ما أبداه
امناء المحافظات من مطاعن كثيرة على السادات (يعف قلمى عن
الخوض فيها) واعتراض بعضهم على ترشيحه .. واخذت
الاجتماعات تعقد والاتصالات تجرى وكان مقر الاتحاد الاشتراكى
كخلفية النحل وجاء يوم الانتخاب .

وظهرت نتيجة الانتخابات فاذا على صبرى يحرز اكثر
الأصوات ، ويسبق السادات فى الترتيب محمود فوزى وحسين
الشافعى وكمال رمزى استينو ، يليه فى ترتيب الأصوات عبد
المحسن ابو النور ولبيب شقير وضياء داود .

ولم أر السادات فى هذه الليلة ، واتصلت بى السيدة حرم
السادات مبكرا فى صباح اليوم التالى وسألتنى الحضور .. وذهبت
الى منزل السادات فاذا به يحزم أمتعته .

قال إننى ذاهب الى ميت ابو الكوم وساقيم هناك .. ويكفينى ما
اصابنى من مؤامرات على صبرى .

حاولت ان اهدىء من ثأثرته على قدر ما أمكننى ، قلت له ان
الأمر لا تعالج بهذه الطريقة اننا فى ظروف حرب لا تحتمل مثل هذه
الخلافات ، لماذا لا تواجه الرئيس بما جرى ولماذا لا تواجه على
صبرى نفسه ، ان المواجهة ضرورية وهى كفيلة بحل المشاكل
والخلافات .

قال : اننى لن اواجه احدا ..

طلبت منه ان يترىث بعض الوقت ، فلا بد وأن عبد الناصر

سيتدخل في الموضوع .

وعدت الى الاتحاد الاشتراكي وقابلت على صبرى ، ونفى نفيا حاسما انه تدخل في الانتخابات ، وقال إنه إقتصر على تزكية ضياء داود لتطعيم اللجنة التنفيذية بعناصر جديدة .. وطلبت منه ان يزور السادات في منزله فوعدنى بذلك .

ومر يوم وآخر وانا احاول تهدئة السادات . ووجدت نفسى مرة اخرى تحت الحاح السيدة حرم السادات أن اطلب مقابلة عبد الناصر .

نقلت اليه صورة الحياة في هذه الأيام في منزل السادات فضحك ضحكة طويلة .. وقال لى انه احيانا يحسد السادات على وجودى الى جانبه ..

قلت له لقد طوقتني ياسيادة الرئيس بأفضالك (وكان قد منحني وسام الاستحقاق من الدرجة الاولى في اعقاب إعادة انتخابه رئيسا للجمهورية) وسأظل فخورا بهذا الوسام الذى منحته وانا مازلت في مقتبل عمرى ٤٥ عاما .

وعدنى عبد الناصر بانه سيعالج الأمر بمعرفته ويمكننى ان اطمئن السادات على ذلك .

وعالج عبد الناصر الأمر ، بالالتزام في تحديد اسبقية اعضاء اللجنة التنفيذية العليا ، بأقدمية اعضاء مجلس قيادة الثورة ، وكان منظرا طريفا عند اجتماع اللجنة المركزية ، السادات وحسين الشافعى يتزاحمان كتفا بكتف خلف عبد الناصر عند صعود اعضاء اللجنة التنفيذية العليا الى منصة الرئاسة .





عبد الناصر يداعب أبناء السادات في زيارة لمنزله عام ١٩٦٢

الفصل الرابع

عبد الناصر يتنازل والسادات يعد غرفة العمليات

مازلت لا أفهم كيف عاش السادات أيام الهزيمة حياته العادية ، وهو مطمئن كل الاطمئنان ، لا تبدو عليه أية انفعالات أو احزان ، مما كانت تعتصر قلوبنا جميعا . أرسل بأسرته الى ميت ابو الكوم وظل وحده في منزله بالهرم ، وفي الليلة السوداء ليلة ٦ يونيو ، صمم على الا اتركه وحده في منزله ، وكانت هذه الليلة من الليالى التى فرض فيها الاظلام الكامل ، وحظر سير السيارات فى الطرق انعامه ليلا ، لم ابال بهذا ، وقدت سيارتى الى منزلى لاطمئن على اسرتى ثم عدت الى منزله تحت الحاحه الشديد .

كانت جروحنا جميعا دامية ، ولكنه امر بأن تعد مائدة العشاء ، وكان الطبق الرئيسى زوجا من الدجاج — قال انه جاء به من البلد — واخذ يأكل بشهية عجيبة ، حتى كاد يأتى على دجاجة من الدجاجتين الكبيرتين ، وهويلح على فى الأكل ، وانا ارفض فقد فقدت شهيتى للأكل بل حتى شهيتى للحياة ..

لم انم ليلتها فقد اثقلتنى آلام نفسية شديدة ، وفى الصباح ارتديت ملابسى ، ودخلت عليه فى الحجرة ، فوجدت ان المدلك الذى يدلكه كل صباح يياشر عملية التدليك كعادته ، ليحلق دقنه بعد ذلك ثم ليياشر رياضته ، وياخذ حمامه الساخن او البارد — لا ادري — ويستعد بعد ذلك لتناول وجبة الافطار .

لم يغير نمطا واحدا من انماط حياته ، وكأن الاحداث الخطيرة التى تمر بها البلاد لا تعنيه فى كثير او قليل .

ألح على أن انتظر لتناول الافطار ، ولكننى تناولت فنجانا من الشاي وانصرفت ، على وعد بان اعود ، وأعتذرت بكل الاسباب بعد

ذلك عن اجابة دعوته ولم اره الا فى مساء ٩ يونيو .
تذكرت هذه الواقعة وانا اقرا ما كتبه - او كُتِبَ له - فى كتاب
« البحث عن الذات » وهو يصف نفسه بعد هزيمة ٥ يونيو :
« لم اكن اعرف ماذا افعل بنفسى ... كنت معتادا على ان
اخرج للمشى اربعة كيلومترات يوميا .. ولكن بعد ٥ يونيو كنت اسير
وحسب .. لم اكن ادرى كم من الزمن اسير ... عشرة كيلومترات ،
او اقل ، لا اعرف فقد استولى على ذهول غريب لم اكن استطيع معه
ان اتبين الزمن او المسافات او حتى المكان نفسه فى بعض
الاحيان . (ص ١٩٠) .

وما ابعد القول عن الحقيقة فى كل ما قال وكتب السادات :
وفى يوم ٩ يونيو وكانت جروحنا جميعا تنزف نتيجة الهزيمة ،
اتصل بى السادات تليفونيا وطلب منى الحضور الى منزله فى الهرم
لاسمع خطاب عبد الناصر معه .. قلت له اننى عازف عن الخروج
ولكنه الح على فى الحضور .

وسمعت معه خطاب عبد الناصر الذى اعلن فيه تنازله عن رئاسة
الجمهورية ، وفاجأنى قبل انتهاء الخطاب بانه كان مع عبد الناصر
ظهر اليوم وابلغه بفحوى الخطاب ونبه عليه بعدم افشاء ذلك لأحد .
قلت لقد كنت معك قبل الخطاب وتحديثنا عن كل شئ .. كان
يمكننا ان نتناقش وان نتحاور وان نتساءل وماذا بعد التنازل .
ولكن غلب عليه طابع التكتم واسلوب العمل السرى والتزام
التعليمات .

وتوقف عقلى عن القدرة على التفكير لم اقل الا عبارة واحدة .. هذا
يعنى امرا واحدا هو تصفية الثورة ..
سألته : ماذا انت فاعل ؟ .. قال : لا ادرى .

اعتقدت ان عبد الناصر أسرَّ له بذلك ليتدبر الامر ، وهو رئيس
لمجلس الأمة ، اذا استقال رئيس الجمهورية وجه كتاب استقالته
اليه وفقا لاحكام الدستور ، ولكننى ، لم اسمع منه اية اجابة .

انتصبت واقفا لأودعه .. سألنى اين انت ذاهب .. قلت بلا وعى : الى المجلس .
قال : خذنى معك .

كان يلبس قميصا وينطلونا وصندلا فى قدميه .. ملبس المنزل .
ركعب معى سيارتى وكنت اقودها بنفسى وكانت الجماهير قد بدأت تزحف الى الشوارع تنادى عبد الناصر بالبقاء .. قدت السيارة بكل صعوبة حتى وصلت الى بداية شارع القصر العينى ، اضطرت الى الانحراف يمينا فى شارع المواردى حتى وصلت الى شارع المبتديان ثم اول شارع نوبار واستحال علىّ بعد ذلك قيادة السيارة فقد غطت الجماهير الطريق امامنا .

تركت السيارة فى الطريق ، وترجلنا بكل صعوبة حتى وصلنا الى الابواب الخلفية للمجلس ، حيث كانت الجماهير تسد المنافذ الى ابواب المجلس فى شارع مجلس الامة .

واتصلت فور وصولى الى المجلس بالاذاعة لتذيع خبر الدعوة لعقد جلسة المجلس فى الساعة العاشرة مساء .

واخذت احاول ان استجمع شتات فكرى ، فقد كنت فى غاية الانفعال ، وضنّ فكرى على حتى بالكلمة ، وامتلئ مكتبى على سعته بالاعضاء ، وغير الاعضاء وكان من بين من توافدوا أختى الدكتورة لطيفة الزيات التى اعتقلها السادات فى حملته الارهابية فى ٣ سبتمبر ١٩٨٢ ليضمن ان بيتنا قد اغلق نهائيا (بالضبة والمفتاح كما كان يقول) ومعها زوج أختى صفية الدكتور محمد على الخفيف الذى قال السادات عندما علم بموته فى ابريل ١٩٧٢ :

« لقد سبقنى الموت اليه ، ولو عاش لانتقمته منه اقصى انتقام »
وكانت جريمة الخفيف التى لم يغفرها السادات ، انه وقف ، قبل وفاته بايام ، فى اللجنة السياسية فى الاتحاد الاشتراكى فى مواجهة سيد مرعى ، ليكشف عن اتجاهات الردة التى بدأت ، وكأنه كان يستشرف ، وهو قريب الى الله ، ما جرى لوطنه - الذى

وهب حياته من اجله - بعد ذلك .
جلسنا نحن الثلاثة ، الخفيف ولطيفة وانا ، في حجرة جانبية
لمكتبي وانتهينا الى اعداد مشروع القرار » نحن نقول لا لعبد
الناصر » .

أما السادات فقد كان في مكتبه يعد حجرة جانبية ملحقة لتكون
غرفة عمليات - كما أسماها - نصب فيها سريرا واستكمل فيها
وسائل الراحة ، واستحضر ملابسه الانيقة على عجل من منزله ،
واستعد ولا أدري لماذا استعد ... (وهو وحده الذي يعرف لماذا
استعد . وقد تكون هناك جهات أخرى - لا أعرفها - أوعزت اليه
بان يستعد واجتمع المجلس على ضوء الشموع ، فقد كانت حالة
الظلام الكامل معلنة ، وتلوت بنفسى القرار ووافق عليه المجلس
واخذت الاذاعة تذيعه تباعا .

واثار القرار مرة أخرى حفيظة عبد الحكيم عامر ، فقد كان ينتظر
ان يتضمن القرار دعوة المجلس له بالعدول عن الاستقالة ، رأسا
برأس مع عبد الناصر ، وكان قد اعلن استقالته في الاذاعة بعد تنحى
عبد الناصر .

وتتابعت الأحداث بعد ذلك وعدل عبد الناصر عن استقالته ..
وتفجر الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، وكانت
زيارات عبد الحكيم عامر للسادات خلال فترة الصراع هذه لا
تنقطع .

سألته مرة عما يتحدث عنه عبد الحكيم قال ان عبد الحكيم
يتحدث عن اعادة تنظيم القوات المسلحة ، وله رأى حول التركيز
على القوات الميكانيكية (اى القوات المحمولة وليست المشاة
حسب مافهمته وانا لا ادعى الفهم فى المسائل العسكرية) ..
وأضاف السادات : وأنا أجاريه ..

قلت له الا يعلم عبد الحكيم ان عبد الناصر قد فوض تفويضاً
كاملاً من مجلس الامة باعادة تنظيم القوات المسلحة ..

قال لى .. انا عارف .

ويمكن لى القول الان ، مع استقراء احداث ذلك الوقت ، ومع متابعتها بعد ذلك ، ومع استخلاص اسلوب السادات ، ان الفرصة قد واثته ليجمع كل المعلومات عن تحركات عبد الحكيم فى ذلك الحين ، ونقلها الى عبد الناصر .

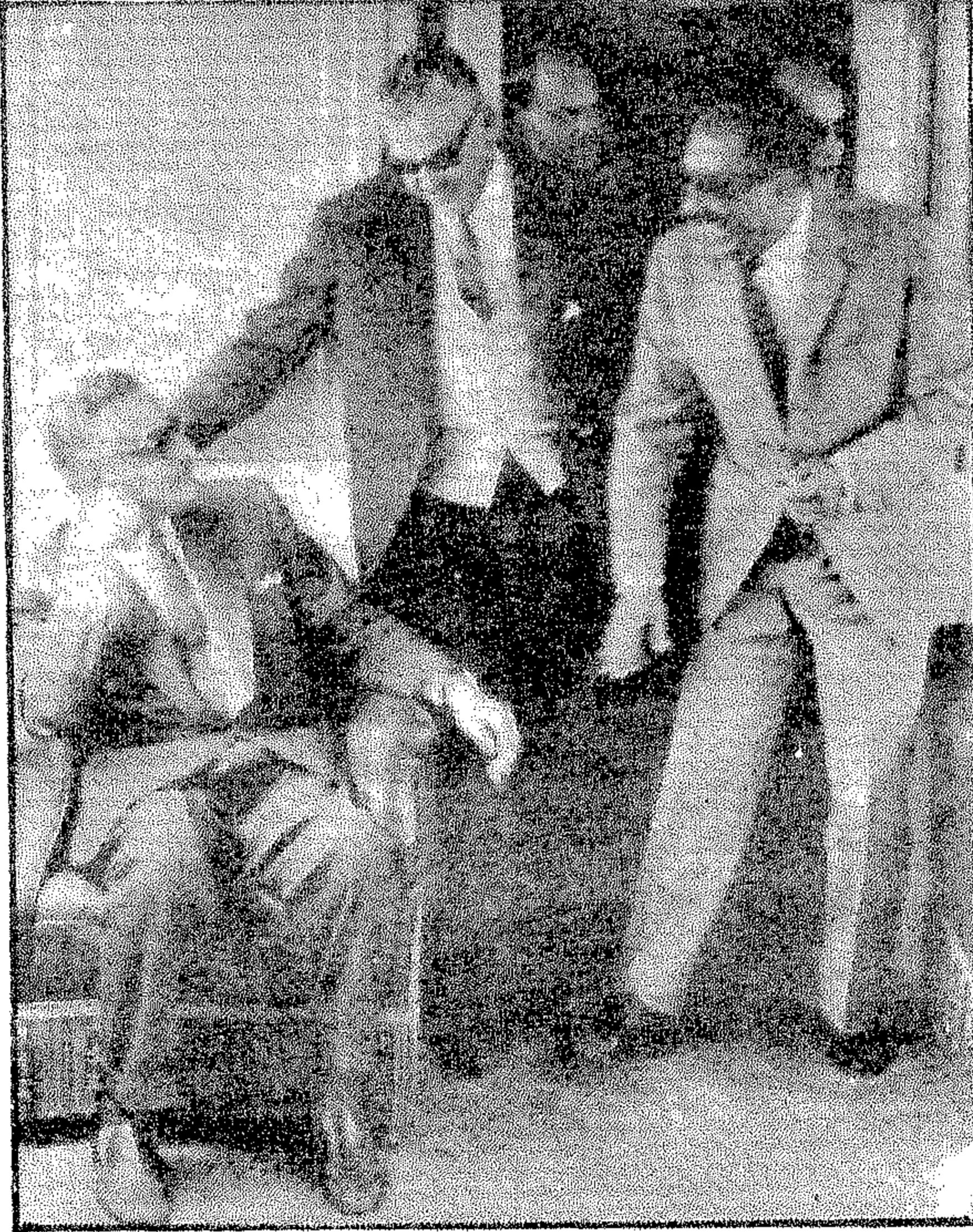
كان اسلوبه ان يبقى على علاقات طيبة مع الاثنين ، ليضمن المستقبل ، فقد كان امامه سابقة الصدام الذى حدث بين الاثنين ، فى اعقاب انفصام الوحدة بين مصر وسورية ، وخروج عبد الحكيم منتصرا من هذا الصدام .

وايا كانت النتيجة فسيكون على خير ووافق مع من ينتصر .. كان الواجب يدعوه ان يحاول اقناع عبد الحكيم بأن يبقى بعيدا عن الجيش ، ويترك المسئولية كلها لعبد الناصر ، ولكنه سكت عن هذا .. اقتناص الفرص ، والارتباط بالمنتصر ، ايا كان المنتصر . وعندما انتهى الصدام الى المقابلة الاخيرة بين عبد الناصر وعبد الحكيم فى منزل عبد الناصر ، وقرار عبد الناصر بفرض الإقامة الجبرية ، على عبد الحكيم ، وخروجه من المنزل فى رفقة الفريق محمد فوزى . كان على باب الخروج زكريا محيى الدين وحسين الشافعى والسادات ، وركز عبد الحكيم كل شتائمه وسبابه على رأس السادات وحده ..

وسألنى السادات بعد ذلك ، انا لا اعرف لماذا اختصنى عبد الحكيم بهذا الهجوم وقد كنت اقرب المقربين اليه .. سألنى ولديه الرد على سؤاله .

وبعد ذلك زاد السادات قربا الى عبد الناصر واصبحت زيارة عبد الناصر لمنزل السادات تكاد أن تكون منتظمة .

وسألت نفسى بعد ذلك .. الم يكن هذا من بين الاسباب التى حملت عبد الناصر على اختيار انور السادات نائبا للرئيس الجمهورية ؟



البكباشي « صح » يضحك عبد الناصر الذي لا يضحك

الفصل الخامس

العلاقة بين عبد الناصر والسادات

بعد صدور الميثاق سنة ١٩٦٢ ، واختيار الحل الاشتراكي طريقا للتطور الاقتصادي ، تسابق السادات مع غيره من القيادات ، ليحظى عند عبد الناصر بصفة الاشتراكي .

كانت تصييه الغصة ، عندما يردد عبد الناصر امامه ، انه ليس حوله من اشتراكي غير علي صبري . كنت امينا عاما لمجلس الامة وكان السادات رئيسا للمجلس ، وانا اؤمن بالاشتراكية قبل الميثاق وبعده ، وقبل السادات وبعده ، لم يتغير قط ايماني بالاشتراكية ، وكان السادات رئيسا لمجلس الامة في عهد عبد الناصر ، في عهد ينادي فيه عبد الناصر بالاشتراكية ، واذن فليتلقف كل كلمة أكتبها تمجيذا او تحبيذا للاشتراكية ، ولينغمها ويتغنى بها ، واذن فليطلب مني المزيد ، مادام ذلك السبيل الى التقرب من عبد الناصر .

هكذا عشت مع السادات طوال ما يقرب من سبع سنوات وهو رئيس لمجلس الامة ، وهو امين للجنة السياسية في الاتحاد الاشتراكي ، وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي ، كتبت عشرات الخطب التي القاها في مصر والخارج . وجاء الى القاهرة « ادوارد كاردل » في اول زيارة لمصر ، كان رفيقا للرئيس تيتو في حرب التحرير ، ورئيسا للجمعية الوطنية اليوجوسلافية ، وكان الى جانب ذلك المنظم للسياسة اليوجوسلافية ، وعلى وجه خاص لسياسة التسيير الذاتي ، التي تشكل اساس الاشتراكية المطبقة في يوجوسلافيا . كانت الزيارة تحظى باهتمام كبير من عبد الناصر ، وكان المضيف السادات بوصفه رئيسا لمجلس الامة . وفي حفل كبير . في فندق سمير

اميس ، اقسامه المجلس على شرف « ادوارد كاردل » ، وقف السادات ليرحب بالضيف وبالصدقة المصرية - اليوجوسلافية ، وبالرئيس تيتو ، وليتحدث عن الاشتراكية في الميثاق (والخطاب مكتوب بطبيعة الحال) .

وفي اليوم التالى جاء السادات الى المجلس بعد مقابلته للرئيس عبد الناصر مرافقا للضيف ، جاء وهويكاد يطير من الفرع .. لقد قال كاردل للرئيس انه استمع امس باهتمام كبير الى خطاب السادات وقد استطاع ان يستوعب الاسس العلمية فى اشتراكية الميثاق .. وانه قال (للرئيس) لابد ان السادات كان من بين مستشاريك فى اعداد الميثاق .. فقد كانت كلماته تعبر عن ايمان ثابت بالاشتراكية ..

قابلت « ادوارد كاردل » بعد هذا التاريخ بسنوات ، بعد ان تولى السادات رئاسة الجمهورية ، واجهض الميثاق واسقطه حتى من وثائق التاريخ ، قابلته خلال اشتراكي فى مؤتمر فى يوجوسلافيا . وكان مراد غالب سفير مصر فى يوجوسلافيا قد استقال احتجاجا على اتفاقات كامب ديفيد ، وتحدثنا طويلا عن الاحوال فى مصر وعن السادات ، كان الرجل حزينا مما يجرى فى مصر ، ومازلت اذكر عبارة قالها .. قال « ان الارتداد عن الاشتراكية هو ارتداد عن الديمقراطية وهو ارتداد عن الوطنية » .. وقد صدق فيما قال . وقد مات « ادوارد كاردل » منذ عامين وحزنت على الرجل الذى وقع فى مصيدة الخديعة التى وقعنا فيها « الازدواجية المقيتة فى شخصية السادات » .

كان الولاء الذى يظهره السادات لعبد الناصر لاحدود له ، بل ما كان عبد الناصر ليجد ولاء عند اى انسان عرفه ، مثل ما توهم من ولاء السادات له ، وعلى طول علاقتى بالسادات لم اسمعه سوى مررد الكل ما يقوله عبد الناصر ، متحمسا لكل قراراته ، ايا كانت هذه القرارات .. والامثلة التى عايشتها كثيرة وشاملة ولكننى

اكتفى ببعض وقائع — بعيدة عن السياسة — ولكنها قد تكون فيها الدلالة على صورة الولاء التي كان السادات يريد ان يكون متميزا بها لدى عبد الناصر .

كان لابد ان يزور بيت عبد الناصر صباح كل يوم . خاصة في السنة الاخيرة لمرضه ، وكان يبادر عبد الناصر بأكلشيه يومي « صحتك يا ريس اهم من كل شيء .. حتى اصبح يطلق عليه من اسرة عبد الناصر ومن كل من في منزل عبد الناصر ، عند وصوله الى منزل عبد الناصر ، « صحتك ياريس وصل » .

اذكر في ١٩٦٩ خلال المؤتمر القومي العام ، وبعد عودة عبد الناصر من العلاج في الاتحاد السوفيتي ، وكنت أجلس في منصة الرئاسة الى يسار عبد الناصر بوصفي الأمين العام للمؤتمر ، وكان السادات يجلس مع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا في الصف الأول من القاعة .

ورغم مرض عبد الناصر فقد بعث الحياة في مناقشات هذا المؤتمر ، وكان اول مؤتمر يعقد للاتحاد الاشتراكي . كان من طبيعة عبد الناصر ان تلمع عيناه ، ويشع وجهه ، ويتحفز عقله لكل صغيرة وكبيرة ، خلال مناقشة اي امر من الامور ، وكان مستعدا دائما خلال مثل هذه المناقشات ان يتحدى وان يقبل التحدي وان يحاور وان يتحاور .

كانت جلسات المؤتمر تطول بالساعات ، وهو يتحامل على الام ساقه اليسرى المضابة ، ويحاول ان يسكن الالام المتزايدة بتدليكها بيده اليسرى ، ويحافظ على حضور عقله وفكره وكل خلجة في نفسه الحضور الكامل ، لتأخذ مناقشات اعضاء المؤتمر وتعليقاتهم غايتها كاملة — بلا ملل او ضيق من جانبه ..

ولم يكن يشغل السادات وهو جالس في الصف الامامي الا ان يرسل لي — لا ابالغ اذا قلت كل خمس دقائق — بورقة « قول

للريس ، انور بيقول لك كفاية ..

عرضت ورقة واثنين وثلاثة على عبد الناصر ولكن اوراق السادات اخذت تتكدس امامى وهويشير على بأن اعرضها ، اخذت تتكدس حتى تجاوزت اوراق الاسئلة والاستفسارات وطلبات الكلام من الاعضاء .

واسرع السادات الى عبد الناصر وهو فى طريقه الى الخروج من قاعة الاجتماعات « انا بعت لك الف ورقة يا ريس علشان صحتك ، والزيات ما عرضهاش عليك .. رد عبد الناصر : الزيات عرضها . » وحدث ان حدد لى السادات موعدا للقاءه فى منزله فى الجيزة ظهر احد الايام فى الاشهر القليلة الاخيرة من حياة عبد الناصر ، وانتظرته فى المنزل فلم يصل الا بعد الساعة الثانية بعد الظهر . قال اعمل ايه ... اكل الريس .. الدكاترة الروس واضعين اكل الريس « رجين صعب » وبيتصلوا من موسكو يوميا للتأكد على ضرورة التزام الرئيس بهذا النظام .. انا وجدت اضمن شىء أن اشرف على تحضير اكل الريس ...

النهاردة طبخت للريس رز ... هو بيحب الرز ولكن ممنوع منه علشان النشا .. الله يستره عبد الله (يقصد عبد الله المبارك الصباح) احضر لى ارزا خاصا من ايران خال من النشا .. الريس كان مبسوط قوى النهاردة علشان اكل رز .

اي صورة من صور الحب والولاء والصداقة والتقدير والاعزاز والاحترام ، كان يمكن ان يلقاها عبد الناصر ، اعظم واروع من هذه الصورة ، وعلينا بعد ذلك ان نتابع ما جرى بعد ان تهيأت الفرصة للسادات ليكشف عن صورته الحقيقية ، علينا ان نتابع ما جرى ، لنحكم على الفارق بين ظاهر الصورة وباطن السريرة ..

ونكتفى الان بالاشارة الى واقعة حدثت ونحن فى وزارة عزيز صدقى بعد ان نحانى السادات عن مركز السكرتير الأول للجنة المركزية وعيّننى نائباً لرئيس الوزراء . فقد شكلت فى ذلك الحين

لجنة للسياسات برئاسة عزيز صدقي وعضويتي وعضوية وزير الداخلية ممدوح سالم ووزير الحربية محمد صادق ووزير الاعلام عبد القادر حاتم ووزير الخارجية مراد غالب ، وفي اجتماع من اجتماعات هذه اللجنة أشار عزيز صدقي الى ان السادات توقف عن الاشارة الى الاشتراكية في خطبه وأجاديثه ، وان هذا يحمل معاني تفسر بما قد لا يقصده السادات نفسه ، وان علينا ان ننقل هذه الصورة للسادات ، كما اثير في هذا الاجتماع اقتراح باقامة تمثال لعبد الناصر على القاعدة الخالية في ميدان التحرير ، وقد أيدت عزيز صدقي في كلا الموضوعين .

وما كدت أصل إلى منزلي بعد ظهر هذا اليوم ، وبعد إنفضاض إجتماع اللجنة بما لا يزيد على النصف ساعة ، حتى تلقيت مكالمة من السادات حمل فيها حملة ضارية على ما قيل في اللجنة مؤكدا ان على كل واحد منا ان يعرف حدوده ولسنا نحن الذين نرسم له السياسة التي يسير عليها كما أبدى امتعاضه الشديد من فكرة تمثال لعبد الناصر ورفضه لها رفضا قاطعا ...

لم اعرف كيف وصلت الاخبار بهذه السرعة الى السادات ، ولكنني تبينت بعد ذلك ان احد الوزراء البارزين ، كان مكلفا بأن يقدم تقارير شفوية ومكتوبة للسادات ، وكانت كلها تنتهي بلفظ « أفندم » وهو الأكلشي المعروف في التقارير المباحثية ..

وكان اخر لقاء لي مع عبد الناصر ، خلال جلسات المؤتمر القومي الذي عقد في يوليو سنة ١٩٧٠ ، وكنت امينا عاما لهذا المؤتمر .. كان من عادة السادات ان يذهب مبكرا الى بيت عبد الناصر ليكون في رفقته في طريقه الى جلسات المؤتمر ..

وفي يوم من ايام المؤتمر جاء عبد الناصر وحده ، واخذني معه وهو في طريقه الى الصالون الملحق بقاعة الاجتماعات ، وسألني فين انور ...

أجبتة بانني لم اره اليوم فقد كنت مستغرقا تماما في اعمال

المؤتمر ..

فكان رده ... » ازای سبته (اوعى تسيبه يازيات .. خليك دائما معاه)

كانت هذه الكلمات في حضور القيادات التي اعتادت ان تكون في استقبال عبد الناصر وفي حضرته ، ومضى عبد الناصر الى رحاب الله قبل ان يمضى شهر على هذه الكلمات .

وترسبت هذه الكلمات في عقلي وكأنها وصية لي من بعد عبد الناصر .. وكأن عبد الناصر كان يستشرف المستقبل ببصيرته وهو قريب الى ربه .

واشهد الله أنني لم اتنكر لوصية عبد الناصر ، وحاولت ما في طاقتي ، وما في قدرة انسان ان يفعله وما في طاقة بشر ان يتحملة من تنكيل وتشهير ظالم باغ وحرب مشرعة .

حاولت وانا قريب من السادات وانا بعيد عنه ، بالرأى ساندته وبالرأى عارضته .. وبالقناعة وقفت الى جانبهِ وينفس القناعة خالفت نزعاته .

كان دليلي حكمة عربية قديمة سمعتها مرات من عبد الناصر « صديقك من صدقك القول لا من صدقك » صديق العلانية وصديق السرية .

عجبت وانا اقرأ كتاب « البحث عن الذات » الذي كتبه السادات ، او من كتبه للسادات ، وهو مجرد عبد الناصر من مشاعر الحب والصداقة والوفاء .

يقول الكتاب :

« فلم يكن من السهل على عبد الناصر ان ينشئ » علاقة صداقة بمعنى الكلمة مع اى انسان وهو المتشكك دائما - الحذر - المليء بالمرارة .. العصبى المزاج ..

(ص ١١٤ من البحث عن الذات .)

كذلك لم يكن لعبد الناصر صداقات بالمفهوم البسيط لمعنى الصداقة . اما صداقتى له فكانت تعتمد على قيمة انسانية كبيرة من القيم التى شكلت حياتى منذ الطفولة وهذه القيمة هى السوفاء (١٨٩ و ١٩٠ من وصيتى) .

وانا اقول وقد عايشته الاثنى عشر سنة عبد الناصر والسادات ان عبد الناصر احب السادات وانه كان حريصا على هذا الحب ، رغم المطاعن والشكاوى والتقارير التى كانت تصل اليه حول تصرفات السادات وانه حاول ان يبقى على هذا الحب ، وان يحمى السادات من نفسه فى كثير من الاحيان . وهناك قصص كثيرة تدل على ذلك ، حكى السادات قصة منها فى كتاب « البحث عن الذات » ، فقد قرر السادات فى اواخر الخمسينيات وهو عضو فى مجلس قيادة الثورة ان يقدم حديثا اسبوعيا فى اذاعة صوت العرب يتلقى عنه اجرا .

يقول السادات فى كتاب « البحث عن الذات » فى خصوص هذا الموضوع ما يأتى :

سالنى عبد الناصر عن احاديثى فى صوت العرب .. وقال ان الاذاعة دفعت لى حوالى ٤٠٠ جنيه مقابل تلك الاحاديث .. قلت نعم - .. فعلا حدث .. واستمر عبد الناصر فى كلامه بما يشير الى أن الناس سوف تتكلم وإن كلام الناس كثير ... الخ (٩٤ ، ٩٥ من البحث عن الذات) ويحاول السادات فى كتابه أن يغطى مثل هذا التصرف بتبرير ما ، بأنه كان قد كون جمعية باسم مسجد ميت ابو الكوم ، وان شيك الاذاعة تسلمه صندوق الجمعية كما هو . وطبيعى ان هذا تبريرا لم يقله السادات لعبد الناصر ، لأنه كما يقول مرارا فى كتابه لم يضع نفسه يوما فى موقع الدفاع امام انسان . (ص ٩٥)

وقصة اخرى عايشتها ، ففى بداية الستينيات جاء عبد الناصر لزيارة دمياط ، وكان معه السادات ، واقام ليلة فى رأس البر فى فندق اخترناه ، بعد أن رفض ما عرضه عليه حمدى عاشور ،

وكان امينا للاتحاد القومي لمحافظة دمياط في ذلك الحين ، من المبيت في شاليه لأحد الراسماليين في دمياط ، وحدث خلال وجود عبد الناصر في رأس البر ، ان عرضت عليه بعض التقارير ، ومن بعضها تقرير عن تصرفات مالية خاصة بالمؤتمر الاسلامي ، الذي كان يتولى السادات منصب السكرتير العام له ، والموضوع يتعلق بشيك بعشرة الاف من الجنيهات تبرع بها احد مشايخ الخليج باسم السادات سكرتير عام المؤتمر ، وتراخى إثبات هذا الشيك في حسابات المؤتمر .

وحاسب عبد الناصر السادات حسابا عسيرا ، وارتفع صوته حتى سمعه البعض ممن كان في خارج حجرته في الفندق ، كان ممن بين ما قاله للسادات :

« يا اخي خلصني بأه .. انت حتقعد عبء على طول العمر » سمعت ذلك وكان معي حمدي عاشور ، وبعض افراد من سكرتارية الرئيس ولم يرد عليه السادات في هذه المرة .. الم يكن من عادته الا يضع نفسه يوما موضع الدفاع امام إنسان ! .. ولكن السادات احس بعد هذا الحساب بارهاق شديد ، اضطررنا بعده الى نقله في عربة اسعاف خاصة الى منزله في الهرم ، مع الطبيب الخاص الذي كان يرافق عبد الناصر .

وقيل يومها كما قيل في مرات مماثلة - ان السادات اصيب بازمة قلبية ، والله وحده يعلم هل السادات كان حقيقة مصابا بمرض القلب .

لم يشر السادات في كتاب "البحث عن الذات" الى هذه الواقعة ولكنه اشار الى انه في تاريخها اي سنة ١٩٦٠ « شعر ان عبد الناصر قد بدأ يأخذ موقفا مني ربما نتيجة لوشايات مغلظة وصلتته - فقد كانت لديه عادة الاستماع الى الوشايات .. اللهم اني كالعادة في مثل هذه الأحوال كنت أيضا أخذ موقفا منه فاعتكف او

ابتعد عنه الى ان يعود الصفاء الى نفسه فيتصل بى ... وتزول الجفوة (ص ١٦٩) .

وكأن الاعتكاف أو الابتعاد هو موقف ، وليس هروبا من المواجهة أو انعدام المواجهة .

مرة ثالثة يتكرر حدث مماثل ، وتأتى روايته خلال وقائع قصتنا عن زيارة السادات لأمريكا فى سنة ١٩٦٦ ، وهو الخاص بالشيك الذى ادعى السادات إنه منحة من الشيخ (الأمير) عبد الله المبارك الصباح بعشرة آلاف دولار صرفها السادات من بنك بلجيكا .

وفى هذه المرة ايضا لم يضع السادات نفسه موضع الدفاع امام عبد الناصر أو غيره من الناس ولكنه مضى الى ميت ابو الكوم ، ليعتكف فيها بدعوى المرض .

وتأتى بعد ذلك قصة المنزل الفخم الذى يقع على النيل ، الذى يملكه اللواء الموجى والذى استجاب السادات لأطماع السيدة حرمه فى تملكه ووضع اللواء الموجى تحت الحراسة فى غيبة جمال عبد الناصر عن مصر - ليسهل للسيدة حرم السادات الاستيلاء عليه وعاد عبد الناصر ليعالج هذا التصرف المشين وليعيد اللواء الموجى منزله، ويخصص فيلا على النيل فى الجزيرة لاقامة نائب رئيس الجمهورية .

وفى هذه المرة استطال الجفاء بينه وبين عبد الناصر وكاد الأمر يعصف به كنائب لرئيس الجمهورية فقد كانت حالته النفسية تنبئ بأنه ينتظر أمرا وإن كان لم يكشف لى عن هذا الأمر ولكن الكتابة التى أحاطت بمنزله فى الهرم فى الفترة التى سبقت وفاة عبد الناصر كانت تنبئ بالكثير .



لا اسمع .. لا ارى .. لا اتكلم (! !)

الفصل السادس

لماذا اختار عبد الناصر السادات نائباً له

تعرضنا في مناسبات سابقة إلى السؤال الحائر لماذا اختار عبد
الناصر السادات نائباً له في ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ ، وقد تعرض البعض
لنفس هذا السؤال الحائر ، وقالوا إن هذا الاختيار كان مؤقتاً ،
ولمواجهة مقتضيات معينة ، إذ وصل إلى عبد الناصر ، قبل سفره
إلى المغرب لحضور مؤتمر القمة العربية فيه ، معلومات تفيد أن
هناك مؤامرة لاغتياله ، فلجأ على عجل إلى اختيار السادات لهذا
المركز ، وأقسم السادات اليمين أمام عبد الناصر في المطار وقبل
السفر مباشرة .

قد تكون هذه الاجابة صحيحة ، وهي تتناسب مع الظروف التي
كانت قائمة في ذلك الحين ، فقد كان السادات أقرب شخص من
اعضاء مجلس قيادة الثورة إلى عبد الناصر ، وخاصة بعد الهجوم
الذي شنّه عليه عبد الحكيم عامر قبل إنتحاره ، وقد أشرنا إلى ذلك في
موضع سابق .

إلا أننا نستطيع ان نستشف عاملاً آخر ، من خلال تتابع
الاحداث ، وترابط الوقائع والتسلسل التاريخي ، فخلال الفترة
التي جرى فيها اختيار السادات نائباً لرئيس الجمهورية ، كانت
إسرائيل قد كثفت مخططاتها في اذلال عبد الناصر والحكومة والشعب
المصري إلى اقصى درجات الاذلال ، وكان الهدف من ذلك هو اظهار
مصر في مظهر العجز الكامل ، والتعجيل بالتخلص من النظام
واجهاض فكرة الاتحاد بين مصر والسودان وليبيا ، التي كان
يخطط لها عبد الناصر في ذلك الحين .

ففي شهرى يوليو وسبتمبر عام ١٩٦٩ بدأ العدو الاسرائيلي
يتسلل خلال دفاعاتنا الجوية لضرب اهداف عسكرية واقتصادية في

العمق المصرى ومنذ اواخر هذا العام بدأ العدو فى استخدام طائراته الفانتوم ٤ التى زودته حديثا بها الولايات المتحدة والتى مكنته من اختراق دفاعاتنا على ارتفاعات منخفضة فى ضربات متلاحقة فى العمق المصرى شملت المصانع والمدارس وغيرها من المرافق الى جانب الأهداف العسكرية .

لقد كانت هذه الفترة من اشد الفترات قسوة على عبد الناصر ، ولم يكن يستطيع ولا كان الشعب نفسه بقادر ، على ان يتحمل مثل هذا الازلال المستمر ، ولا مثل هذه الضحايا اليومية .

ولم يكن هناك من حل غير تطوير دفاعاتنا الجوية والارتفاع بكفاءاتها وقدراتها واستعدادها لتكون قادرة على وقف العريضة الاسرائيلية فى العمق المصرى . وقام عبد الناصر بزيارة سرية الى موسكو من ٢٢ - ٢٥ يناير سنة ١٩٧٠ لهذا الغرض وقد سمحت لى الظروف ان اطلع على محضر المحادثات التى جرت بين عبد الناصر والقادة السوفيت حول هذا الموضوع .

كان عبد الناصر حاسما ومحددا فى طلباته ، وقد تركزت هذه الطلبات فى وحدات كاملة من الصواريخ سام ٢ بأفرادها السوفيت واسراب كاملة من الميج ٢١ المعدلة بطيارين سوفيت و اجهزة رادار متطورة للإنذار والتتبع باطقم سوفيتية . ويرر هذه الطلبات وغيرها بأن الزمن ليس فى صالحنا لأن تدريب الأطقم المصرية والطيارين المصريين على الأسلحة الجديدة سوف يستغرق وقتا طويلا .

وانتهى عبد الناصر الى القول

ليس امامى الا خيارين ، اما ان توافقوا على طلباتى كاملة ، واما ان اعود الى مصر وأواجه الشعب المصرى بالحقيقة . سأتقوّل لجماهير الشعب ان الوقت حان لأن اتنازل لرئيس يكون مواليا لأمريكا ، فانا لم استطع حمايتهم ، وعلى هذا الشخص ان يتولى ذلك .

ان لدى من الشجاعة ان اواجه شعبنا بالحقيقة ولن اكون هذا الشخص الذى يستسلم لأمريكا... سيأتى شخص ليحل محلى وسيكون عليه ان يفعل ذلك .. كان اللقاء متوترا كما تنطق به سطور محضره وانتهى بأن وعد الرئيس بريجنيف بعرض هذه الطلبات على مجلس السوفيت الأعلى وبالعفل بسرعة لاجابة طلب الرئيس عبد الناصر . وفى جلسة المباحثات التى جرت فى ٢٥ يناير ١٩٧٠ أعلن الرئيس بريجنيف موافقة اللجنة المركزية ومجلس السوفيت الأعلى على طلب الرئيس عبد الناصر وقال انها اول مرة يخرج فيها جندى سوفيتى من الاتحاد السوفيتى الى دولة صديقة منذ الحرب العالمية الثانية ، ثم تلا بعد ذلك قرار مجلس السوفيت الاعلى ونظرا لان هذا القرار يمثل نقطة تحول كبيرة فى مسيرة الصراع الغربى - الاسرائيلى وحدثا تاريخيا هاما بالنسبة للاتحاد السوفيتى فاننا نوجز نقاطه فيما يلى :

١ - امداد مصر بفرقة كاملة من صواريخ سام ٣ بافرادها ومعداتھا واجهزتها وحملتها وأسلحتها المعاونة من فرق الدفاع الجوى للاتحاد السوفيتى على ان تصل الى موانى مصر فى خلال شهر واحد ، وان تعمل تحت القيادة المصرية لأغراض الدفاع الجوى عن العمق المصرى

٢ - امداد مصر بقوة ٣ لواء جوى كامل من ٩٥ طائرة ميج ٢١ معدلة بالمحرك الجديد بالقيادة والطيارين والموجهين والفنيين السوفيت واجهزتها ودراراتها للانذار والتوجيه والمعدات الفنية والعربات وأن توضع هذه المعدات والأطقم تحت القيادة المصرية للمساهمة فى الدفاع الجوى عن العمق المصرى ، على أن تصل خلال شهر ، ذلك الى جانب عدد من طائرات السوخوى وموتورات لتطوير طائرات الميج العاملة فى سلاح الطيران المصرى .

٣ - امداد مصر بأربعة اجهزة رادار متطورة لرفع كفاءة الانذار الجوى فى شبكة الدفاع الجوى المصرى .

٤ - تتولى مصر تجهيز الدفاعات والتحصينات والمرافق الانشائية لهذه المعدات بحيث تكون جاهزة في الأماكن التي تخططها القيادة العسكرية المصرية قبل وصول هذه المعدات السوفيتية إلى مصر .
٥ - اعتبار تواجد الجنود السوفيت مؤقتا لحين استكمال تدريب اللوآت المصرية من قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية في مراكز تدريب الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة في وقت واحد وعندئذ يعود الأفراد السوفييت الى دولتهم .

وقد وصل الدعم السوفيتى وافراده الى ميناء الاسكندرية تحت حماية الاسطول السوفيتى يوم ٢٥ فبراير ١٩٧٠ اى فى الموعد الذى حدد فى المباحثات المذكورة .

وكانت قد بدأت فى مصر ملحمة اعداد وتجهيز الانشاءات الهندسية لمواقع الصواريخ وانتهت هذه الملحمة بعد مجهود متواصل وتضحيات متصلة وقعت من العاملين فيها من قادة وضباط وجنود وحدات ادارة المهندسين والعسكريين وعاملين من جميع شركات المقاولات للبناء والتشييد والطرق من القطاع العام والخاص من رجال ونساء وتمت هذه الملحمة الوطنية خلال تسعة وثلاثين يوما .

واعود الى محضر الاجتماع فأقول انى خرجت من قراءة هذا المحضر بانطباع ان عبد الناصر كان مصمما على التنازل عن رئاسة الجمهورية اذا لم يكن قد وصل الى هذا الاتفاق الذى تحقق مع تنفيذه بروح التعاون البناء بين الجانبين المصرى والسوفيتى . وتوقف التسلل الجوى الى العمق المصرى اعتبارا من النصف الثانى من شهر ابريل ١٩٧٠ .

ويبقى بعد ذلك التساؤل عن الشخص الذى كان يعنيه عبد الناصر « برئيس موال لأمرىكا » وهل كان عبد الناصر يعد لشيء مثل هذا عندما بادر الى تعيين السادات نائبا له قبل شهر واحد من هذه المحادثات التاريخية . لقد كان يقدر - كما جاءنى محضر

المحادثات المذكورة - ان القرار الذي يطلبه من السوفيت قرار تاريخي خطير يدفع بهم الى مشاركة فعلية في العمليات العسكرية ، وان احتمال موافقة السوفييت عليه احتمال ضئيل .

وعلى اى حال فان الطبيعة الوقتية لتعيين السادات لرئيس الجمهورية متحققة في كلا الفرضين فقد كان عبد الناصر قبل وفاته ، على تصميم اكيد على اعادة تنظيم الدولة . واذا كان قد تأخر عن اعادة تنظيم الدولة خلال الفترة التي اعقبت تعيين السادات في ديسمبر ١٩٦٩ وبعد زيارته لموسكو وحتى وفاته في سبتمبر ١٩٧٠ ، فقد كانت هناك أسباب ضاغطة على مصر ، فرضت اوليتها على غيرها ، شغلت عبد الناصر عن غيرها ، منها مشروع روجرز واستثماره لصالح المعركة ، وازمة تحريك قواعد صواريخ سام ، ثم الازمة العربية الكبرى ، وهى ازمة تصفية المقاومة الفلسطينية ، في ايلول الأسود (سبتمبر) . ويجمع بعد ذلك من كتبوا عن عهد السادات ، ان عبد الناصر كان قد بدأ فعلا في اجراء بعض الاتصالات في الايام القليلة السابقة على مذبحة ايلول الأسود ، تمهيدا لاعادة تنظيم الدولة ، وهذا ما تأكد لي حسب المعلومات التي وصلتني في ذلك الحين .

فقد جرت اتصالات مع عبد اللطيف البغدادي كما جرت اتصالات مع زكريا محيي الدين ، وأقدمية البغدادي بين اعضاء مجلس قيادة الثورة تؤهله لمنصب نائب رئيس الجمهورية كما أهله من قبل لمنصب رئيس مجلس الامة وكان عبد الناصر يضع الاقدمية بين اعضاء مجلس قيادة الثورة موضع الاعتبار الأول في كل تصرفاته . ورغم هذا يبقى السر مغلقا لم تتضح حقيقته بعد ، والذين يعرفون لا يريدون ان يبيحوا بما يعرفون . قد يكون السر الذي كان يخشى السادات ان يبوح به سامي شرف خلال محاكمات قضية مايو - والذي أشرنا اليه في موضع آخر - هو المفتاح لكثير من الأسرار التي مازالت مغلقة .



الفصل السابع

الشيك المشبوه والكرسي الهزاز

كان ذلك في سنة ١٩٦٦ عندما زار السادات الولايات المتحدة الأمريكية أول زيارة له وكان رئيسا لمجلس الأمة في ذلك الحين ، ولهذه الزيارة قصة بل قصص .

اعتاد « المستر رايت » المستشار العمالي في سفارة الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو أمريكي أسود ، زيارتي في مكتبي في مجلس الشعب بين الحين والحين ، وكنت ارتاح اليه لأرائه الليبرالية ، ولنقده لسياسه بلاده في الشرق الأوسط وفي بعض المناطق الأخرى ، وكان حريصا على ان يرتب لي زيارة للولايات المتحدة الأمريكية وأذكر مرة إنه جاءني بدعوة على النقطة الرابعة ، أو مشروع فولبرايت لا أذكر وقال ان هذه الدعوة لا تناسب مركزي فهي توجه الى الموظفين العاديين ، ولكنه يتعهد ان يضع مع وزارة الخارجية الأمريكية ترتيبات خاصة لهذه الزيارة يشرف عليها السفير الأمريكي بنفسه .

ولم أبدأ قبولا للدعوة ، فقد كنت من البداية متحفزا على قبول دعوة على النقطة الرابعة أو غيرها لما لمثل هذه الدعوة من إحياءات سياسية .

وكان مستر رايت في كل مرة يزورني يستعجل قبولى للدعوة. وكنت أمهله في كل مرة ومن خلال حديثنا حورت صيغة الدعوة ، من دعوة شخصية الى دعوة لوفد من أعضاء مجلس الشعب ، وجاء في مرة وهو سعيد لينقل الى أن وزارة الخارجية رحبت بهذه الفكرة وانها على استعداد لاستقبال وفد برلماني برئاسة رئيس مجلس الأمة . حدثني عن البروتوكول في دعوة الشخصيات الأجنبية فوزارة الخارجية الأمريكية هي التي توجه الدعوة دائما سواء كان الضيف

حكوميا او برلمانيا والكونجرس الامريكى لا يوجه دعوات ، وان الزيارة وان كانت أساسا على النقطة الرابعة الا ان وزارة الخارجية افادت بانها ستكون لها ترتيبات خاصة .

لم اكن قد عرضت هذه الفكرة على السادات لاننى كنت مترددا منذ البداية فى قبول دعوة على « النقطة الرابعة » او مثيلتها ورأيت امام هذا التعديل الذى اخطرني به مستر رايت ، ان أعرض الامر على السادات .

لم يكن السادات ليبدى رأيا فى مثل هذا الموضوع الا بعد الرجوع الى (الرئيس) وهو اللفظ الذى كان يستخدمه دائما فى حديثه الى عبد الناصر شخصيا او تليفونيا ، او فى حديثه عن عبد الناصر ولم اسمعه طوال سنوات عملى معه يتحدث عن عبد الناصر باسم جمال مجردا ...

ابدى السادات ترحيبا كبيرا بالفكرة ، وبدلا من ان يرفع هو الامر للرئيس جمال عبد الناصر ، طلب منى ان اعد مذكرة بالموضوع مقدمة منى شخصيا الى الرئيس .

وبعد عدة ايام طلبنى السادات واطلعنى على تأشيرة « الرئيس » وكانت التأشيرة « لا مانع اذا كان الزيات مطمئنا الى معاملة الوفد المعاملة المناسبة » - وأضاف السادات بعد ان اطلعنى على تأشيرة الرئيس « لقد اصبحت انت المسئول .. وكنت دائما معه المسئول » ...

واخذنا فى اقتراح اسماء اعضاء الوفد ، وفى اجراء الاتصالات لتحديد موعد سفره ، ورأيت ان تكون رئاسة الجمهورية على صلة دائمة بالموضوع ، مادامت قد حملتنى هذه المسئولية .

وبعد تشكيل الوفد طلب منى السادات اضافة اسم طناشى راند وبلو ، بدعوى انه استجاب لرجائه فى ان يكون عضوا فى الوفد ، لان ابنته تتلقى دراساتها فى الولايات المتحدة ، وهو يريد ان يزورها

ويطمئن عليها ، كان طناشي راند ويلو ، وهو متمصر من اصل يوناني ، مديرا لشركة جناكليس الى جانب عضويته للمجلس .
لم يلفت نظري طلب السادات اضافة اسم راند ويلو الى اعضاء الوفد في ذلك الحين ، ولكن كان لا بد ان يلفت نظري هذا الطلب وبشدة بعد ذلك بسنوات ، ففي سبتمبر سنة ١٩٧١ اتهم راند ويلو بالتجسس على المطارات المصرية والطائرات السوفيتية وعلى الخبراء السوفيت في منطقة جناكليس لصالح المخابرات الامريكية ، وصدر امر بالقبض عليه وعلى إلمس سيفين هيريس سكرتيرة قسم الفيزاب بالقنصلية الامريكية التي كانت الاتصالات بالمخابرات الامريكية تجري عن طريقها ، وانتحر راند ويلو في سجنه ورحلت السكرتيرة الامريكية واغلق الملف .. وتم ذلك كله بأوامر مباشرة من السادات رئيس الجمهورية .. واتسمت كل الاجراءات التي لازمت هذا الموضوع بالسرية الكاملة والعجلة الشديدة

وتذكرني هذه الواقعة بواقعة اخرى ، وقد يبدو للوهلة الاولى التباعد بين الواقعتين ، ولكنني وانا اطل على الواقعتين من بعد ، وعلى تطور الأحداث وتتابعها يبدو الارتباط قائما بينهما .
فقد طلبني السادات وهو رئيس لمجلس الامة وقال انه يريد ان يعطى علوى حافظ وكان عضوا في المجلس في ذلك الحين ثلاثة الاف جنيه كسلفة يردها على اقساط وكان ذلك في شهر مارس ١٩٦٦ ، عارضت هذا معارضة شديدة وقلت له ان المجلس ليس بنك تسليف ، وقلت اننا نستطيع ان نقرض العضو مكافأة شهرا او شهرين لظروف طارئة ، ونقسطها عليه بما يضمن استردادها قبل نهاية عضويته ، وهذا ما اسير عليه ، اما مثل هذا المبلغ الكبير فلن يستطيع علوى حافظ ان يرده حتى لو دفع كل مكافأته الشهرية اذ يحتاج في هذه الحالة الى ٥٠ شهرا ولم يبق من مدة المجلس غير سنتين .

قال : إنه سيدفع ٤٠ جنيها قسطا شهريا .

قلت : فان هذا يزيد المسألة صعوبة فانه يحتاج الى ٧٠ او ٨٠ شهر اليرد المبلغ .
صمم على ذلك بصورة غريبة .

قلت : ارجو ان تؤثر بهذا الامر بنفسك فانا لا اتحمل مسئوليته .

وصرف علوى حافظ المبلغ وكان لابد ان يلفت نظرى تصميم السادات على منح علوى حافظ هذه السلفة ، كان لابد ان يلفت نظرى ويشد ما نشره علوى حافظ بمذكراته فى الاخبار ، عن اتصاله بأحد الباكستانيين من عملاء المخابرات الامريكية ، والذي أراد تجنيده لخدمة المخابرات المركزية الامريكية .

كما لفت نظرى هذا التصميم ويشد وانا اتابع كلمات علوى حافظ فى جلسات مجلس الأمة فى ١٩٦٨ وما فيها من مهاجمة مزيرة لعلى صبرى واتهامه له بنشر الشيوعية والاحاد ، واتهام منظمة الشباب بأنها منظمة شيوعية .

وقد وجدت فى اوراقى القديمة اصل الطلب المقدم من علوى حافظ الى السادات مع تأشيرة السادات بمنحه مبلغ ٣٠٠٠ جنية ارفقه فى نهاية هذه القصة .

ولم يتوقف السادات عندما اصبح رئيسا للجمهورية عن اصدار اوامره لرؤساء المجالس المتعاقبين بصرف القروض التى طلبها علوى حافظ .

ولا ادري لاي رقم فلكى وصلت هذه القروض ، أو مجموعة القروض التى أمر السادات رؤساء المجالس المتعاقبين ، بصرفها لبعض الاعضاء من ذوى الخطوة .. وقد قرأت مرة انها وصلت الى اكثر من نصف مليون جنية ، بل وتجاوزت ذلك بكثير ولم ترد او تتخذ اى اجراءات لاستردادها ... واعود بعد ذلك الى رحلة امريكا

بعد ان اخطرت السفارة الامريكية باسماء اعضاء الوفد واتفقنا على موعد السفر طلب منى السادات ان اجرى اتصالات مع السفير الامريكى لسفر السيدة حرمه ، وطبيعى ان ياخذ هذا الموضوع وقتا لان اساس الدعوة ان يكون المدعو ممن يشغل مركزا حكوميا ، ولم تكن السيدة حرم السادات تشغل فى ذلك الحين . مثل هذا المركز .. واهتم الرئيس عبد الناصر بسفر هذا الوفد ، وقرر ان يسافر مترجمة الخاص سليم رزق الله ليكون الى جانب السادات ، ورأيت من باب الاطمئنان ان اسبق الوفد فى السفر الى واشنطن لاستكمال الترتيبات اللازمة مع السفير المصرى ومع المختصين بوزارة الخارجية الامريكية . كان السفير المصرى فى ذلك الحين هو الدكتور مصطفى كامل ، وهو استاذ سابق للقانون الادارى فى كلية الحقوق وكانت لى معرفة سابقة به منذ ان كنت طالبا فى الكلية .

وتقابلت فى اليوم الثانى لوصولى مع المستر (باركر) رئيس القسم المصرى فى وزارة الخارجية الامريكية ، وكان شابا انيقا ومثقفا ، وعلمت بعد ذلك ان زوجته كانت من احدى الاسر الامريكية الكبيرة وهى التى دفعت به الى مناصب السلك الدبلوماسى . وعاوننى (باركر) الى اقصى حدود المعاونة وجرت بيننا مناقشات مطولة حول الأوضاع فى مصر وفى الشرق الاوسط وحول العلاقات المصرية الامريكية .

وشعرت ان السفير المصرى يشعر بضيق شديد لتدخلى فى كل صغيرة وكبيرة ولكننى كنت حريصا على ان يلقي الوفد البرلمانى المصرى المعاملة اللائقة فى الولايات المتحدة .

واذكر حادثا طريفا يدل على اهتمامى حتى بالامور الصغيرة ، فقد وجدت صعوبة فى حجز جناح لنزول السادات وحرمه فى فندق هيلتون واشنطن الذى كان من المفروض ان ينزل فيه ، والاجنحة فى هذا الفندق محجوزة دائما لرجال الاعمال الأمريكين ، حتى اتصل

بى المدير قبل وصول الوفد بيوم واحد واخطرني ان هناك جناحا سيخلو ، ولكن ذلك لن يكون الا فى موعد لاحق . لوصول الوفد بساعة او ساعتين ، ومهدت الامر بحيث يبطىء سائق السيارة التى تقل السادات وحرمه من المطار حتى يصلوا الفندق بعد خلو الجناح . وقد كان هذا التباطؤ مسارتساؤل السادات بعد ان وصلنا الى الفندق وعندما افهمته السبب قال « يا محمد انت ما بتفوتكش حاجة ابدأ »

لم يكن هذا اهتماما بالسادات بقدر ما كان اهتماما بمصر ومركزها .

اتفقنا على ان ينقسم الوفد الى قسمين وان يبقى السادات فى واشنطن حتى يحدد له الرئيس جونسون موعدا للقاءه ، وان تتم زيارة اعضاء الوفد وفق برنامج خاص بهم .

واذكر فى يوم وصول الوفد اننى تقاربت الذهاب الى المطار فى موكب السفير المصرى ، ونقلنى الى المطار فى سيارته الخاصة صديق عمى احمد فتحى بهيج كان نائبا لمدير مكتب البعثات فى واشنطن وقد اختاره الله الى جواره فى عمر مبكر ، وكان طريفا ان يضل فتحى الطريق الى المطار وان يصل بعد وصول الطائرة .

وصلنا وكان السادات يسأل بصوت عال « فين الزيات ، فين الزيات » ولما وجدنى اخيرا اطمأن ، وهذه اللفتة على السؤال على خفت بعد ذلك فقد أخذ السفير المصرى يستحوذ على السادات وحتى المترجم الذى ارسله الرئيس عبد الناصر لم يكن حظه اسعد منى ، فقد تقدمه محمد حبيب المستشار الصحفى المصرى فى ذلك الحين وكان متزوجا بشيدة أمريكية ويقوم اقامة دائمة فى امريكا . كنت اعتقد ان باركر سيكون هو المرافق للسادات ولكن فجأة حل محله (مايكل ستيرنر) وقد رأيت ان اشير الى مايكل ستيرنر لانه سيكون له دور فيما بعد ، الى جانب دوره فى هذه الزيارة ، فقد أصبح

منذ سنة ١٩٧١ قاسما مشتركا في كل الاتصالات الامريكية التى جرت مع السادات منذ بداية عهده كرئيس الجمهورية ، مع روجر سيسكو ومع كيسنجر ومع بيرجس عندما كان مشرفا على المصالح الامريكية فى مصر ، قبل ان يعيد السادات العلاقات الدبلوماسية بين مصر وامريكا .

ومايكل ستيرنر عمل فى اول السلم الدبلوماسى فى القاهرة فى الفترة من ١٩٦١ - ١٩٦٤ اى لمدة سنتين او ثلاثة .

كان على ان اظل فى واشنطن الى جانب السادات ، ولكنى كما قلت حجبت عن اكثر الاتصالات التى جرت ، واصبح السادات اسيرا للدكتور مصطفى كامل ولمايكل ستيرنر .

أصبح مايكل ستيرنر مقربا ومحبيبا الى السادات حتى اخذ يردد انه اصبح صديقا للرجل الثانى فى مصر .

وفى اليوم الذى حدد لمقابلة الرئيس جونسون ذهبت مع السادات حيث حضرت مع عدد من كبار موظفى البيت الابيض مراسم الترحيب واخذ الصور ثم انسحبت ليبقى السادات ومصطفى كامل مع جونسون .

عندما دخلت الى المكتب البيضاوى كان جونسون يجلس على كرسى هزاز ، وقد رأيت ان اشير الى هذا الكرسى الهزاز لأن له قصة بعد ذلك ، سأل جونسون كالعادة عن الرئيس عبد الناصر وعلى الاحوال فى مصر وصادف فى ذلك اليوم تجمع كبير من المتظاهرين حول البيت الابيض مطالبين بسحب القوات الامريكية من فيتنام ، وكان جونسون يضحك بصوت عال ويقول انكم تسمعون الهتافات ولكن امريكالن تترك فيتنام الا بعد القضاء الكامل على الثوار . ومضى جونسون وانسحبت القوات الامريكية من فيتنام وعاش شعب فيتنام البطل وانتصر فى احدى الملاحم التاريخية بين قوى الخير وقوى الشر .

انتظرت فى احدى استراحات البيض الابيض حتى انتهى

اجتماع جونسون والسادات ومعه السفير المصري ، ورافقتهما في العودة الى الفندق .

كان من عادة السادات وقد رافقته في كل الزيارات التي قام بها الى الخارج بوصفه رئيسا لمجلس الامة او امينا للجنة السياسية او عضوا في اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، كان من عادته اذا لم يتسن لي حضور الاجتماعات الهامة معه ، أن يسرد عليّ تفصيلات ما جرى لأضمنه التقرير الذي يحفظ في المجلس او في الاتحاد الاشتراكي وترفع منه صورة الى الرئاسة ، ولكنه في هذه المرة لم يدل لي بأية تفصيلات غير العبارة التي كان يردها السفير المصري "لقد كان الاجتماع وديا مثمرا" .

اضاف السادات الى ذلك ان مصطفى كامل مقرب جدا الى جونسون ، فقد قال جونسون في الاجتماع انه احد السفراء القلائل الذين يمكنهم ان يتصلوا به مباشرة بالتليفون ..

وانتقلنا بعد ذلك الى زيارة بعض الولايات ولم يخرج حديث السادات معي طوال الرحلة عن التعبير عن انبهاره بالحياة الامريكية وبالثراء الامريكي ، وبالفخامة والضخامة الامريكية ..

كان يردد امامي اكثر من مرة ان رفاهية الشعوب ومستوى معيشتها تقاس بعدد السيارات ، واخذ يجري مقارنة بين عدد السيارات في الدول الاشتراكية التي زارها وعدد السيارات في الدول الرأسمالية وخاصة في امريكا ، كان هذا هو مقياس الرفاهية لديه . وينفس النظرة القاصرة اقتصاديا واجتماعيا كان يردد ان في عهد انفتاحه السعيد ارتفعت اسعار اراضي البناء بارقام فلكية واصبح لمصر سعر وهو يجهل او يتجاهل ان هذا الارتفاع هو دليل التضخم الفاحش والمضاربة على الاراضي التي اخلت براتب محدودى ومتوسطى الدخل ، وجعلت من اراضي البناء حكرا للشرائح العليا من البورجوازية.وانتهى بنا المطاف الى نيويورك .

اصبت ببرد شديد في نيويورك وانحبس صوتي بسبب وجودي في الطريق مع نزول الثلج دون غطاء على رأسي ، لازمت الفراش في الايام التي قضتها السادات وحرمة في نيويورك وودعني في حجرتي وهو في طريقه الى المطار الى بروكسل هو وحرمة في زيارة خاصة ، وقد أفهمته انني سأعود الى القاهرة بمجرد تحسن ولو بسيط في صوتي . لم تستمر اقامتي في فندق هيلتون نيويورك غير يومين بعد سفر السادات ، ويارحت نيويورك وانا مازلت مريضا ، لأن اقامتي في الفندق كانت تكلفني الكثير وكذلك معاودة الطبيب لي يوميا .

سافرت الى واشنطن لأقضي فيها يومين لأعود منها الى القاهرة . وصلت الى القاهرة ولم يكن السادات قد عاد اليها بعد ، وسجلت اسمي في سجل التشريفات في الرئاسة في اليوم التالي لعودتي وبدأت أمارس عملي في مكتبي في مجلس الامة .

فوجئت بطلب تليفون عاجل من الرئاسة وجرى حديث قصير مع الرئيس عبد الناصر كان صوته ثائرا ولم يعلق في ذهني من عباراته الا كلمات « انت سبت انور ليه ؟ » اب حكاية الشيك الي صرفه في بلجيكا ؟ كان ردي انني لا اعرف شيئا عن هذا الموضوع وانهي الرئيس عبد الناصر المكالمة

وعاد السادات بعد ايام قليلة الى القاهرة وفي اليوم التالي لعودته ، رأيت فوزي عبد الحافظ مدير مكتبه في المجلس وقد كان مرافقا له في زيارته لأمريكا وبلجيكا رأيتة يكاد يجن ، ودخل مكتبي عدة مرات وهو يسأل نفسه كيف أدبر هذا المبلغ وأنا في حاجة الى ثلاثة آلاف دولار لأنني لم استطع ان ادبر غير سبعة فقط ، طلبت منه ان يجلس لأفهم الموضوع .. قال : ان الامير عبد الله المبارك الصباح اعطى للسيد أنور شيك بمبلغ عشرة الاف دولار لمشترىات الست من الخارج ، صرفنا منها ثلاثة وبقى سبعة فأبدت تعجبي مادام (الامير) هو الذي قدم الهدية فلمن سردها ؟ كان فوزي عبد الحافظ يبدى عجبه الشديد من الكيفية التي

وصل بها خبر صرف هذا الشيك ، وقد كان حريصا ان يذهب الى بنك بلجيكا ، وليس معه احد من السفارة عند صرفه ، كان يردد عبارة كيف وصل خبر هذا الشيك الى القاهرة ؟

خرج وعاد الى مرة اخرى وقال ان السيد انور يريدك ان تكتب مذكرة بأن الامير عبد الله المبارك الصباح تبرع للمجلس بمبلغ عشرة الاف دولار لاستيراد التركيبات الكهربائية للمبنى الجديد ، الذى كان يشيده المجلس فى ذلك الحين وهو القائم الآن على ناصية شارعى القصر العينى ومجلس الشعب ويواجه مبنى مجلس الوزراء .

قلت له اننى لا استطيع ان اكتب مثل هذه المذكرة الا بعد ان افهم الموضوع كاملا من السادات ، ولكن السادات لم يحضر الى المجلس هذه الايام . ولا اذكر هل اصابته وعكة صحية ، او هل اصيب فى هذه المرة بالذبحة الصدرية ، كعادته كلما اشتد عليه عتاب الرئيس عبد الناصر .

على كل لا اعرف ماذا جرى بعد ذلك لقصة الشيك المشبوه ، ومازال السؤال يحيرنى من أين جاء هذا المبلغ وكيف علم به عبد الناصر . وماذا اثاره هذه الثورة العارمة حتى اتصل بى تليفونيا ليسألنى عن الموضوع هل حقيقة ان مصدر الشيك هو « الأمير » عبد الله المبارك الصباح كما أسرّ لى فوزى عبد الحافظ ام ان له مصدرا آخر ؟

سؤال حائر قد يلقي عليه بعض الضوء ان نعود الى قراءة ما سبق عن زيارة امريكا وقد يلقي عليه بعض الضوء السيد امين شاكرو وهو احد الضباط الاحرار وكان مديرا لمكتب عبد الناصر فى بداية الثورة ، وسفيرا لمصر فى بلجيكا خلال زيارة السادات لبروكسل وهو حى يرزق - اطل الله فى حياته ، اما الشخص الذى يعرف الحقيقة كلها فهو فوزى عبد الحافظ وهو ما زال على قدر علمى يعالج فى مصر

وفي الولايات المتحدة الأمريكية بعد اصابته في حادث اغتيال السادات - شفاه الله .

لعله يتكلم ففي جعبته الكثير والكثير ، وهو كاتم اسرار السادات والسيدة حرمه ولكن هل يتكلم ؟

وكل ما استطيع ان أقوله ان وراء هذا الشيك الذي قال فوزى عبد الحافظ انه بعشرة الاف دولار سر خطير عرفه عبد الناصر ، ولكننى لم استطع ان اصل اليه ، ولكن يمكن ان نستشفه وان نفهم طبيعته من الإصرار غير العادى الذى اقدم عليه عبد الناصر خلال الأيام الأخيرة لزيارة السادات لأمريكا ، فقد اضطر عبد الناصر ، وهو الذى شجع على هذه الزيارة ، ان يدلى بتصريح فى القاهرة فى الأيام الأخيرة لزيارة السادات لأمريكا يحمل فيه على أمريكا بأعنف الألفاظ (والسادات أشار الى الحديث فى كتاب البحث عن الذات ص ١٨١) ولعل الأمر يصبح مفهوما بعد ذلك ...

واذا كان الحديث قد تناول (الأمير) عبدالله المبارك الصباح فلا بد من عجالة عنه وعن السيدة حرمه (الأميرة) سعاد الصباح ، فهو من الأسرة الحاكمة فى الكويت وبالتالي من كبار اثريائها ، ولكن يبدو ان خلافا وقع بينه وبين الأسرة فترك الكويت ونقل كل امواله ومصالحه الى سويسرا . وكان يتنقل بين القاهرة وأوروبا ، وكان له مكتبه وشقته فى جاردن سيتى ، ثم اشترى قصرا فى مصر الجديدة اجرى فيه المهندس عثمان احمد عثمان اصلاحات واسعة ، بتكليف من السادات ، واقام له فيه حوضا للسباحة ، ولا اعرف كم دفع فى هذا إلا اننى علمت أن ذلك كلفه أرقاما ضخمة بأسعار الستينيات وقد دفعت عن طريق السيد محمد حامد محمود الذى سيأتى ذكره فى سياق هذه القصة .

وعندما تعرفت على السادات كان (الأمير) صديقه كما كانت (الأميرة) صديقة لحرم السادات ، وكان الأمير دائم التردد

على منزل السادات وعلى مكتبه ، وهذا ياه للسادات ولمنزله لالتوقف ، ولا أعرف كيف نشأت هذه العلاقة فالأمر لم يكن يهمنى .
وكل ما اذكره اننى كنت استأذن عندما اكون مع السادات فى منزله او مكتبه ويحل (الأمير) ضيفا ، ولكن السادات كان يتشبث بوجدى ، وسألته مرة لماذا يصصر على بقائى بهذه الصورة ، قال بانه ليس هناك حديث يجمع بينى وبين عبد الله (المبارك) واذا كان ليس هناك من حديث يجمع بينهما فلماذا كانت هذه العلاقة الوثيقة وليس لدى من دليل على مانشرته بعض الصحف العربية من ان الشيخ عبد الله المبارك الصباح كان همزة الوصل بين المخابرات المركزية الأمريكية والسادات .

ورغم هذا فقد كان السادات يتولى رعاية مصالح الأمير ، وهو الذى رشح له محمد حامد محمود ليكون وكيلا لأعماله ، ومحمد حامد محمود كان فى ذلك الحين عضوا فى مجلس الأمة ، وهو من إحدى الأسر الاقطاعية فى البحيرة وطبقت عليه قوانين الإصلاح الزراعى ولكن السادات سعى سعيا حثيثا ليرفع عنه حظر الترشيح فى مجلس الأمة ، ثم عينه السادات بعد ذلك وزيرا ، وقربه اليه ، وفجأة هوى نجمه .

واذكر فى مناسبة الحديث عن (الأمير) انه فى اول احتفال بافتتاح مجلس الشعب ، بعد ان تولى السادات رئاسة الجمهورية ، كان (الأمير) احد المدعوين ولكن عند حضوره لم يتوجه الى شرفة المدعوين ولكنه توجه الى غرفة رئيس المجلس ، وكان فى ذلك الحين الدكتور لبیب شقير ، وجلس معه حتى حان موعد وصول رئيس الجمهورية ، وخرج معه وجلس فى الصالون المخصص لاستقبال رئيس الجمهورية مع رئيس الوزراء والوزراء واعضاء اللجنة التنفيذية ، حتى وصل السادات واستقبله وسلم عليه وجلس معه فى الصالون .

اذكر يومها ان السيد شعراوي جمعه اختلى بى وعاتبني عتابا شديدا على وجود (الأمير) فى صالون رئيس الجمهورية ، فقلت له لست مسئولا عن ذلك فقد قدم مع رئيس المجلس ، ويمكن ان توجه العتاب الى الدكتور لبیب شقير ، فقال لى اننا لانعرف احدا مسئولا عن المجلس غيرك .

اضطرت يومها ان اهمس فى اذن الأمير ، وان اطلب منه التوجه الى شرفة الزوار ، وطلبت من احد موظفى المجلس ان يصطحبه . استمرت العلاقة بين الاثنين حتى بداية عهد السادات برئاسة الجمهورية ، وعلمت ان العلاقة توترت بعد ذلك بين الاثنين ، ونشرت بعض الصحف العربية تبريرات وتحليلات للخلاف بين حرم السادات و (الأميره) سعاد حول عقد من اللؤلؤ او الماس ، وليس هنا مجال مناقشة هذه الموضوعات ، والاؤكد أن (الأمير) و (الأميرة) تركا القاهرة على تصميم على عدم العودة اليها .

نعود الى رحلة امريكا والكرسى الهزاز والانبهار الذى اصاب السادات بأمريكا وبالرئيس جونسون. بعد ان مرت ازمة الشيك المشبوه ، عاد السادات الى المجلس ، وكان اول شيء يطلبه منى ان اكلف من يبحث له عن كرسى هزاز ، مثل الذى كان يجلس عليه جونسون ورأيته فى البيت الأبيض ، وانطلق موظفوا المشتريات فى المجلس الى السوق يبحثون عن مثل هذا الكرسى ، ووجدوه اخيرا فى محل الغليون فى شارع قصر النيل ، وأمر السادات بشراء كرسيين احدهما للمكتب والاخر للمنزل .

ولم يهتم السادات بشيء قدر اهتمامه بهذا الكرسى ، لماذا لايجلس على كرسى مماثل لهذا الذى يجلس عليه زعيم احدى الدولتين العظميين فى العالم ، وهو يتعلق بالكرسى المتميز ايا كان وفى اى زمان ومكان ، فبعد نجاح الثورة وتنازل الملك فاروق ومبارحته مصر يجد السادات نفسه مشدودا الى سراى القبة ويجلس

في نفس المقعد الذي كان يجلس عليه الملك فؤاد ومن بعده فاروق .. (ص ١٥ من كتاب البحث عن الذات) .

ونعود الى الكرسي المتميز والذي هودائما محط النظر والمركز والمحور عند السادات ، فيشيد بالاستقبال الذي لقيه عند زيارته لامريكا في سنة ١٩٦٦ وهو رئيس مجلس الأمة ، ويدلل على حرارة هذا الاستقبال فيقول .. وعندما زرت الكونجرس اجلسوني على مقعد الرئيس وهو نفس الكرسي الذي جلست عليه عند زيارتي لامريكا عام ١٩٧٥ (ص ١٨١)

كان السادات يفضل دائما ان يجلس طوال وجوده في مكتبه على الكرسي الهزاز ولا ادري ما هو مصير الكرسي هل مازال في المجلس أو انتهى عهده بعد ان مضى راكب الكرسي الهزاز .

كلما كنت اراه جالسا على الكرسي الهزاز ، اذكر وانا طفل صغير ان جدي كان له كرسي هزاز ، وانني كنت اخلتس الجلوس على هذا الكرسي عندما يكون خاليا ، لأتمرجح عليه وكان جدي يحذرنى في كل مرة يرانى على الكرسي ويقول (تقع يا ولد) ..

ذكرت هذه القصة لاطرافتها أو من باب تسلية القارىء ولكن لادلل بها على ماتملك السادات من رغبة جامحة في ان يحاكي حكام أمريكا وكبار الأثرياء فيها وهذه بداية القصة التى اكتملت فصولها فيما بعد ..

وفي مجال المحاكاه اذكر تعيين السادات لحافظ اسماعيل مستشارا للرئيس لشتون الامن القومى وتقديمه للكثيرين من الضيوف بوصفه **Mykissinger** وذلك في سنة ١٩٧٢ تشبها بنيكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذى كان كيسنجر **Kissinger** يشغل في بداية عهده وظيفة مستشار الأمن القومى

المسيرة الحرة، المسيرة الحرة

كثرة صليحة دله

تلا لداكم الدين على حرة لنت ثلاثه آلاف جريح مصره
لدي من (لعمري) ديت مصر الذي سيتاني من ذوات
شبهه تقتل كالحق

الذي الذي يجلت في ايديكم راجيا اخواني (الكل من القلب)
على انه يغم شجرا من كفا في بلل ثلاثه جينا - اصل (الذي)
دلتنا سيادكم ليول ناني لعمري

على حرة

مسيرة الحرة

المسيرة الحرة

شخصه مبلغ عشرة آلاف جنيه من مائة الف الفادي
لكن هذه الفروقات ونشأ وقد خاصه في على انه
لديهم ان عليه اليد مراقبه شجرا

ادواته في افرام المسيرة الحرة على حرة
هذا المبلغ على انه يمدد في احاطه
كل حرة من مبلغ اربعة جين مصر فقط

المسيرة الحرة



على صبرى والفريق أول محمد فوزى قبل إنقلاب ١٥ مايو

صراع القوى بعد ولاية السادات



الزيات مع د . محمود فوزي .. ضحكة متفائلة لم تستمر

الفصل الاول

ولاية السادات وتوقيت تعييني وزيرا

غادرت القاهرة في صباح اليوم الذي رحل فيه عنا عبد الناصر . كنت في طريقى الى لاهاي في هولندا للاشتراك في اعمال المؤتمر البرلماني الدولي ، قابلني سفير مصر ورافقني الى الفندق ، وكان ذلك حوالى الساعة الخامسة مساء ، وبعد لحظات تلقى السفير مكالمة من السفارة نقلت اليه الخبر الحزين ، واستدعيت للعودة للقاهرة على عجل استعدادا لاجتماع مجلس الأمة ، لم تكن هناك طائرة مباشرة الى القاهرة الا بعد يومين ، ولكن السفير المصرى مع وزارة الخارجية الهولندية استطاعا تدبير مكان لى على الطائرة المتجهة الى باريس ، على ان تقوم شركة الطيران الهولندية بتدبير مكان لى على اية طائرة متجهة من باريس الى القاهرة ، ووصلت مطار اورلى في باريس في منتصف الليل لابقى فيه الى صباح اليوم التالى لاستقل طائرة اصل بها الى القاهرة ظهر اليوم التالى ، ووصلت القاهرة لانضم الى الموكب الحزين .

وقابلت السادات عصر نفس اليوم . لم اسمع ، منه الا اخبارا متقطعة ، وكأنه كان يحدث نفسه .

سألنى عن بعض الاوضاع الدستورية فاجبته عنها .. فهمت من هذه الاخبار المتقطعة ان هناك خلافا ، وان هيكلي ي بذل جهده لحصر الخلاف ... واردف السادات هذا الحديث المتقطع ، بما كنت اسمعه منه دائما ، انا خائف من الاعيب على صبرى .

قابلت لبيب شقير رئيس مجلس الأمة في ذلك الحين كما قابلت بعض اعضاء اللجنة التنفيذية العليا ، وكان يتردد ان حسين الشافعى من اشد المعارضين لترشيح السادات رئيسا للجمهورية ، اما من بين الوزراء المعارضين فقد كن سيد مرعى الذى نشط في

مقابلاته معارضا لترشيح السادات لانه في نظره « بيس الشخص المناسب ليخلف عبد الناصر فقد كان في مجلس الأمة شرابة خرج والزيات حطه في جيبه » « هذا ما قاله على الاقل لشعراوى جمعه . جاء كسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى لتقديم العزاء ، والاشترك في وداع عبد الناصر وكان من الطبيعى ان يجتمع بالكثيرين ، وقد حاول البعض ان يجس النبض ويتكشف رأى القيادة السوفيتية ، بطريق أو آخر عن تفضله لخلافة عبد الناصر ، وكان كسيجين حاسما بأن القيادة السوفيتية والشعب السوفيتى سيقفان موقف التأييد للقيادة المصرية الجديدة التى يختارها الشعب - بصورة اشد مما كان في الماضى ...

قال : اننا نؤيدكم لأنكم تحافظون على خط عبد الناصر ...

وجاء الينا مبعوث امريكى هو ايلوت ريتشاردسون وزير الصحة فى ادارة نيكسون ، حيث كانت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة فى ذلك الحين مع الولايات المتحدة الامريكية ، وعلمت ان السادات قد قابله مقابلة طويلة ، وانه حمله رسالة الى نيكسون .

وفى يوم الجنازة اغمى على على صبرى وعلى السادات فى بداية مسيرة المشهد الرهيب من مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة ، ولا اعرف من اصابه الاغماء قبل الآخر ، ونقل الاثنان الى مجلس قيادة الثورة حيث اعد لهما على عجل سريرين فى حجرة واحدة ، واستدعى الدكتور محمد عطية استاذ القلب لاسعافهما ، واجراء الفحوص العاجلة ، وظل الاثنان معا حتى عادا الى منزليهما مساء نفس اليوم .

واستمرت الاجتماعات والاتصالات لترشيح رئيس الجمهورية .

حسين الشافعى لم يكن يمثل منافسا خطيرا للسادات ، وكان

على صبرى يمثل وحده المنافس الخطير .

ولكن كانت هناك نقاط فى صالح السادات .

كان عبد الناصر صاحب الفضل عليه في حياته وبعد مماته فان تعيينه نائبا قبل رحيل عبد الناصر بشهور كانت نقطة في صالحه .
كما ان هناك تقليدا كان يحرص عليه عبد الناصر حرصا شديدا ، وهو الحفاظ على الاقدمية بين اعضاء مجلس قيادة الثورة ، كانت اقدمية السادات والشافعي واحدة ، ولكن لم يكن للشافعي الثقل الذي يمكن ان يؤثر في ميل كفة السادات ، فكانت هذه النقطة ايضا في صالح السادات .

واذا كان علي صبري هو الشخصية المنافسة الوحيدة ، فان السادات كان يرجحه بالنقطتين السابقتين .

وخرج علي صبري فجأة من التنافس ولا ادرى لماذا .. وقيل عندئذ انه اثر الا يثير معركة في هذه الفترة الحرجة .

على ان موت عبد الناصر في هذا التاريخ بالذات ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، كان ايضا في صالح السادات ، فقد اخذت تتردد قبل ذلك بأيام اشاعات واقاويل ، عن اتصالات تجري مع عبد اللطيف البغدادي ومع زكريا محيي الدين لتعيين احدهما نائبا لرئيس الجمهورية ، بل تجاوزت الاشاعات الى استعدادات تجري لاعداد مكتب في مبنى هليوبوليس في مصر الجديدة لنائب لرئيس الجمهورية ، وعن قرار كان قد اعده عبد الناصر في هذا الخصوص .. وان هذا القرار تأخر صدوره بسبب انصراف عبد الناصر في ذلك الحين ، انصرافا كاملا ، الى اجتماعات مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذي دعا اليه لمحاصرة الهجمة الدموية الشرسة التي شنّها الملك حسين على المقاومة الفلسطينية ولوقف المأساة المروعة التي داهمت الامة العربية .

على انني اذكر في هذه المناسبة انه خلال محاكمة . من سماهم السادات بمراكز القوى ، كان السادات متخوفا من شيء واحد .. ان يقول سامي شرف شيئا في المحكمة وطالما عبر لي عن تخوفه من هذا

خلال المحاكمة ، ولكن ما هو الشيء الذى كان يعرفه السادات ويعرفه سامى شرف ولم يدل به الاخير فى المحاكمة ؟ .
لعل سامى شرف يكشف عن هذا السر .

ولعله ايضا يكشف السر الذى كان فى خزانة عبد الناصر وفتحت الخزانة لآخفائه ؟ .

إن التاريخ له حقه علينا حتى باخطائنا فما من أحد منا لم يخطيء .

وهكذا وافق الجميع على ترشيح السادات حقنا لاي صراع على السلطة فى هذا الوقت العصيب وجرى الاستفتاء فى ١٥ اكتوبر ١٩٧٠ وأدى السادات اليمين الدستورى فى ١٦ اكتوبر ١٩٧٠ .

قابلته بـ ، ذلك بعشرة ايام فى استراحة القناطر لاهنئه .
كان الحديث مقتضبا .. اشار فى هذا الحديث الى انه قال

لشعراوى وسامى من اول يوم انهما سيعملان معه كما كانا تماما ايام عبد الناصر فخطى هو خط عبد الناصر ، ولا تغيير فى اى شيء . ولا فى الاشخاص . والفرق هو أن عبد الناصر انه كان عصيبا وهو هادىء الاعصاب ، وانه كان متعجلا لكل شيء وهو ليس لديه هذه العجلة ، وطلب منهما ان يعملوا معه بهدوء أعصاب .. وأظن فى المديح فى شعراوى وسامى .

ولم افهم ماذا عنى السادات بهذا الكلام وخاصة وانا اعرف رأيه الحقيقى فى شعراوى وسامى ، وهل كان يعنى ان تعاونه معهما ، يستبعد تعاونى انا معه؟ .. لم البث ان انشغلت فى عملى فى مجلس الامة ، كأمين عام له ، وفى الاتحاد الاشتراكى ، كمقرر للجنة السياسية فيه ، ونسيت هذا الموقف ، الذى اعتبرته ، ان ذاك تخوفا وتحوطا من جانب السادات من كلمة تخرج منى أو عبارة تفلت عنى عن حقيقة مشاعره .

ولم يتصل السادات بى بعد ذلك ولم احاول من جانبى الاتصال به ، وذلك اذا استثنينا اتصالا روتينيا جرى بمناسبة انعقاد المؤتمر

القومى العام ، لانتخابه رئيسا للاتحاد الاشتراكى العربى فى ١٣ نوفمبر ١٩٧٠ ، وكنت امينا عاما للمؤتمر القومى .
مرت شهور خمسة على توليه الرئاسة ، واذا به فجأة يعاود الاتصال وفى هذه المرة لم يكن الاتصال مباشرا ، كعادته معى طوال اكثر من سبع سنوات ، كان الاتصال عن طريق الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء فى ذلك الحين ، طلبنى الدكتور فوزى وقابلته فى مكتبه فقال لى ان السادات طلب منه ان يستشيرنى فى بعض المسائل وفى اعداد بعض التشريعات ، وكانت لى معرفة وثيقة بالدكتور محمود فوزى وكنت اقدر اراءه وحكمته وتجاربه وابديت استعدادى لمعاونته فيما استطيعه .

عزوت انقطاع السادات عن الاتصال بى فى ذلك الحين الى كثرة مسئولياته فى مركزه الجديد كرئيس للجمهورية، والذهن من شأنه التجريد لانه لا يحيط بالواقع كله ولا يرى منه الا اجزاء فى وقت واحد ، وقد لا يجد الانسان تفسيراً للواقعة معينة وقت حصولها ولكن مع تتابع الوقائع وترابطها تتكامل لديه صورة الحكم على الاشياء .
فاتصال السادات السرى بى عن طريق الدكتور فوزى لم يأت إلا بعد مرور اسبوعين أو عشرة ايام على ٤ فبراير ١٩٧١ ، وهو التاريخ الذى القى فيه السادات بيانه امام مجلس الامة بمناسبة نهاية موعد سريان وقف اطلاق النار فى ٥ فبراير ودعوة السكرتير العام للامم المتحدة الطرفين الى تجديد وقف اطلاق النار .

وفى هذا البيان فجر السادات مبادرته الخطيرة والتي سميت بمبادرة ٤ فبراير ، انسحاب جزئى للقوات الاسرائيلية على الشاطئ الشرقى لقناة السويس وربط هذا الانسحاب بجدول زمنى لتنفيذ بقية بنود قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، والببدء فورا فى مباشرة تطهير مجرى قناة السويس واعادة فتحها للملاحة الدولية ولخدمة الاقتصاد العالمى .

كانت هذه المبادرة قرارا مفاجئا او انفراديا اتخذه السادات

بمعزل عن الدبلوماسية المصرية (وزير الخارجية ووزارته) وبمعزل عن التنظيم السياسى بتدرجاته المختلفة ، اللجنة التنفيذية العليا واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، وبمعزل عن الوزراء ، وعن القيادات العسكرية ايضا .

وقد فهمت بعد ذلك ان هذه المبادرة قد تمت باتفاق بين السادات وهيكل الذى كان همزة الوصل بينه وبين بيرجس المختص برعاية المصالح الامريكية فى مصر . وبناء على وعد من روجرز وزير خارجية امريكا بان هذه المبادرة ستفتح الطريق لجهود امريكية لدفع القضية .

كانت المبادرة تحمل خطر تحول رأى العام العالمى ، الذى ظلت الدبلوماسية المصرية تعمل سنيها لتعبئته من اجل حل شامل وعادل للنزاع ، الى الإنشغال بقضية فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، وقد اعترف السادات نفسه بهذا الخطأ فى خطاب الضباب فى ١٢ يناير ١٩٧٢ ، وقال ان امريكا حولت مبادرته الى حل منفرد مع كل دولة عربية ثم حل جزئى مع مصر ثم حل جزء الجزئى مع مصر . وكان هناك خطر آخر يدور حول الاسلوب الذى اختطه السادات فى معالجة المسائل الخارجية والقضايا العربية ، فقد كشفت هذه المبادرة المفاجئة عن نزعته الانفرادية فى اسلوب المعالجة وشعر السادات بعد ان فجر هذه المبادرة بانه مغزول ، فكان لابد ان يفتش فى دفاتره عن صديق قديم يقف الى جانبه . ومن ثم كان هذا الاتصال المفاجئ باسلوب فيه سرية وتكتم ، وهو ما ادركه الان تماما وان لم ادركه ايامها على الاطلاق .

وتعاونت مع الدكتور محمود فوزى ما يقرب من شهر ونصف وكان اغلب تعاوننا فى مسائل داخلية ثم اخبرته باننى ساتغيب اسبوعين للاشتراك فى اعمال مؤتمر برلمانى كان سينعقد فى احدى دول امريكا اللاتينية .

وعندما عدت الى مكتبى اتصل بى فوزى عبد الحافظ واخطرنى

أن السادات يطلب منى ان ابقى في القاهرة .
وبعد اسبوعين اتصل بى السادات وكان هذا اول اتصال شخصى
بعد انقطاع طويل وهنأتى بتعيينى وزير دولة لشئون مجلس الامة ،
وكان ذلك صباح ٨ ابريل ١٩٧١ .

واتصل بى بعد ذلك شعراوى جمعة ، وكان يقوم بالاضافة الى
عمله كوزير للداخلية باعمال وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية ،
بدلا من سامى شرف الذى كان متغيبا فى الخارج . وطلب منى
مقابلته فى وزارة الداخلية .

لم اكن غريبا على شعراوى جمعة فقد عملنا معا فى الاتحاد
الاشتراكى ، قد نكون قد اختلفنا فى بعض الاحيان ، ولكن ظلت
بيننا علاقة طيبة كان يشوبها فى بعض الاحيان ما يصلنى بين وقت
واخر - ان صدقا ام كذبا، من ان شعراوى وسامى ينقلان الى
عبد الناصر بعض تصرفات منسوبة الىى ولم تكن تمثل الحقيقة فى
شئ ، وكان عملى مع عبد الناصر كفيلا بتبديد كل ما يثار حولى .

لم يستقبلنى شعراوى جمعة هذه المرة بالبشاشة التى اعتاد ان
يقابلنى بها فقد هنأتى بالوزارة وكان الحزن مخيما عليه ، ولا أدري
كان هذا بسبب تعيينى وزيرا أم لأسباب تتعلق بالموقف عموما
وقال انه حاول ان يتصل بحافظ بدوى وكان وزيرا للشئون
الاجتماعية ووزيرا لشئون مجلس الامة ليبلغه بتعيينى ، ولكنه كان
فى جولة خارج القاهرة ، ولم يتمكن من الاتصال به ، وطبعى انه
كان يريد ان يؤجل اعلان القرار لأى سبب لأن وزير الداخلية لايعجز
عن اجراء اى اتصال مباشر مع ايه جهة فى الجمهورية .

شكرته وعدت الى مكتبى ولم ينشر القرار الا فى اليوم التالى .
وما كدت اتولى منصبى الجديد حتى وجدت نفسى فجأة فى حلبة
الصراع .



السلطات مع القذافي والاسد .. كانت الوحدة هي قميص عثمان لانقلاب ١٥ مايو

الفصل الثاني

الاتحاد مع ليبيا وسورية
وتحول الدفة نحو أمريكا

لم تكد تمر ايام على تعيينى وزيرا حتى اشركنى السادات فى وفد
مصر فى المباحثات التى جرت فى القاهرة ، وحضرها الاسد والقذافى
ونميرى (دول ميثاق طرابلس) وكان بين اعضاء الوفد المصرى
حسين الشافعى وعلى صبرى وعبد المحسن ابو النور وليب شقير
وشعراوى جمعه وسامى شرف ..

وامضينا فى المحادثات يومين كانت اغلبها اجتماعات بين الرؤساء
الاربعة .

واعذر نميرى عن الارتباط بأى شكل من اشكال الوحدة نظرا
للظروف التى كان يمر بها السودان فى ذلك الحين وقيام حركة
انفصالية فى الجنوب .

وأبدى الأسد استعداد سورية لأى شكل من اشكال الوحدة يتفق
عليه بين دول ميثاق طرابلس .

اما القذافى فقد اكد على ضرورة قيام الوحدة الكاملة .

وفجأة أخطرت بالاستعداد للسفر الى بنى غازى وعلمت ان حسين
الشافعى وعلى صبرى وصلهما نفس الإخطار .

واجتمعت فى بنى غازى وفود مصر وسورية وليبية ، بعد ان غادر
نميرى القاهرة فى احدى زياراته الخارجية (وأظن أنها كانت
للاتحاد السوفيتى)

وكان السادات قد اجتمع بى طويلا قبل السفر ، وتناقشنا حول
صورة الوحدة ، واقترحت صورة لجمهوريات عربية متحدة او اتحاد
جمهوريات عربية ، تحتفظ فيه كل جمهورية بذاتيتها ، مع تكامل فى
الشئون الخارجية والدفاع والامن القومى ، وخطط مشتركة للتنمية
الاقتصادية ، كخطوة على الطريق الى الوحدة الشاملة ، حتى

نتفادى في هذا الوقت الخطير تجربة الوحدة والانفصال التي جرت بين مصر وسورية .

وعرض السادات هذه الصورة في بداية المحادثات واختلف معه القذا في الذي كان ينادى بالوحدة الكاملة .

واخذ القذا في يناقش خلال جلسيتين ، امورا تفصيلية وتضاربت الآراء بينه وبين الاسد حول كثير من هذه التفصيلات .

وشكلت لجنة في نهاية الاجتماع الثاني لتضع تصورهما عن الاتحاد من خلال المناقشات التي جرت - وكنت المندوب المصري في هذه اللجنة ، وقضيت الليل بطوله ، وحتى الصباح ، بعد أن أخذ النعاس المندوبين السوري والليبي ، ووضعت صيغة لمشروع اتفاق الجمهورية العربية المتحدة .

واجتمعنا في الصباح واخذ القذا في يفند كل نص جاء في هذا المشروع ، مؤكدا على ضرورة الوحدة الكاملة ، ثم انتهى بعد مناقشات طويلة الى الموافقة على المشروع .

وتم التوقيع على الاتفاق ظهر نفس اليوم (١٧ ابريل سنة ١٩٧١) .

شعرت ان على صبرى لم يكن راضيا خلال الفترة التي قضيناها في بنى غازى ، وقد حاولت من جانبي ان اضعه في الصورة ، وأن اطلعه على كل المراحل .

وصمم السادات على ان يتصل فوزى عبد الحافظ سكرتيره الخاص بالقاهرة ، ويكلف سامى شرف بان يتصل بهيكل ليعد بيانا يلقيه السادات عند عودته من بنى غازى ، يعلن فيه مشروع اتحاد الجمهوريات العربية .

حاولت ان ارجىء ذلك حتى وصولنا الى القاهرة ، ولكنه اصر على ذلك . فوجى سامى شرف بهذا الخبر ، وسأل كيف يعد هيكل بيانا ، ونص الاعلان لم يصل ، ولا يعرف عنه شيئا الا ما اعلنته وكالات

الانباء . اتصل بى فاعطيته فكرة عامة عن المشروع وعن الخطوات التى ستتخذ لقراره على اساس ان يكون للبيان مقدمة قصيرة حيث ان نص الاعلان واحكام المشروع ستكون هى صلب البيان ، وستكون صورته معنا عند وصولنا الى مطار القاهرة .

لم تكن هناك حاجة لهذه العجلة فى القاء البيان ، فالاتفاق مازال مشروعا ، وقد اوردنا فيه نصا بضرورة عرضه على المؤسسات الشعبية والدستورية فى كل قطر من الاقطار الثلاثة ، ثم الاستفتاء عليه من شعب كل قطر ، لياخذ صورته النهائية .

والانسان يحتاج الى نوع من التأمل ليصدر حكمه على الامور ، فقد لا يفهم ملابسات الحدث واهدافه وقت وقوعه ، ولكن مع تتابع الاحداث وربطها البعض ببعض يمكن ان ينتهى الى تحليل يقبله العقل والمنطق ...

السادات اراد ان يحقق نصرا ، سواء كان هذا النصر حقيقة - أم سرايا ، وان ينسب هذا النصر لنفسه ، فقط وان يدل على انه توصل الى ما لم يستطع عبد الناصر ان يحققه .

غير ان مفتاح الموقف الحقيقى يتجلى فى عبارة قالها لى السادات ، ولم اعلق عليها أهمية فى حينها . قال السادات بعد عودتنا من بنى غازى انه يستطيع الان ان يتكلم مع امريكا باسم ثلاث دول عربية . كان السادات يبنى امالا كبيرة على مبادرة ٤ فبراير ، الخاصة بإعادة الملاحة الى قناة السويس ، خاصة وإن روجرز وعد بزيارة مصر ثم زيارة اسرائيل ، ليبدأ جهودا امريكية (منفصلة عن جهود يارنج مبعوث السكرتير العام للأمم المتحدة) بعد ان اطمئن الى ان السادات قد اعلن عن مبادرة ٤ فبراير .

وهكذا كانت دفعة السادات قد بدأت تتجه الى أمريكا ، وتصور أن الأوضاع تتيح له فعلا ان يتحدث الى أمريكا باسم ثلاث دول ، وأن الظرف مواتيا لذلك ، كان فى منظوره ان الأسد قام بانقلاب عسكرى

في فبراير عام ١٩٧٠ تخلص به من جناح صلاح جديد المتشدد .
والذي كان مصمما على دخول القوات السورية الى حدود الأردن
الشمالية لأنقاذ المقاومة الفلسطينية من محاولة تصفيتها على يد
الجيش الأردني في أيلول (سبتمبر) الأسود ، ورفض الأسد ،
وكان في ذلك الحين قائدا ل سلاح الطيران ، أن يوفر مظلة جوية
للقوات السورية ، وقد استطاع الأسد بهذا الانقلاب ان يقضى على
العناصر المتشددة من أمثال الأتاسي وزعين وماخوس ، وأصبح
الطريق في تصور السادات ممهدا بين سورية وأمريكا .

والقذا في لم يكن ليمر يوم دون ان يهاجم فيه الشيوعية والاتحاد
السوفيتي ، وأمريكا تتوعد الى ليبيا ، فتستجيب الى طلبها باخلاء
القاعدة الامريكية فيها ، وتساعد على اخلاء القاعدة البريطانية ،
وتعقد اتفاقات بترولية واسعة مع ليبيا .

واذكر عندما زرت الاتحاد السوفيتي في رفقة السادات في اكتوبر
١٩٧١ ، ان بريجينيف كان يتساءل خلال المحادثات في حيرة ، عن
السبب الذي يحمل القذا في على مثل هذا الهجوم ، وليست هناك اى
اسباب للعداء ، او اى اطماع للاتحاد السوفيتي في ليبيا ، تحمل
القذا في على هذا الموقف ، ولم يرد السادات على هذه التساؤلات ..
كانت النظرية العسكرية لدى العسكريين المصريين ولدى العسكريين
السوفيت ، بل في النظرة العامة للاستراتيجية العسكرية بصفة
عامة ، تقتضى التنسيق بين مصر وسورية في أى حرب يخوضها
العرب ضد اسرائيل ، حتى ان السوفيت كانوا ينظرون الى الجبهتين
كجبهة واحدة ، والى تسليح الجبهتين كتسليح لجبهة واحدة ،
والمعدات التى تتوفر لجبهة تكمل المعدات التى تتوفر للجبهة
الثانية في حساب واحد .

هذا ما فهمته وفهمه السادات وفهمه عبد الناصر من قبل السادات
في كل المباحثات والاتصالات التى جرت مع السوفيت .
وكانت هذه ايضا قناعة العسكرية السورية والقيادة السورية

وحزب البعث ، كما فهمتها من كل المباحثات التي شاركت فيها .
فالتكامل العسكري كان قائما والقيادة المشتركة كانت قائمة
والتنسيق بين الجبهتين مستمر ومنتظم .
كما كان السادات ينظر الى نظام القذا في ليبيا كمصدر للتمويل
(السيولة كما كان يقول) ولم يكن النظام في ليبيا يتأخر عن
الاستجابة لاي طلب .

فلماذا اذن كانت العجلة في عقد مثل هذا الاتفاق ؟..
الحدث في صورته المجردة هو تحقيق صورة من صور الوحدة بين
ثلاث دول عربية ومهما كانت روابط هذه الوحدة ، فهو امر يرحب به
كل عربي ويبتهج له ، بوصفه خطوة تقرب من الامل العربي
الكبير .. الوحدة الشاملة ..

وهذه كانت قناعتى وانا اشارك في التحضير لهذا الحدث واشترك
في صياغة بيانه واتفاقه ، ولكن مع تتابع الاحداث يتضح الترابط
والتلازم بين ٤ فبراير و ١٧ ابريل ١٩٧١ .
٤ فبراير ومبادرة فتح قناة السويس دليل اثبات يقدمه السادات
ليعبر لأمريكا عن استعدادة للسير مع السياسة الامريكية لحل
امريكي للقضية .

و ١٧ ابريل دليل اثبات آخر يقدمه السادات ليبرهن لأمريكا انه لن
يكون وحده في السير مع السياسة الامريكية ، بل ستكون معه دولتان
آخرتان : سورية وليبيا .

وكلا الحدثين ارهاص في اتجاه السادات لالارتباط بعجلة
الاستراتيجية الامريكية .

وجاء كل هذا تهيئة لزيارة روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة
الامريكية المرتقبة ، ولم افهم هذا في ذلك الحين ، ولكنه موضح
قناعتى الآن .

وبدأ الصراع يتصاعد منذ ١٧ ابريل ١٩٧١ وحتى ١٤ مايو
١٩٧١ .. ووجدت نفسي وسط هذا الصراع .



بعد ١٥ مايو إنقلب السادات على الوحدة مع ليبيا وها هو يقبل الملك السنوسي

الفصل الثالث

الاتحاد .. وبداية الصراع

تفجر الصراع إثر عودة السادات من بنى غازى . اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى تجتمع وترفض مشروع اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة ، ولا يقف الى جانب السادات من اعضائها غير حسين الشافعى ومحمود فوزى ، ويطلب السادات ان يحال الموضوع الى اللجنة المركزية .

واللجنة المركزية تجتمع ويسر السادات الى قبل اجتماعها ، ان جميع اعضاء اللجنة من الصعيد سيكونون معه ، وهذا ما أكدده له محمد عثمان اسماعيل واحمد عبد الاخر ويوسف مكادى ومحمد دكرورى ، واسماء اخرى لا اذكرها من اعضاء اللجنة المركزية فى صعيد مصر .

وبدأت الجلسة وطلب على صبرى الكلمة واذا به يشن حملة ضارية على السادات ، على اسلوبه وتصرفاته وقراراته الانفرادية ، وعلى تهالكه على انجاز هذا الاتفاق ، هذا التهالك الذى كان محلا للتندر من القذافى ومن اعضاء مجلس قيادة الثورة الليبى ، ومحمل التساؤل والاستغراب من حافظ الاسد .

واشار الى التناقضات القائمة بين سياسة حزب البعث العربى الاشتراكى ، والاتحاد الاشتراكى العربى والى فكرة القذافى عن الحركة العربية الواحدة والقضاء على حزب البعث فى سورية والاتحاد الاشتراكى فى مصر ، والى موقف الاسد الثابت فى ضرورة استمرار حزب البعث ، والى تراخى السادات فى الدفاع عن الاتحاد الاشتراكى .

أرسلت بورقة الى السادات طلبت فيها ان يعرض اقتراحا بقفل باب المناقشة والانتقال الى جدول الاعمال ، اعتمادا على ما أسر الى

به السادات من أنه مطمئن الى موقف اعضاء الصعيد ، وان محمود أبو وافية ومحمد حامد محمود « قد » ربطوا « أعضاء كثيرين من وجه بحرى (على حد قوله)

وعرض السادات الاقتراح فلم ترفع بالموافقة عليه الا أيدي ثلاثة ، يدى ويد هيكل ، ويد الدكتور محمد سيد درويش وكان وزيرا سابقا للصحة .

الدكتور درويش لازم بيته بعد ذلك لمرض شديد ألم به وبقيت أنا وهيكل ، جمعتنى به بعض المواقف والاحداث مع السادات حتى أوائل ١٩٧٢ ، ولم اعد اراه بعد ذلك الا فى مناسبات متباعدة ، حتى افاض السادات علينا ، قبل رحيله ، بكرم وفائه ، ليجمع بيننا فى سجنه بعد هجمته الشرسة على الوطنيين المصريين فى ٣ سبتمبر ١٩٨١ . واستأنف على صبرى هجومه وتلاه ضياء الدين داود وكان عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا .

كانت ردود السادات ردوداً متهاككة ، فالجو كان معبأ بالمعارضة ، بالاضافة الى طبيعة السادات التى سبق الحديث عنها ، فى انعدام القدرة على المواجهة أو فى الهروب من المواجهة وطلبنا الكلام من القاعة ، واعطيت الكلمة للدكتور مصطفى أبوزيد فهمى ، فأثار بحثا دستوريا طويلا عن الفرق بين الدولة الاتحادية والاتحاد التعاهدى ، وان الخلاف الذى نشب سببه خطأ فى فهم طبيعة هذا الاتفاق ، فهو اتفاق تعاهدى ، واذا نص على ذلك فى الاتفاق فان اسباب الخلاف ستزول

لم يكن فى كلام الدكتور مصطفى أبوزيد جديدا ولكنى وجدت الفرصة ملائمة ، وخاصة بعد ان اطال الدكتور أبوزيد فهمى فى كلامه ، وبعد ان استمر الاجتماع ساعات ، وبدأ الملل يتسلل الى اعضاء اللجنة ، وجدت الفرصة ملائمة ، لان اطلب رفع الجلسة حتى تعيد اللجنة التنفيذية العليا دراسة المشروع على ضوء الدراسة

الدستورية التي عرضها الدكتور أبوزيد ، وتعرض نتيجة ما تصل اليه على اللجنة المركزية .

ورفعت الجلسة لتجرى اجتماعات جانبية في مكتب الأمين العام للاتحاد الاشتراكي ، وكان عبدالمحسن أبوالنور ، وحضر هيكمل هذه الاجتماعات لنتقل الى بيت السادات ، وكان قد انتقل الى بيته الجديد في شارع النيل ، وانتهت هذه الاجتماعات الى تكليف سامي شرف والدكتور أبوزيد للسفر الى ليبيا ، لمراجعة القذافي وتحديد طبيعة هذا الاتحاد .

ادخلت بعض تعديلات لفظية لا تغير من موضوع الاتفاق شيئا ، واعيد العرض على اللجنة المركزية وبعد مناقشات قصيرة قدمت اقتراحا بقفل باب المناقشة والموافقة على المشروع وتم ذلك باتفاق كامل . وأشهد ان كثيرين ممن اسماهم السادات بعد ذلك بمراكز القوى قد ساهموا بقسط كبير في تهدئة الموقف .

وعرض المشروع بعد ذلك على مجلس الوزراء واحيل الى مجلس الأمة ونوقش في مجلس الأمة ووثق عليه ايضا ، بعد ان تحدث عدد من الاعضاء مؤيدين للمشروع .

وأذكر من بين الذين تحدثوا بحماس دفاعا عن هذا الاتفاق احمد يونس ، وقد كان رئيسا للاتحاد التعاوني الزراعي وله تأثيره على أكثر الفلاحين في المجلس ، وقد اختاره الله الى جواره ، ولم يسلم أحمد يونس من فيض وفاء السادات ، فقد مات ، وما زالت قضيته قضية الاتحاد التعاوني الزراعي ، التي كان وراءها اثنان من اعز اصداقائه ، محمد حامد ومحمود ابو وافية وصحيفة الاخبار ورئيس تحريرها موسى صبرى ، بمباركة من السادات ، كانت وما زالت متداولة لسنوات امام محكمة الجنايات ، وقضى فيها ببراءة جميع المتهمين بعد وفاته ، وكان ذلك ايضا بعد رحيل السادات .

لقد أردت ان تكون مناسبة عرض الاتفاق على مجلس الأمة مظاهرة يعبر فيها المجلس عن تأييده للسادات ، اذ لمست خلال

مقابلاتي واجتماعاتي الطويلة معه في هذه الفترة ، انه في حالة
يأس ، وقد تدفعه مثل هذه الحالة الى الاقدام على تصرفات خاطئة ،
فأردت أن ارفع من روحه المعنوية لتسمح الظروف بعد ذلك باجراء
المصالحة التي كنت ، وكان معي الكثيرون ، يتطلعون اليها حماية
للثورة والنظام من أي انتكاس . خاصة وأن الصدام المسلح مع
اسرائيل أصبح ضرورة حياة في نظر كل وطني .

اعدت لهذا الغرض مشروع قرار باعلان الثقة بالسادات وتأييده
واعطيته الى العضو نظمي مكاوي وكان من الاعضاء المقربين أسريا الى
السادات ، ليوقع عليه من اعضاء المجلس وقد وقعها عدد كبير منهم
(ولم تكن اسرة نظمي مكاوي بافضل من غيرها) ممن عرفوا
السادات في ساعات الشدة . فقد شملها بفيض وفائه ، فقطع هو
والسيدة حرم السادات . كل اتصال بها بعد ان دانت له السلطة .
وذهبت الى السادات في منزله في وقت متأخر من الليل وحملت اليه
اخبار ما جرى في المجلس ، وقلت له أن الظروف أصبحت مواتية
لتنقية الجو مما شابه من خلافات . . .

وأعود الى ما قبل ذلك بايام فقد طلب مني السادات الحضور الى
استراحة القناطر في مساء نفس اليوم الذي نوقش فيه مشروع الاتفاق ،
في اللجنة التنفيذية العليا ، ورفض باغلبية الاصوات ، كان حاضرا
في هذه الليلة اللواء الليثي ناصف رئيس الحرس الجمهوري ، وكان
الحديث دائرا حول خطة تأمين القاهرة . فهمت من الحديث ان هذه
الخطة موضوعة منذ عهد عبدالناصر لتنفيذها وقت الحاجة الى حماية
رئيس الجمهورية من أية اضطرابات أو محاولات انقلابية ، وإن
الخطة جاهزة للتنفيذ في أي وقت .

ومنذ هذه الليلة شعرت ان السادات يدبر امرا ، وقد بدأ في
التخطيط لتنفيذه ، وكان ذلك قبل اجتماع اللجنة المركزية وقبل
مهاجمة على صبرى له .

ورد على ذهني سؤال وجهته الى اللواء الليثي عن الجهة التي تملك اصدار الامر بتنفيذ الخطة رد الليثي بان الأمر يصدر اما من رئيس الجمهورية أو من سامي شرف (سكرتير الرئيس للمعلومات ووزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية .)

وتركت التعليق للسادات فقال أنه يثق تماما في سامي شرف ، وسأل الليثي عن رأيه . . فقال الليثي انه يضمن تماما سامي شرف حتى لو حدث خلاف مع شعراوي جمعه .

قلت انني شعرت ان السادات يبيتُ أمراً وهذا الذي حملني على ان اعد مشروع القرار بتأييده في مجلس الأمة ، عندما عرض عليّ المجلس مشروع اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية حتى ارفع من روحه المعنوية وتصبح الظروف مواتية لاجراء المصالحة .

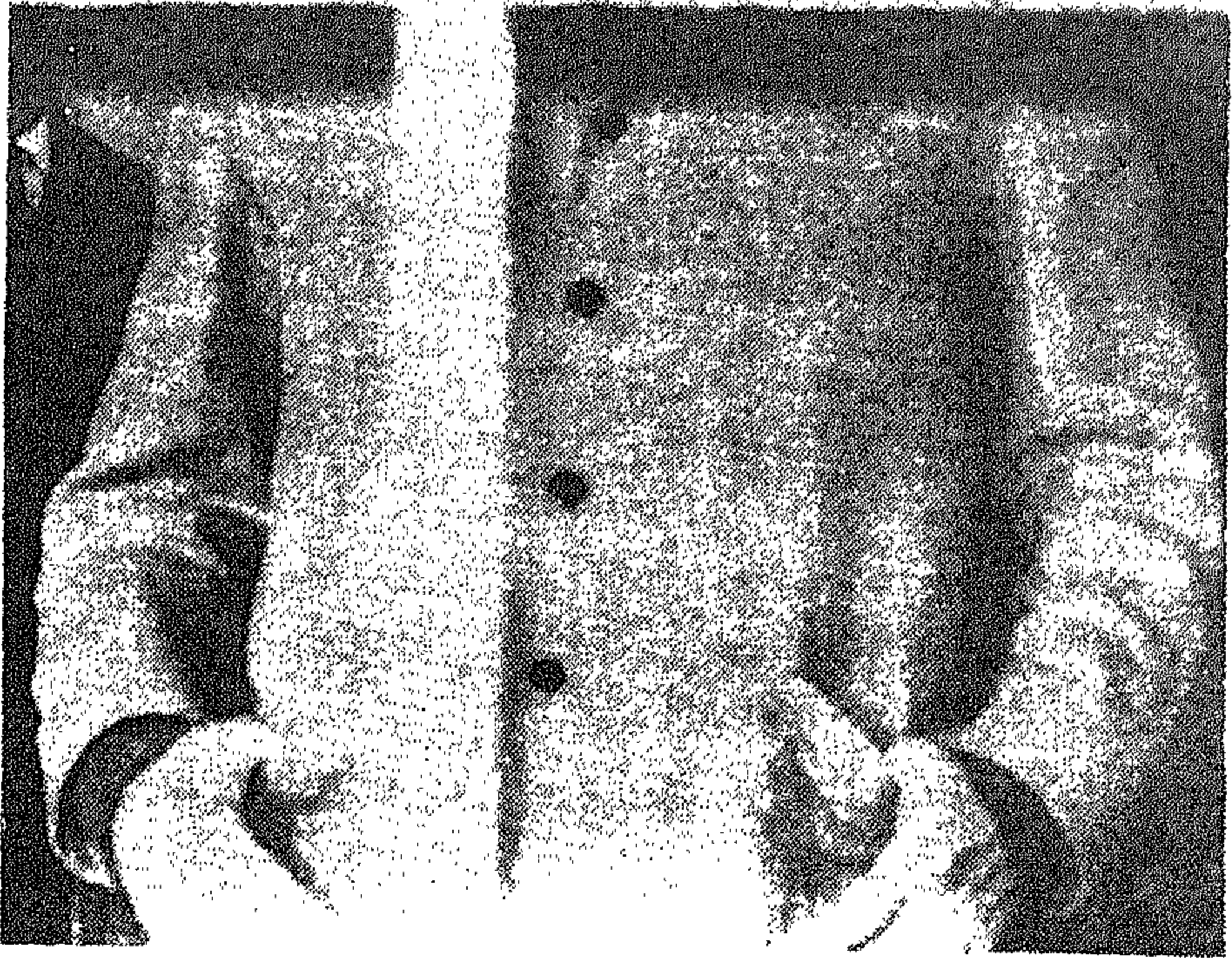
وكنا في الايام الأخيرة من شهر ابريل ، حيث كانت قد تحددت زيارة روجرز وزير الخارجية الامريكي لمصر ، وجرت محادثات طويلة بين السادات وروجرز ، وقد اشرت الي ما تجمع لدي عنها في موضع اخر ، حيث ان السادات لم يحدثني حديثاً مباشراً في شأنها . على ان السادات قد كشف في احاديثه وبياناته اللاحقة لزيارة روجرز وللاتصالات التي جرت مع أمريكا عن اهداف الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة ، فقال في اكثر من مناسبة ان هذه الاهداف هي ثلاثة اهداف :

أولها : اخراج الاتحاد السوفيتي من المنطقة ، ونحن نرى ان الاتحاد السوفيتي صديقا في الحرب ، وصديقا في السلام .
ثانيها : عزل مصر عن الأمة العربية ونحن لا نستطيع القبول تاريخيا ومصيريا بمثل ذلك ، لان مصر جزء من الأمة العربية قدرا ومستقبلا
ثالثها : ضرب التجربة الاشتراكية في مصر ، ونحن نؤمن بطريقنا في التطور ونصمم عليه الى اخر مدى .

(ويمكن ان نجد هذا المعنى في عديد من خطبه في ١٩٧٠ و ١٩٧١ و ١٩٧٢ وعلى سبيل المثال خطابه في افتتاح الدورة الاولى

لمجلس الشعب ١١ نوفمبر ١٩٧١) .
 فأى تطابق بين أهداف أمريكا في المنطقة كما حددها السادات
 وبين ما ارتكبه بعد ذلك في حق شعبه وامتة العربية ، وسلوكه طريق
 القبعية العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية بلا تحفظ .
 وانتهت زيارة روجرز واذكر ان بعض العناصر من تنظيمات
 الاتحاد الاشتراكي كانت تريد ترتيب مظاهرات سلمية للاحتجاج
 على هذه الزيارة ، وقد وجدت هذه الفكرة تجاوبا من الكثيرين ،
 ولكن شعراوى جمعه وكان مسئول التنظيم ، استطاع ان يقنع هذه
 العناصر بعدم القيام بهذه المظاهرات ومرت الزيارة بسلام .
 واصبح الجو أكثر ملائمة لرأب الصدع ولكن السادات - كما
 قلت - كان يبيت أمرا .





علي صبري .. نقله السادات من منصب نائب الرئيس الى قفص الاتهام

الفصل الرابع

إقالة علي صبري وافتعال الصدام مع السوفييت

في صباح ٢ مايو سنة ١٩٧١ نشرت الصحف في صدر صفحاتها خبر إقالة علي صبري من منصب نائب رئيس الجمهورية واستدعى السادات السفير السوفيتي فيلا ديميرفونوجراد وف ليبلغه بذلك في صباح اول مايو وكان ذلك قبل توجه السادات للاشتراك في احتفال عيد العمال

وقد علمت بعد ذلك ان السفير قد رد على السادات بان هذه المسألة مسألة داخلية تخص مصر وحدها ، وانها لا تؤثر على العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي

واستقالة علي صبري او اقالته امر معقول اما استدعاء السفير السوفيتي وابلاغه بذلك فهو الامر غير المعقول ، ولا يمكن ان يفسر إلا على اساس أن السادات اراد ان يضرب عصفورين بحجر واحد من ابعاد علي صبري ، وتلويث سمعته بشبهة الاتهام ، بانه عميل موسكو او رجل او عميد العملاء السوفيت ، كما كان يسميه في بعض احاديثه وكتاباتة ، ثم اختلاق خصومة مع السوفيت .

صراع القوى قد يحمل السادات على ابعاد علي صبري ولكن الذي يحمل السادات علي تدبير تظاهره واستدعاء السفير السوفيتي وابلاغه بذلك امر آخر .

وقد قال لي السادات في ذلك الحين ان استدعاء السفير السوفيتي كان بهدف الا يؤثر ابعاد علي صبري على سير العلاقات المصرية السوفيتية وان السادات اراد ان يوضح للسفير ذلك .

ولكنني علمت بعد ذلك ان السادات اكتفى بمجرد ابلاغ السفير بابعاد علي صبري وان السفير رد عليه بان هذه مسألة داخلية تخص مصر وحدها وهكذا تخلص السادات من علي صبري .. تخلص من

غريم حياته ، انتظر هذه اللحظة كما كان يقول منذ وقت طويل .
على صبرى يؤرق السادات كلما سمع من عبد الناصر انه
الاشتراكي الوحيد في كل من حوله ، وعلى صبرى اثار حفيظة
السادات مجددا عندما زار موسكو على رأس وفد رسمى في اواخر
١٩٧٠ بعد وفاة عبد الناصر ، واراد السوفيت ان تكون زيارته فرصة
للتعبير عن استمرار تأييدهم المطلق لمصر ، بعد رحيل عبد الناصر
واستقبل استقبالاً حاراً وحقت زيارته نجاحاً كبيراً بتقديم موعد
تنفيذ بعض التعاقدات العسكرية والاقتصادية من ١٩٧١ الى
١٩٧٠

وعلى صبرى استطاع بتنفيذ الخطة ٦٠/٦٥ وهى الخطة
الوحيدة التى نفذت فى مصر - استطاع ان يصبح من رموز نجاح
التخطيط والاقتصاد الموجه فى مصر .

والسادات فى طبعه ان يغفل الحسنة ولا يغفو عن السيئة وظل على
اعتقاده بان على صبرى كان وراء نتيجة انتخابات اللجنة التنفيذية
العليا التى اجريت فى ١٩٦٩ والتى جاء فيها السادات الخامس فى
ترتيب اصوات اعضاء اللجنة التنفيذية العليا

ثم ان التخلص من على صبرى كان يحمل من المعانى ما كان
السادات حريصاً على تأكيده فى ذلك الحين

فالامر لى السادات كان يساوى ان يرتب هذه التظاهرة ليترك
الانطباع بان السوفيت كانوا وراء على صبرى فى تأمره عليه ، وليترك
الانطباع بان السوفيت يتدخلون فى شئوننا الداخلية .

وكانت هذه بداية خلق المصادمات واختلاقها التى تتابعت
حلقاتها بعد ذلك مع السوفيت

ولعلنى اذكر واقعة اخرى حدثت بعد ١٥ مايو ١٩٧١ وبعد ان
تولى محمد صادق وزارة الحربية فى اعقاب القبض على محمد
فوزى ، فقد اصدر السادات امره الى صادق ، بناء على اقتراح
الاخير ، بان تمنع بتاتا اية زيارات اجتماعية بين الضباط المصريين

والمستشارين والخبراء السوفيت ، وان يعم هذا الامر على جميع الوحدات بدعوى ان محمد فوزى كان يسمح بمثل هذا التزاور وفي اجتماع اللجنة المركزية في ديسمبر ١٩٧١ تحدث السادات عن العلاقات المصرية السوفيتية وعن تأخر السوفيت في تنفيذ تعهداتهم ، واعطى السادات الكلمة للفريق صادق وزير الحربية فتحدث طويلا عن عدم تنفيذ السوفيت لالتزامهم وتعهداتهم ، حتى أثار موجة من اليأس بين أعضاء اللجنة المركزية في امكانية دخول مصر المعركة مع اسرائيل ، وقد اخذ الامر يتضح لى بعد ذلك ، من ان هدف السادات من ذلك هو افتعال الظروف والعلل للتسوية في اصدار الأمر ببداية المعركة .

اضطرت بعد ان انتهى اجتماع اللجنة المركزية ان اعقد اجتماعا مع الامانة العامة للجنة المركزية ومع امناء المحافظات ، لتخفيف وقع حديث الفريق صادق ، وان اعود الى السادات بصيغة البيان الذي يصدر عادة عن اللجنة المركزية بعد اجتماعها ، وفيه تأكيد على حتمية المعركة ودعوة للحكومة السوفيتية وللحزب ولجنته المركزية ، بتكثيف المساعدات العسكرية والتعجيل بارسالها ، لتكون مصر قادرة على قهر العدوان وازالة اثاره .

كانت عقيدتى منذ اليوم الاول اننا لن نصل الى اى اتفاق عن طريق الاتصالات الدائرة مع امريكا ، وليس لنا سند في معركتنا التى ستفرضها الظروف غير الاتحاد السوفيتى ، وعلينا الانكل عن الالاحاح وعن استمرار الاتصال والضغط لاستكمال المعدات الضرورية لمعركتنا

كانت هذه سياسة عبد العاص مع السوفيت ، وكانت محاولاتي مع السادات ان نستمر في هذه السياسة لأننا كنا دائما نصل الى ما نطلبه ولو تأخر بعض الشيء

ولست هنا في صدد ما قدمه السوفيت لتعزيز قدراتنا العسكرية فهذا

امر تقييمه من اختصاص العسكريين ، وقد قيمه التقييم الصحيح الفريق محمد فوزى وزير الحربية الاسبق فى مذكراته عن حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ ، وقد كان عملى هو خدمة السياسة التى تمكنا من الحصول على الطلبات التى يحددها العسكريون اما عن المساعدات السوفيتية والاشادة بها فقد تضمنتها بيانات واحاديث السادات فى ١٩٧٠ و ١٩٧١ و ١٩٧٢ و ١٩٧٣ وهى فى مجموعة خطب واحاديث السادات التى اصدرتها الهيئة العامة للاستعلامات .

فوجئت شخصيا بما نشر عن اقالة على صبرى ، ورغم اننى كنت مع السادات الى وقت متأخر من الليلة السابقة فلم يشر الى هذا الموضوع من قريب أو بعيد .

وكان خطاب السادات فى عيد العمال قد زاد الازمة تفجرا ، فقد اشار فيه الى انه يتمثل بما قاله عبد الناصر من ضرورة تفرد رئيس الجمهورية بالسلطة واتبع ذلك باقالة على صبرى

عاودت مفاتحة السادات فى ضرورة السعى لازالة سوء التفاهم والخلاف ، وكانت القطيعة قد اشتدت بعد اقالة على صبرى واستطعت ان أقنع السادات بمقابلة عبد المحسن ابو النور ، وكان امينا عاما للاتحاد الاشتراكى ، كما بذلت جهودا لجمع السادات ولبيب شقير رئيس مجلس الامة ، تركتهما معا طوال ثلاث ساعات رغم اننى كنت فى منزل السادات ، حتى طلبنى السادات فى الساعة الحادية عشرة مساء وقال لى : سنرافق الدكتور لبيب الى المستشفى (مستشفى الشبراويشى) لمعاودة ابنه أو ابنته المريضة ، رحبت بذلك لما وجدت فيه من بادرة طيبة .

ومن كثرة الحاحى قال لى مرة انه على استعداد لمقابلة اى شخص الا ضياء الدين داوود ، واذكر فى ذلك الحين ، اننى اجتمعت فى مكتبى مع ضياء الدين داوود ورجوته ، ان يترك القاهرة

لبضعة ايام ، وقلت اننى كفى بعد ذلك باعادة المياه الى مجاريها ، وعرضت عليه مفتاح شقتى فى الاسكندرية لقضاء بضعة ايام فيها بعيدا عن القاهرة ودمياط .

ولم يلبث حدث عارض ان افسد محاولتى ، او تصورت ذلك لاعادة العلاقات الطبيعية بين السادات ولبيب شقير ، والحدث يدل على طبيعة السادات التى لا تحتمل الخلاف ولا تحتمل المواجهة اصلا ، اصطحب لبيب شقير معه ضياء الدين داوود فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف فى جامع الازهر فى ٦ مايو سنة ١٩٧١ ، ووجد السادات نفسه وجها لوجه امام ضياء الدين داوود الذى يكرهه كراهية التحريم ، ولان الكراهية تتمك كل حواسه وتأخذ عليه كل جوانب مشاعره اذا واجه من يكرهه او يختلف معه فقد عاد الى المنزل بعد انتهاء الحفل لتتفجر كل هذه المشاعر فى ثورة عارمة على الجميع

واذكر خلال هذه الفترة ان الزيارات فى مكتبى لم تكن تنقطع ، زارنى فى هذه الفترة فؤاد محيى الدين الذى اصبح بعد ذلك وزيرا مقربا الى السادات ثم رئيسا للوزراء ، وكان محافظا للشرقية ، وقد كان فؤاد محيى الدين صديقا ، ونصحنى بعدم الاصطدام بالتنظيم الطليعى ، وضخم لى من قوة هذا التنظيم وحذر من محاولة السادات حله ، واعتقد انه كان رئيسا لهذا التنظيم فى ذلك الوقت فى الشرقية ، وانه شغل مراكز اخرى فى هذا التنظيم

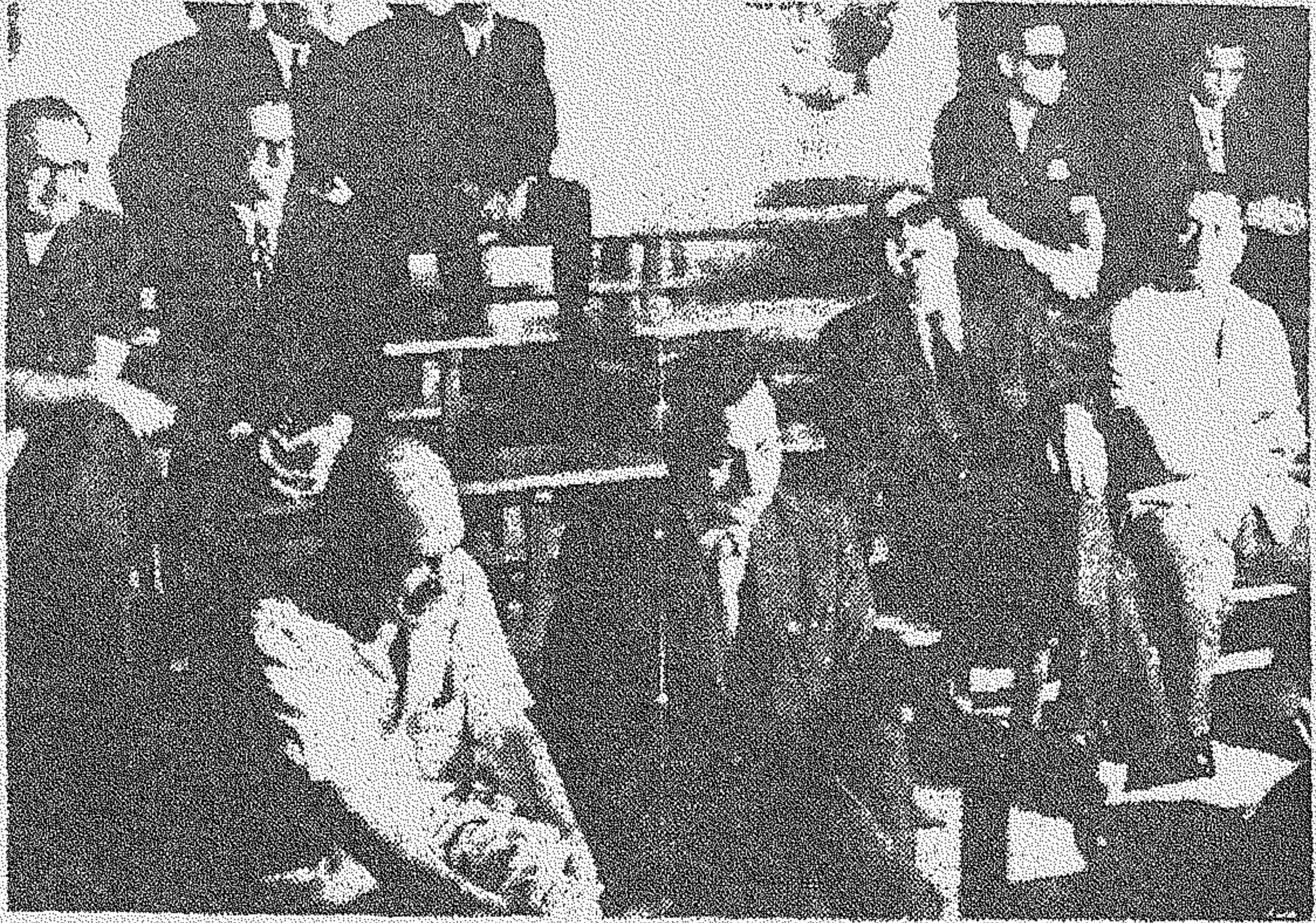
وأريد ان أؤكد ان المصالحة فى هذه الفترة كانت ممكنة فقد تحسنت العلاقات مع عبد المحسن ابو النور ومع لبيب شقير وكانت العلاقات مستمرة يوميا مع شعراوى جمعة ومع سامى شرف ولكن السادات كان يبيت امراً آخر .

واثار السادات مع شعراوى جمعة امين التنظيم ووزير الداخلية مسألة اعادة انتخابات الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة ، وكلف شعراوى جمعة بهذه المهمة

وفي استطاعتي ان اجزم الآن ان تكليف شعراوى باعادة انتخابات الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة كانت مجرد مناورة من السادات ، أراد بها ان يشق الصف ويثير الوقيعة بين شعراوى جمعة وامناء اللجنة التنفيذية العليا واعضاء اللجنة المركزية ، فما كان السادات ليترك الانتخابات ليشراف عليها شعراوى جمعة

فالسادات فى ذلك الحين كان قد اصبح اسير بيته واسير الاتجاهات التى تدور فى هذا البيت من جانب سيد مرعى ومحمود ابو وافية (عديل السادات) واحيانا حامد محمود (غفير السادات كما كان يقول) ومعهما وقبلها السيدة حرم السادات والسيدة حرم ابو وافية ، ان لم يكن من حديث مع السادات ليل نهار الا الهجوم على شعراوى جمعة واتهامه بانه أس كل بلاء ، فهو وفقا لهم الذى زور الانتخابات السابقة ، واسقط محمود ابو وافية لانه عديل السادات ، وهو كان مع على صبرى فى كل خطواته ومؤامراته ، ويكفى ان نقول ان كثيرا من القرارات التى تمس اخطر القضايا المصرية اتخذت فى هذه الدائرة الضيقة بل فى دائرة اضيق منها . وتتطور الامور بعد ذلك ليصبح فى مصر حكومتان احدهما تتمركز فى لاطوغلى والاخرى فى الجيزة - وطبيعى ان تكون الغلبة فى كل قرار لحكومة العائلة هذا اذا افترضنا وقوع خلاف بين الحكومة الرسمية وحكومة العائلة فمنذ ١٩٧٣ وكانت السلطة كلها لحكومة العائلة





الذين قادوا السادات الى مقعد الرئاسة .. فقادهم الى قفص الاتهام

الفصل الخامس

تفجر الصراع وانقلاب ١٥ مايو

شعرت اننا مقدمون على تطور خطير عندما بدأ السادات في زيارة الوحدات المختلفة للقوات المسلحة .

وفوجئت في صباح يوم الخميس ١٣ مايو بسيارة من رئاسة الجمهورية ومعها رسالة من السادات يطلب موافاته عاجلا في منزله بادرني بالقول انه وضع يده على المؤامرة وقص على قصة اشربة التصنت والاستماع ، وقال انه قرر التخلص من شعراوي جمعه . كان الترشيح لوزارة الداخلية محصورا بين اثنين ، صلاح مجاهد محافظ دمياط وممدوح سالم محافظ الاسكندرية ، كانت كفة صلاح مجاهد مرجحة لأن ممدوح سالم كان معروفا بأنه من قيادات التنظيم الطليعى ، ورئيس هذا التنظيم فى الاسكندرية ، وقبل ذلك فى محافظات اخرى ولكن حسم الموقف وصول تقرير سرى من سكرتير عام محافظة دمياط (احمد الحداد) عن اجتماع عقده ضياء داود فى دمياط وهاجم فيه السادات ، وكان صلاح مجاهد محافظ دمياط حاضرا هذا الاجتماع . واصبح ممدوح سالم وزيرا للداخلية .

لم يكن اسلوب التسجيل والتصنت غريبا على السادات فقد كان يعلم به وكان احيانا يطلب الى سامى شرف فرض الرقابة على مكالمات بعض الشخصيات عسكرية ومدنية

واذا كان السادات قد تظاهر باحراق اشربة التسجيل والتصنت بعد ١٥ مايو ، ليحسب هذا من حسناته وانتصاراته ، فقد فرضها بعد ايام على محمود رياض وزير الخارجية : لانه رفض تصديق قصة اشتراك محمد فوزى فى مؤامرة مايو ، بل ان اجهزة التسجيل والتصنت لم تجد رواجاً مثل ما وجدته فى عهد تولى السادات لرياسة

الجمهورية ، وتطورت اجهزة التسجيل والتصنت في عهد رياسته للجمهورية واخذت أحدث ما في العلم والتكنولوجيا الغربية ولعل هذا الجانب هو الذى حظى بالاهتمام الاكبر فى نقل احدث ما انجزته تكنولوجيا العصر

ونصل الى مساء يوم ١٢ مايو ، فما كادت الاذاعة تبدأ فى اذاعة استقالات اعضاء اللجنة التنفيذية العليا وبعض الوزراء حتى استدعيت على عجل الى منزل السادات

ولم يكن فى المنزل فى ذلك الحين غير السادات ، وكان يلبس ملابسه المنزلية والسيدة حرم السادات وهيكل .. كان هيكل فى حالة قلق شديد ولم يتوقف عن السير جيئة وذهابا الى الصالون وهو يقول « ربنا يستر .. ربنا يستر .. » وكانت السيدة حرم السادات فى حالة زعر بين ، اما السادات فقد كان جالسا الى جانب التليفون وهو يضع الطنبجة الى جانبه .

كان الصمت يخيم على جميع من فى منزل السادات ، اردت ان اقطع هذا الصمت قلت للسادات طنبجة ايه ياريس الى انت حاططها جنبك .. دا انا دخلت البيت بسيارتى الخاصة ، ولم يسألنى احد من الحرس الى أين انت ذاهب ، والحالة عادية تماما فى الخارج ، ولو كانت هناك مؤامرة لنفذت بكل بساطة .. علينا ان نفكر سريعا ايه اللي حنعمله ، قال السادات انا ارسلت محمود ابو وافية لاحضار محمود فوزى لاننا لم نستطع ان نتصل به فى التليفون فى منزله ، (فى الهرم على ترعة المريوطية) .. والسيد مرعى لايرد تليفونه .. قلت له ليس المهم الان سيد مرعى او محمود فوزى ، ان امامنا مهمتين عاجلتين ، السيطرة على الاذاعة ، وضمان امن القاهرة ، قال انا طلبت الليثى ناصف وجاى حالا لضمان امن القاهرة

وتوقف هيكل وقال عليك يازيات تروح الاذاعة . قلت لهيكل انت اقرب الى جو الاذاعة منى ، فقد كنت وزيرا للاعلام فقال انا مش

ممکن اروح ای حتہ .. ونظرت الی السیدة حرم السادات نظرة فیہا رجاء .

وقبلت المهمة وابنا اقدر خطورتها ، لم تكن الكراهية لشخص او الولاء لشخص او الطمع في مركز دافعى على ما اقدمت عليه .
كان السادات المؤسسة الدستورية الوحيدة القائمة في تلك الليلة ، وكانت المحافظة عليه هي الضمان الوحيد لسلامة مصر ، والليلة كانت تسمح لای مغامر ان يستولى على الاذاعة والتليفزيون بل ان يستولى على السلطة ، فقيادات التنظيم السياسى قد استقالت والتنظيم العلنى والتنظيم السرى والطليعى يمكن ان تحركه اية عناصر غير مسئولة ، ومجلس الامة استقال رئيسه وترك السلطة التشريعية عرضة لأن تحركها الصراعات ، وقواتنا المسلحة قد تركها وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ولانعرف الاجواء والاتجاهات التى تسيطر عليها وليست هناك حكومة يمكن ان تسيطر على الموقف او تمسك بزمام الأمور ، وكنت اعرف في ذلك الحين ان وزير الداخلية لم يكن يحتكم في هذا الوقت على اكثر من ١٠٠٠ جندي في القاهرة لو كانت هناك مؤامرة مخططة لكان الامر أهون .. والى جانب هذا فالصراع قائم بين طرفين ينتميان الى خط عبد الناصر ، بل ان السادات في ولائه غير المحدود وتوافقه غير المشروط مع خط عبد الناصر ومع الثورة ومبادئها والقيم التى ارستها ، يذهب الى ابعد مدى ، كما توهمت إذ ذاك ، وهو ان استمر في الحكم سيضيف عمقا ديمقراطيا الى الثورة كما توهمت ايضا إذ ذاك .

وكانت هذه الاعتبارات كلها هي التى قادت خطاى الى مبنى الاذاعة والتليفزيون ، وكانت هذه الاعتبارات هي التى جعلتنى اتقبل راضيا السير في طريق محفوف بالمخاطر ، قد يكلفنى في المدى القصير او الطويل حياتى .

قابلنى وانا فى طريقى الى الخروج من منزل السادات الليثى
ناصر رئيس الحرس الجمهورى وقال لى انه بدأ فى توزيع قسواته فى
القاهرة ، وانه يأسف لان القوات لن تصل الى الاذاعة الا فى الساعة
السادسة صباحا وطمأننى على الحالة من القاهرة ... ورافقنى الى
مبنى الاذاعة ضابط شاب من حرس رئيس الجمهورية ، اذكر اسمه
عبد الرؤوف حتاتة ومعه مدفع رشاش لا ادرى هل كان فيه ذخيرة ام
لا ..

كنا فى وقت متأخر من الليل فقد اذيعت نشرة اخبار الساعة
الحادية عشرة مساء واوردت الاستقالات وسبققتها ولحققتها اناشيد
مثيرة ..

وتوجهت الى مكتب الوزير وحاولت ان اخلق جوا من الرهبة
والتهديد ، استدعيت المسؤولين الذين تصادف وجودهم فى ذلك
الحين فى مبنى الاذاعة ، وكان من بينهم محمد عروق وسعد زغلول
واسحق حنا ومنير حافظ الذى كان مديرا للاستعلامات ، وكتبت على
عجل قرارا بتعيين نفسى وزيرا للاعلام بالاضافة الى عملى كوزير دولة
لشئون مجلس الامة وكلفت المسؤولين باذاعة القرار .

اصدرت اوامرى بوقف اذاعة الاستقالات ووقف اذاعة الاناشيد
المثيرة ، ولم يخالف هذه الاوامر الا محمد عروق ، وكان مديرا
لاذاعة صوت العرب فقد اعاد اذاعة الاستقالات من اذاعة صوت
العرب ثم غادر المبنى مباشرة ، وعينت سعد زغلول محله مشرفا على
اذاعة صوت العرب وعلى الاذاعة العامة ، وبدأ استدعاء جميع
المسؤولين عن الاذاعة من منازلهم ، وكان اهتمامى الاول بالقسم
الهندسى ، فقد كنت اعرف ان هناك محطات فى ابى زعبل وفى طره
وغيرهما من الاماكن ويمكن استخدامها ، واجريت اتصالات بجميع
المحافظين فى المحافظات التى تقع فيها هذه المحطات للانتقال
فورا الى مراكز هذه المحطات والمحافظة عليها ومتابعة ما يجرى
فيها ، وقررت ان تكون اذاعة صلاة الجمعة من مسجد الاذاعة وكان

مقررًا ان تذاع من احدى المحافطات .

ووجدت تعاونًا من جميع ممن تواجدوا معي في هذه الليلة من العاملين في الاذاعة ، كان العمل مرهقا ومتشعبا تحملته بصبر واصرار وعندما جاء وقت الاذاعة الصباحية كانت درجة الامان قد وصلت الى ٩٠ ٪

وخلال هذا امكن تدبير خط مباشر بين الاذاعة ومنزل السادات ، واخذت اتلقي بيانات التأييد وبعض الاخبار لاذاعتها تباعا ، واذكر ان اول بيان أمرت باذاعته من بيانات التأييد قد ابلغني به عزيز صدقي الذي كان نائبا لرئيس الوزراء ووزير الصناعة ، وكان قد وصل الى منزل السادات بعد مغادرتي له مباشرة .

ان المجهود الذي قام به عزيز صدقي في هذه الليلة - والذي حاول السادات ان يطمسه - لا بد وان يذكر فقد اجرى اتصالا مع جميع رؤساء ادارات المؤسسات وشركات القطاع العام ومع العديد من الزعماء النقابيين وامكنه ان يؤمن جبهة العمال .

ولم يصل الحرس الجمهوري الى مبنى الاذاعة والتليفزيون الا بعد الساعة السادسة صباحا ، كما وعدني الليثي ناصف ، حيث دخل على احد ضباطه ليبلغني التمام .

وكان امامي عمل آخر اؤديه وهو ان اعد مجلس الامة للاجتماع في نفس اليوم ، اى في مساء يوم الجمعة ١٤ مايو لان يومى الخميس والجمعة قد اتصلا معي ليل نهار في هذا الوقت العصيب . ووقع اختياري على حافظ بدوى ليكون رئيسا للمجلس وكان وزيرا للشئون الاجتماعية وذلك بدلا من لبيب شقير الذى استقال فاتصلت به فجر يوم الجمعة في كفر الشيخ وطلبت منه ان يوافقني بأسرع ما يمكن الى مبنى الاذاعة .

وكان عدد من اعضاء المجلس قد بدأوا يتوافدون على مبنى الاذاعة بعد ان اصبحت الاذاعة مؤمنة بالحرس الجمهوري .

واخذت في اليوم التالي اى يوم الجمعة ، انتقل بين المجلس
لأجتمع بالأعضاء لاعدادهم لجلسة المساء واعداد الاوراق الخاصة
بالجلسة ، وبين الاذاعة لاطمئن على سير البرامج ومراجعة الاخبار
والاحاديث قبل اذاعتها واذكر انه كان من بين فقرات التليفزيون في
يوم ١٤ مايو حديث - لسفير الاتحاد السوفيتى وصدر توجيه
من يحيى عبد القادر رئيس اتحاد الاذاعة والتليفزيون بوقف بثه ،
ولكننى امرت بأن تستمر البرامج كما هي دون تعديل .

واذكر ان السادات اتصل بى بعد القاء بيانه يوم ١٤ مايو وقال لى
انت فين .. وقلت له انا فى الاذاعة ، قال لى احنا منتظرينك علشان
اداء اليمين فى قصر القبة .

والان وانا اطل على هذه الاحداث من بعيد لايتمكنى العجب فى
ان السادات قد حسب على هذا الموقف ولم يحسبه لى .. وان موقفى
هذا منه قد اثار حقه وحفيظته بل كان من الاسباب التى حملته على
ان يشن حربا ظالمة على شخصى . الم يكن الناس قد بدأوا يتحدثون
عن دورى وتسلط الاضواء على ..

وانا لا أنكر الاسباب الجوهرية التى باعدت بينى وبين
السادات ، وجعلتنا نقف على مفترق الطرق ، لايمكن ان نتلاقى ،
ولكننى اتساءل عن الآخرين الذين ساندوه فى ساعات حاجته ونصروه
فى ساعات ضعفه ، لم يختلفوا معه قط اختلافا سياسيا بل أيّدوه فى
كل تصرفاته ؟ .. ولا استطيع استبعاد العوامل النفسية فى تكوين
السادات وانا اجيب على هذا السؤال .

قال هو نفسه ذلك فى كتاب البحث عن الذات :

« عندما انظر اليوم الى الثمانية عشر عاما الاولى من الثورة قبل
ان اتولى الرئاسة اجد ان هذه الفترة من حياتى كانت فترة معاناة ولم
ادرك سببها فى ذلك الوقت ، فقد ظلت كامنة فى العقل الباطن ..
ولكنها احدثت خللا فى توازنى » .

السادات يعيش أزمة مع نفسه ، أزمة إشفاق على الذات ..

ليس من احد له قدراته .. وليس من احد ضحى مثل ماضحى ..
وليس من احد شوهدت صورته مثل فاناله من تشويه .. وليس من احد
تنكر له زملاؤه وانكروه مثل مالحقه من تنكروا انكار ، والآن وانتبه
الفرصة ليثبت ذاتيته المهيضة ويستظهر قدراته المكبوتة ويفرض
تميزه وبطولته على هؤلاء الذين انكروا عليه هذا التميز والبطولة وعلى
الجميع ان يعترفوا بأنه الأوحد في كل مافعل .

ولذلك فهو طوال عشر سنوات منذ توليه السلطة لم يترك شخصا
شاركه الطريق ، او اشترك معه او ساهم بقسط فيما جرى ، الا ودفع
به الى دائرة الظل ، ليركز البريق على ذاته ولا يتذكر الناس غيره ..
كل انسان عايشه وناصره ونصره واخلص له ووقف الى جانبه في
الاوراق الصعبة واللحظات الحاسمة القى به الى زاوية النسيان او
امتدت اليه يد البطش والتجريح ليظل هو الاوحد ، الفضل له وحده
ولا فضل لغيره .

لا يريد ان يتذكر شخصا عرفه في هذه الساعات بل يريد ان يمحو
من عقله ومن ذاكرته هذه الساعات بكل ماتحمله من أحداث
واشخاص ويريد ان يمسخ من وجدانه انه عرف شخصا كان متميزا
عليه في جانب من جوانب الحياة .

فهو في عقله وحكمته ونبوغه وإلهامه الوحيد وليس هناك من بشر
يدانيه .

وتتصاعد النزعة النخبوية والتمييزية حتى تصل الى الحافة

يريد ان يرى في نفسه كل يوم البطل والقائد المنتصر والملهم
وصانع التاريخ ومفجر الصدمات الكهربائية التي يعجز غيره عن
مجرد الاقتراب من التفكير فيها فهو كبير العائلة ، تميز قبلي عرفته،
العصور الأولى لرجل يملك الأرض ومن عليها ويتصرف في الأرض
وما عليها . الكل رعاياه والرقاب طوع امره ، هو قانون العائلة وقراره
هو القول الفصل في كل مايخص العائلة لا احد يسأله ولا احد يراجع

والا اصبح خارجا على قانون العائلة الذي يتمثل في كبير العائلة
ثم اذ به يقرر وهو رئيس الجمهورية - الحكم بين السلطات -
ان يرتدى الزي العسكري وان يتشبع بوشاح القضاء ، وان يمسك
بعضاً المارشالية ، ليرمز الى ما يميزه عن غيره من بصيرة القرار
وميزان الحكمة وسطوة القوة .. الكل في واحد .

تم اذ به يسر الى جيمى كارتر رئيس امريكا والى برجينسكى
مستشار امه القومى انه وعبد الناصر اخر الفراعنة العظام في تاريخ
مصر . ثم يقول لجيمى كارتر ان الناس ينظرون الى على اننى خليفة
لجمال عبد الناصر وليس ذلك صحيحا فانا لا احكم مصر وفقا
لأسلوبه ، انما احكمها طبقا لاسلوب رمسيس الثانى ثم يتبع ذلك
متجنيا على الشعب المصرى بقوله : « ذلك ما يفهمه الشعب
المصرى بطبيعته وذلك ما يريده »

كانت عبادة البطل ، عبادة الفرعون امنية التى سيطرت على
فكره وافعاله فهو يتشبه بالفراعنة الذين بنوا الأهرامات لتخلد
ذكرهم ابد الأبدين فيعلن عن اقامة مجمع الأديان (الاسلام
والمسيحية واليهودية) في سيناء ليكون مقامة الخالد الى يوم يبعث
كأسلافه الفراعنة .

ويوغل في النخبوية والتميز فتسأله صحفية اجنبية عن حقيقة ما
يقال وينشر ان السيدة حرم السادات تملك ثراء واسعا ولها معاملات
مالية متشعبة .. فيكون رده انها تتاجر مثلها مثل السيدة خديجة
زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم .

واذا كانت السيدة حرم السادات مثل السيدة خديجة عليها
رضوان الله فمثل من يكون السادات نفسه ؟

ويقول في حديث آخر انه يسير على خطى خامس الراشدين عمر
بن عبد العزيز ليوحى الى اذنا به بتقديم اقتراح الى مجلس الامه بان
يطلق عليه « سادس الخلفاء الراشدين » وتخرج المظاهرات من
القوة الضاربة في المقاولين العرب (وهذا هو التعبير الذى اطلقه

عثمان احمد عثمان في كتاب - تجربتي - عن العاملين في المقاولين العرب (لتخرج هذه المظاهرات منادية به سادس الخلفاء الراشدين .

وماذا بعد ذلك اليس هو الأوحى حتى في خلقه عز وجل ، الم ينقل احد كتابه وندمائيه في احدى مقالاته الاسبوعية التي خصصت لها صحيفة الأهرام

صفحة كاملة بأمر السادات ، الم ينقل هذا الكاتب وهو استاذ جامعى قول السادات « ان الملائكة فتحو صدر سيدنا محمد الشريف وأخرجوا منه القطعة السوداء أما أنا (اى السادات) فقد خلقت بدون القطعة السوداء .

ولنا ان نتساءل بعد ذلك اين الفريق الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى الذى وقف الى جانب السادات يوم ١٤ مايو والذى قيل انه سقط من شرفة منزله وهو يعالج في لندن واين الفريق احمد بدوى والقادة الابطال الذى قيل ان طائرة عمودية قد سقطت بهم وقد كانت الأضواء تتسلط عليهم ككوكبة من كواكب النور فى الأداء العظيم للعسكرية المصرية فى حرب اكتوبر

واين واين ؟ علامات استفهام كثيرة نتركها للتاريخ للإجابة عليها . وفى اعتقادى انه ليس هناك مايفصل هذا الحديث عن انقلاب ١٥ مايو فقد كان الانقلاب هو البداية فى انضاج هذه النزعات التى كانت مترسبة فى ذات السادات والنهائيات هى حصاد البدايات .

ويحضرنى فى هذا المقام الأول قول الامام القرافى احمد ائمة المسلمين (: كان يوجد فى عهد كل ظالم من علماء السوء من يمهدها له الطريق لبعض ما يريد من اتباع الهوى (تفسير المنارج ٧ ص ١٩٧)

فليس ما أصابنا من سوء من فعل السادات وحده ولكنها من فعل صفوف طويلة من اتباع الهوى ومستشارى السوء زينوا له ما فعل

وتسابقوا الى ارضاء نزعاته واهوائه وتقديس ذاته في عهد راجت فيه
كل صور الانتهازية والنفاق والوصولية ، وارتفع ثمنها نقداً أوجاها
أو مركزاً أو سلطاناً . وهؤلاء دائماً هم آفة كل عصر وزمان .



القسم الثالث

مع السادات بعد ١٥ مايو



في ملابس الرياضة مع عثمان احمد عثمان .. المستشار الأول فيما بعد

الفصل الأول

بيان ١٠ يونية ١٩٧١

أو المحاولة الأولى لوقف الردة

في اعقاب ١٥ مايو سنة ١٩٧١ اعاد السادات تكليف الدكتور محمود فوزى بتشكيل الوزارة ، وأصدر قرارا بتشكيل امانة مؤقتة للاتحاد الاشتراكي العربى ، رأسها الدكتور عزيز صدقى ، وكان نائبا للرئيس الوزراء ووزيرا للصناعة ، وتوليت امانتها ، الى جانب عملى كمستشار سياسى للسادات ، ووزير لشئون مجلس الامة . وكان من بين اعضاء الامانة الدكتور فؤاد مرسى امينا للشئون الاقتصادية ، والاستاذ ابراهيم شكرى امينا للمهنيين ، والسيد صلاح غريب امينا للعمال والسيد عبد الحكيم موسى امينا للفلاحين .

وعهد السادات الى الأمانة المؤقتة مهمتين ، مهمة تعبئة الجماهير واعادتها للمعركة مع العدو الاسرائيلي فيما سماه بعد ذلك بعام الحسم ، ومهمة الاشراف على اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكي العربى من القاعدة الى القمة عن طريق الانتخاب ، وكذلك الاشراف على اعادة انتخاب التنظيمات النقابية العمالية والمهنية .

تولينا المهمة بأمانة ودأب في ظروف صعبة .

كان لكل واحد من اعضاء الامانة المؤقتة ، من منطلقه الخاص ، صلة بفكر عبد الناصر ، وارتباطا بثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، وتصميما على مواصلة مسيرة الحرية والاشتراكية والوحدة . نوافق على ان ننقى المسيرة من بعض كبواتها ولكن ليس الى ارتداد أوردة ، بل لمواصلتها اقوى مما كانت ، واكثر قدرة على التحدى ومواجهة التحدى .

كانت هذه قناعتنا ، ولم يكن اى منا فى حاجة لأن يناقش الآخر

ليصل الى هذه القناعة ولكنها كانت قناعة راسخة في ضمير كل منا
ضميره الوطنى وضميره القومى .

وكانت قناعتنا ايضا ، اننا نعمل لصالح السادات نفسه من خلال
عملنا لصالح الوطن . وكانت قناعتنا اخيرا ان الظروف الموضوعية
التي تحققت للسادات اعطته فرصة العمر ليكون حاكما ديمقراطيا
لبلد ديمقراطى حقيقة وواقعا .

ولكن قناعات السادات نفسه كانت شيئا آخر تماما ، فيما تبدى
خطوة بعد خطوة . كنا نعمل فى واد ، والسادات فى واد ، كنا نسير
الى هدف محدد وواضح ، والحديث يدور بين السادات وندمائيه
واصدقائه الجدد فى واد آخر .

ولم يكد ينقضى على عمل الامانة المؤقتة اكثر من اسابيع قليلة ،
حتى تأتى لها ان تواجه السادات ، لتعرف اين يقف تماما من خط
ثورة ٢٣ يوليو ، ولتحدد على هذا الضوء اين تقف هي منه ..
تسربت الى الامانة المؤقتة للاتحاد الاشتراكى انباء مقلقة ، عن
احاديث خاصة تدور فى بيت السادات ، تنبىء بتيار معاكس للخط
الذى انتهجته ثورة ٢٣ يوليو فى مختلف الاتجاهات ، وعن بداية
للغمز واللمز فى هذه الاحاديث ، لكل ما كان يجرى فى عهد عبد
الناصر . وبدأ المسئولون الأمريكيون فى القاهرة يرددون فى
محاسنهم الخاصة ، فحوى الاحاديث التى تدور فى بيت السادات ،
والاتجاهات الجديدة التى بدأت تظهر فى هذه الاحاديث ، التى
كانت تجرى بينه وبين رواد بيته من الاصدقاء والاقرباء والندماء .
وبدأ الأمر وكأن هناك خطوط اتصال منتظمة كانت مكلفة بنقل كل ما
يدور من أحاديث الى المسئولين الأمريكيين ، لينقلوها هم بدورهم
الى واشنطن. ولم يقف الأمر عند الاحاديث الخاصة ، التى تعلن عن
مولد عهد جديد يختلف تمام الاختلاف عن عهد عبد الناصر ، بل بدأ
أثنان من اقرب المقربين ينزلان الى الساحة السياسية بدعوى

تجميع عناصر قوية لمساندة السادات في التخلص مما سمي (بركومات عبد الناصر) كان أولهما عدل السادات محمود أبو وافية الذي سبق وزعم أن شعراوى جمعة قد أسقطه في الانتخابات نكاية في السادات ، وكان الثانى محمد حامد محمود الاقطاعى السابق ، ووكيل اعمال الامير عبد الله المبارك الصباح لاحقا « غفير السادات » في فترة الرئاسة كما كان يسمى نفسه وأحد كبار رجال الأعمال حاليا . واتسعت اتصالات الاثنين بهدف تجميع عناصر قوية ، تحت شعار مساندة السادات للتخلص من بقايا عبد الناصر ، وامتدت هذه الاتصالات لتشمل فريقا كبيرا من الحاقدين على نظام عبد الناصر ، وانتقل النشاط الى مرحلة تدبير مقابلات بين السادات ، وبين بعض العناصر التى عادت الثورة من اليوم الأول ، والتي تربصت انتظارا للحظة المواتية للانقضاض على مكاسب الوطن والجماهير .

وانضم موسى صبرى ، صحفى كل العصور ، الى محمود أبو وافية ، ومحمد حامد محمود ، واصبح بدوره مبشرا بمولد نظام جديد ، واخذ يدعو الصحفيين ، ومن بينهم صحفيين اجانب ، لمقابلة السادات في منزله ليشهدوا مولد هذا النظام الجديد .

وفيما لا يقل عن شهر واحد ، وبانضمام موسى صبرى الى الموكب ، بدأ الغمز واللمز عما كان يجري في عهد عبد الناصر ، ينتقل من الاجتماعات المغلقة في بيت السادات ، الى مقالات بعض الصحفيين .

وانضم سيد مرعى الى الموكب ، في الوقت المناسب ، وهو دائما ينضم الى الموكب وفي الوقت المناسب ، بعد وفاة عبد الناصر كان سيد مرعى من احد معارضى ترشيح السادات للرئاسة ، ووجه الكثير من التجريح للسادات ، وهو يردد ان « الزيات » كان يلعب بالسادات في مجلس الأمة ، ويضعه في جيبيه ، فكيف يكون الحال والسادات رئيس جمهورية . ولكنه عاد وانضم الى المركب بعد

انتخاب السادات رئيسا للجمهورية واصبح من اقرب المقربين ،
وله من الجاه والثروة والحسب والنسب ، ما يجعل السادات في
تطلعاته الطبقية يغفر له الاساءة . ايا كانت الاساءة ، وتكرر نفس
الموقف اثناء الأزمة التي انتهت الى انقلاب ١٥ مايو ، وكان
السادات يعول عليه كثيرا في مساء ١٢ وفجر ١٤ مايو ، ولم يظهر ،
وظل السادات يحاول الاتصال به في القاهرة والاسكندرية ، ولكن
عبثا فقد تعمد ان يبتعد عن حلبة الصراع ، حتى يتبين الخيط
الابيض من الخيط الاسود ، وظهر في الوقت المناسب حوالى ظهر
يوم ١٤ مايو . بعد ان تم حسم الصراع لحساب المنتصر الى
جانب السادات ، وهو يشكل الوزارة الجديدة متعللا بانه رفع
سماعة تليفونه منذ مساء ١٣ مايو ..

وانضم سيد مرعى الى الفرسان الثلاثة ، محمود ابو واقفيه ..
ومحمد حامد محمود ، وموسى صبرى ، ليبارك المسيرة نحو العهد
الجديد . وكان للسيد مرعى ، ومحمود ابو واقفيه الباع الأكبر في
توجيه الاتهامات والاهانات للأمانة المؤقتة للاتحاد الاشتراكي
والايقاع بين السادات وبينها وقية ظلت تتكامل على مر الايام ، وفي
افساد اية محاولة من جانب هذه الأمانة للسير بالسادات في الطريق
السليم .

وقيل فيما قيل من طعن في اشخاص اعضاء الامانة العامة المؤقتة
للاتحاد الاشتراكي ، انها خلقت مراكز قوى جديدة ، ولا بد من
القضاء على مراكز القوى هذه كما سبق القضاء على مراكز القوى
التي سبقتها ، وان امين الأمانة عزيز صدقي فاشل في كل ما يعمل به ،
ويكفى ما اصاب البلاد من سياسة التصنيع التي نكب بها مصر ،
وقيل عن الزيادات انه تعود ان يتفرد بالسلطة منذ ايام أن كان في
مجلس الامة ، وانه متعاطف مع الشيوعيين وقيل عن فؤاد مرسى أنه
شيوعي ، وعن صلاح غريب انه ذنب من اذئاب عزيز صدقي ، وعن
عبد الحكيم موسى انه ذنب من اذئاب مراكز القوى ، لينتهي الحديث

بعد كل هذا الى ان الشيوعيين قد استولوا على الاتحاد الاشتراكي
وان علينا ان نتخلص من الأمانة الجديدة التي خلقت مراكز قوى
جديدة .

وكان ما يدور على الساحة الداخلية وفي بيت السادات مقلقا ،
وكان ما يدور على الساحة الخارجية من اتصالات كمال ادهم
والمخابرات الامريكية دون علم من وزارة الخارجية مقلقا ايضا ،
 واجتمعت بالدكتور عزيز صدقي وقد انتابني القلق ، ولم يكن قلقا
من التهجم علينا ، فقد كنا قادرين على ان نرد كل ذلك ، ولكن القلق
كان من نوايا السادات نفسه ، وما يدور في فكره .. وهل نحن فعلا
على عتبات مرحلة جديدة تستهدف تصفية الثورة ..

واحق رأينا على انه لا بد من مواجهة الأمر سريعا حتى نعرف الى
اين نسير . واتفقنا على ان الطريق الذي نسير فيه لا بد وان يكون
واضحا ، لا بالنسبة لنا فحسب ، بل بالنسبة لجماهير الشعب التي
نتجه اليها ، واذا كنا نتجه الى هذه الجماهير بطلب انتخاب ممثلين
عنهم للاتحاد الاشتراكي ، فلا بد وان يكون هذا الانتخاب على
أساس برنامج متفق عليه من الجميع ، الرئاسة والامانة الموقّعة
والجماهير التي تدلى بأصواتها في صناديق الانتخاب .

ذهبت الى السادات وجرى حديث صريح بيننا ، قلت له انه ليس
هناك من انسان يستطيع ان يعمل في ظل هذه البلبلة التي يروجها
البعض ، وأنه بات من الملح ان تتحدد المواقف واذا كان له مواقف
جديدة لا توافق عليها الامانة ، فنحن على اتم الاستعداد لنخلي
مكاننا لغيرنا ممن يكونون محل ثقته .

استمر الحديث بيننا اكثر من اربع ساعات ، قال لي ان ثقته بعزيز
صدقي وبى وبالأمانة لا حدود لها ، حتى انه ترك لنا حرية التصرف
في كل شيء يتعلق باعادة بناء الاتحاد الاشتراكي العربى والنقابات
العمالية والمهنية وغير ذلك من التنظيمات الشعبية ، وأنه يسمع
احيانا في الاذاعة ويقرأ في الصحف عن صدور قرارات منه ، لم يطلع

عليها ولم يوقعها ، وهو سعيد جدا بذلك ، ويعتبر ان سعادته هذه دليل على ثقته الكاملة فينا . انتهى الاجتماع بأن اتفقنا على استعدادنا لأن يدلى بأى بيان ، نرى من الصالح الادلاء به ، ليكون هذا البيان خطة للعمل واساسا تجرى عليه انتخابات الاتحاد الاشتراكي ، ووعده بأئني سأعرض عليه صورة البيان في اليوم التالي وكان يوم ١٠ يونيو سنة ١٩٧١ .

وخلال مناقشة طويلة مع د . عزيز صدقي امين الامانة المؤقتة توصلنا الى الخطوط الرئيسية للبيان ، واهمها قطع الطريق على محاولات الردة عن خطثورة ٢٢ يوليو ، سواء في المجال الاقتصادي او السياسي ، الداخلي أو الخارجي ، والتصدي لكل المحاولات التي بدأت في هذا الحين تتطلع الى هذه الردة ، وتجاوز اخطاء المرحلة السابقة علينا ، وخلق ديمقراطية حقيقية تجعل الشعب ، ومؤسساته الدستورية ، صانع القرار ومنفذ القرار معا ، ومعادلة الجانب الاجتماعي للديمقراطية بالجانب السياسي ، ودفع عجلة الاقتصاد في الاعتماد على القدرات الذاتية ، وعلى صعيد الصراع العربي الاسرائيلي ، الاقرار اولا وأخيرا بقومية المعركة وعروبيتها ، وبأن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ، وتعبئة الشعب لخوض معركة المصير ضد العدو الاسرائيلي ، المرتبط ارتباطا جذريا بالامبريالية الأمريكية وبالامبريالية عامة ، وترسيخ موقف مصر في حركة عدم الانحياز ، كقائدة من قيادات هذه الحركة ، مع توطيد علاقات الصداقة مع الاتحاد السوفييتي ، الذي يمدنا بالأسلحة التي تزيد من قدراتنا على النصر في معركة المصير ومع المعسكر الاشتراكي وشعوب العالم الثالث ، وقوى التحرر العالمي قاطبة ، وكان المفروض ان تقطع هذه النقاط الأخيرة الطريق على الذين يرون في التحرك الدبلوماسي بديلا للمعركة العسكرية ، وعلى دعاة الاستسلام ، وقبل هذا وذاك على دعاة الاستسلام للمخطط الامريكي سياسيا واقتصاديا .

واعددت البيان كعهد بين السادات والشعب ، وعهد بيننا وبين الشعب ، على الخط الذي سيختطه الاتحاد الاشتراكي بعد انتخابه ، وكان بمثابة وعد من السادات ان يلتزم امامنا وامام الشعب ، ان يلتزم بكلمته ، وان يتوقف عن هذه الازدواجية الرهيبة ، بين مايقول علنا ومايقول سرا ، وبين مايقول ومايفعل ، وأردنا لبيان ١٠ يونية ١٩٧١ ان يكون بداية جديدة ، ووعد هو شخصيا ان تكون بداية جديدة .

واتصلت بالسادات تليفونيا ، فحدد لي موعدا في الساعة الخامسة بعد الظهر وذهبت اليه انا وعزيز صدقي ومعنا البيان .

كان في عجلة متأهبا لسفره الى ميت ابوالكوم لقضاء بضعة أيام ، وقرأ البيان مرة واثنين ، وطلب هيكل تليفونيا ولكن هيكل كان في الاسكندرية ، ولم يتأت الاتصال به لأخذ رأيه في البيان واخيرا امر بان يجرى الاتصال بحاتم ، وكان وزيرا للاعلام ، لاعداد الترتيبات لاستقباله في مبنى الاذاعة والتليفزيون ، لالقاء بيان على الأمة . واخذنا طريقنا من استراحة القناطر الى مبنى الاذاعة والتليفزيون ليلقى السادات بيانه .

والقى السادات البيان وسافر الى ميت ابوالكوم .
بدأ البيان على لسان السادات هكذا :

« إن الواجب يدعوني ان اعود اليكم ، ونحن نواجه مسئولية اعادة البناء السياسي بمختلف تنظيماته الشعبية ، ليكون الطريق واضحا امامكم وامامي ، كما اردنا له سويا ان يكون .. وسيكون الطريق واضحا بمشيئة الله طالما نحن نتمسك بمبادئنا وقيمنا ، ونصون كفاح شعبنا ، ونتجنب المزالق التي حرفت مسيرة الثورة »
ويمضي البيان فيقول .. ارجو ان يكون واضحا امامنا - ايها الأخوة - منذ الان :

- ان تنظيمنا السياسي ليس فيه مكان للرجعية التي عزلها الشعب عن تحالفه .

— ان تنظيمنا السياسى ليس فيه مكان للذين وقفوا موقف العداء لخط عبد الناصر .

— ان تنظيمنا ليس فيه مكان لمن نبذتهم الثورة خلال مراحل تطورها حماية لمسيرتها وتأمينا لاستمرارها .

— ان تنظيمنا السياسى ليس فيه مكان لاعداء الاشتراكية والتحول الاشتراكى .

— ان تنظيمنا السياسى ليس فيه مكان لالانتهازيين أو العابثين أو المفسدين ، أو مدعى الحقوق المكتسبة أو الموروثة ، أو المتعاليين على الشعب . أو المتآمرين على سلامة الوحدة الوطنية والجهة الداخلية .

— ان تنظيمنا السياسى هو تنظيم لقوى الشعب العاملة صانعة الثورة ، وصانعة الاشتراكية ، وصاحبة المصلحة فى الثورة وفى الاشتراكية .

— ان تنظيمنا السياسى ينبع من جماهير ٩ و ١٠ يونية و ١٥ مايو ، وهو خادم هذه الجماهير .

— ان تنظيمنا السياسى هو تنظيم الاحرار المؤمنين الشرفاء المخلصين للثورة وقضية الشعب العامل .

ثم يمضى البيان ليقول :

اننا لانبدأ من فراغ وانما نبدأ من تراث ثورتنا المجيدة ، الثورة الأم : ثورة ٢٣ يوليو .. تلك الثورة التى ارسيت الاسس الوطنية للعمل الوطنى ، والتى اصبحت جزءا من تراث الانسانية ، تتسلح به بعض الشعوب فى نضالها العادل ضد الاستعمار والاستغلال .. ان الشعب المصرى البطل الذى أرسى هذه الدعائم بقيادة زعيمه الخالد جمال ، لن يسمح لاحد ايا كان أن يمسها ، أو ان يحرف مسيرته بعيدا عنها .. انها خلاصة فكره وتجربته ، وخلاصة عرقه ودمه على مر الأجيال ، بدأها من خلال نضاله الطويل ، تصحيحا لماضيه ، وتعبيرا عن حاضره وتصورا للمستقبله .

وينتقل البيان إلى تحديد مهام المرحلة فيقول : ان هذا الشعب العظيم يدرك أن مصير بلده العظيم « مصر » رهن بمدى تمسكه بالأسس التالية والدفاع عنها ..

— المعركة أولا والمعركة ثانيا والمعركة أخيرا .. والتحدى الموجه الينا ، تحد مادي وطني ، قومي ومصيري ، ولانستطيع أن ننتظر أكثر مما انتظرنا ، اننا مطالبون بأن نقاوم وان نقاتل .. لا بد ان نعطي الحياة لكي تكون لنا حياة ، ولن تكون لنا حياة حققة حتى نسترد كل شبر من الأرض العربية التي احتلت بعد ٤ يونيو ، ويتأكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بإرادته الحرة ، ولا سلام على الاطلاق الا اذا تحقق بالكامل هذان الشرطان ..

ويمضي البيان في حديثه عن المعركة فيقول :

— المعركة ثانيا ، ليست معركة اليوم أو الغد القريب فحسب ، وانما هي معركة الحاضر كله ، فالغزوة الصهيونية — كما قلت — لن تنتهي باسترداد ارضنا المحتلة ، ولكنها غزوة مستمرة مع جيلنا وجيل اولادنا .. وسيظل العدوان الاسرائيلي ، حتى بعد انتهاء المهمة العاجلة ، وهي تحرير الأرض ، سيظل هذا العدوان الاسرائيلي سيفا مسلطا على بلادنا ، وعلى نهضتنا الصناعية ، وعلى لقمة خبز اولادنا وأولاد اولادنا من بعدنا ، ما لم نواجه التحدي الحضاري بتحد حضاري ، ولن يكتب للمنطقة السلام الا اذا استطعنا ان نبني دولة عصرية تتسلح مدنيا وعسكريا باحدث اسس العلم والتقدم ..

وفي القضية القومية يقول البيان :

ان مصر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ، ايماننا بأن الوحدة العربية ليست دعوى تاريخ فحسب وانما هي ضرورة مستقبل ومصير ، وكما يقول الميثاق ، فان العمل العربي في هذه المرحلة يحتاج الى كل خبرة الأمة العربية مع تاريخها الطويل المجيد ويحتاج إلى حكمتها العميقة ، بقدر حاجته إلى ثورتها وارادتها على

التغيير الحاسم ..

ان التشكيك في الوحدة العربية انما يعطى الفرصة للاستعمار لاستخدام سلاح لم يتوقف قط عن محاولة استخدامه ، وهو تقسيم الأمة العربية ، ثم محاولة القضاء عليها ..

ثم تحدث البيان عن الموقف الأمريكى بالنسبة للعدوان الصهيونى على الوطن العربى فقال :

ان استمرار الدعم العسكرى والمادى الأمريكى لاسرائيل وهى تحتل أراضينا ، انما هو بمثابة مشاركة أمريكية فى احتلال أراضينا والعدوان على سيادة اوطاننا ، ولا يمكن أن ننسى ان الولايات المتحدة هى التى تمنح اسرائيل كل مقومات الحياة والبقاء ، وانها صاحبة مبدأ توازن القوى فى الشرق الأوسط ، هذا المبدأ الذى يضع تحت تصرف اسرائيل كل ما أحرزه العلم والتقدم الأمريكى ، لتكون دائما فى مركز التفوق العسكرى على كل الدول العربية مجتمعة ، وهو ما رفضناه ونصر على رفضه ..

ان الولايات المتحدة الأمريكية باصرارها على عدم العدول عن هذا الخط الذى يحمل الخطر على حاضر ومستقبل الأمة العربية ، تكون قد حددت موقفها ، كشريكة لاسرائيل .. فى العدوان والعنءاء للأمة العربية كلها .

وعن الصداقة المصرية السوفيتية قال البيان :

ان صداقتنا للاتحاد السوفيتى صداقة مبدأ وليست صداقة موقوتة ، انها صداقة دائمة وليست صداقة مرحلية وعدد البيان اوجه التعاون بين البلدين ومضى الى القول :

لقد قال عبد الناصر ومن بعده أقول : ان التفريط ولو للحظة فى صداقة الذين يساعدوننا - ولا يساعدنا غيرهم - على القتال والنصر ، تفريط فى مصير بلدنا ، وتمكين للاستعمار ، الذى يريدنا بلا صديق فى معركة التحرير ومعركة البناء .

واكد البيان على ضرورة السير فى طريق التحول الاشتراكى

فقال :

ان تصميمنا على مواصلة السير في طريق التحول الاشتراكي وبناء المجتمع الاشتراكي السليم ، والتي رسمت معالمه كل وثائقنا النضالية ، هو قدر تاريخي لأمة بأسرها ، تتطلع الى التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وان مواصلة السير في هذا الطريق يعنى أولا : حماية المكتسبات الاشتراكية ، ويعنى ثانيا ، خلق الظروف الملائمة لتوسيع نطاقها .. » .

وعدد البيان المبادئ التي يتعين ان تحكم حركتنا في المرحلة القادمة في الجانب السياسي والاجتماعي ومن اهم هذه المبادئ :

— التركيز على مباشرة مسئوليات الحكم عن طريق مؤسسات ، يربط بينها رباط من التعاون الوثيق ، دون تدخل من احداها في اختصاص الأخرى ، هذا التدخل الذي يخل بالمسئولية أو تضيق معه المسئولية .

— سيادة الشرعية وخضوع الدولة للقانون ، كما يخضع له الافراد ، وان ترتبط السلطة بالمسئولية ، والا يكون هناك قرار او اجراء ، ايا كانت الجهة المصدرة له ، بمنأى عن رقابة القضاء .

— التأكيد على سلطة تحالف قوى الشعب العاملة ، والدور الطليعي للعمال في هذا التحالف .

— التركيز على مبدأ القيادة الجماعية حتى تصدر القرارات معبرة بحق عن الخبرة الجماعية ، وليس عن الأهداف الخاصة بفئة أو مجموعة من الأفراد وعلى اساس حق النقد والنقد الذاتي ، وهو أمر لا يمكن ان يتم الا باطلاق حرية الرأي والتعبير ، دون قيود لجميع القوى المكونة للتحالف ، على اساس الالتزام بأهداف العمل الوطني ..

— ان الحرية السياسية لا يمكن ان تتحقق كإسلوب للحكم والحياة الا اذا تحققت اولا الحرية الاجتماعية .

— ان حرية رغيف الخبز هي الطريق الى حرية الفرد ، غير ان الحرية الاجتماعية ، لا يمكن ان تعيش بدون الحرية السياسية وضماناتها ، التي تنطلق معها كل ملكات الانسان في الخلق والابداع .

وعدد البيان المبادئ التي تحكم الجانب الاقتصادي :

— تأكيد الدور القيادي للقطاع العام في عملية التنمية ، وبناء القاعدة الاقتصادية الحديثة للمجتمع الاشتراكي .

— تطوير الملكية التعاونية الانتاجية لتلعب دورها في عملية التنمية وارساء العلاقات الاجتماعية الجديدة .

— توفير الضمانات اللازمة لكي يقوم القطاع الخاص بدوره المحدد في خطة التنمية ، وفقا لما رسمه الميثاق .

— استكمال قاعدة الصناعة الثقيلة فهي وحدها التي تكفل ان يكون اقتصادنا اقتصادا صناعيا من الدرجة الأولى ، وهذا وحده هو المقياس الحقيقي للتقدم .

— استكمال التحول في الزراعة العلمية ، تصنيع الزراعة ، واستصلاح الأراضي ، وحسن استغلال ما يتم استصلاحه منها .

— التأكيد على التنمية المخططة ، وادارة اجتماعية للموارد المتاحة والمحتملة ، تتحقق بها تنمية القدرات الانتاجية للمجتمع ، وحسن الافادة بالطاقات البشرية الواعية بالاهداف التي يتطلع اليها الشعب .

— انتقال سريع ببرامج التعليم ، فنحن اكثر من غيرنا ، لا امل لنا الا في العلم الحديث .

كانت هذه عجالة عن بيان ١٠ يونيو .

كان هدفنا من هذا البيان تضيق الخناق على اعداء التحول الاشتراكي ، الذين خرجوا من جحورهم للانقضاض على كل عود اخضر انبتته الثورة ، ثم ربط السادات امام الجماهير وفي

مواجهتها - في بيان واضح وصريح - بالمبادئ والقيم والعلاقات الشريفة والصحيحة التي أرسنها ثورة ٢٣ يوليو ومراحل تطورها ، من أجل ان نبني وطننا للجماهير ، كل الجماهير ، وليس لطبقة مميزة ، أو جماعة منتفعة أو قلة هامشية . كان ارتباط السادات بكل هذا ارتباطا ضروريا وملحا في الوقت الذي شعرنا فيه ببداية التنصل والارتداد .

وقع البيان وقع الصاعقة على رؤوس هؤلاء ، الذين وجدوا الفرصة ، في حكم السادات ، لانجاز المهمة التي انتظروها ، في تصفية الثورة وفي اجهاض كل ماتم وانجز ، وفي اغلاق الباب كاملا على كل ماتتطلع الجماهير الى ان يتم وان ينجز . شعروا بان قلاع المقاومة مازالت باقية وان الميدان لم يخل بعد لهم ..

وكان من المؤكد أنهم لن يستسلموا الى خطاب أو بيان وانهم سيصعدون من هجومهم الشرس .

كان اليوم التالي لالقاء البيان يوم جمعة ، واعتدت فيه أن أتأخر في منزلي بعض الوقت ، قبل ذهابي الى مكتبي في الانتصار الاشتراكي ، طرق بابي مبكرا الدكتور احمد كمال ابوالمجد ، كان مستشارا ثقافيا في واشنطن ، فاستقدمه السادات وضمه الى الأمانة المؤقتة ليصبح أمينا للشباب ، وكانت تربطه علاقة قرابة أو مصاهرة بفوزي عبد الحافظ سكرتير خاص السادات ، وهو الذي قدمه الى السادات ، وكنت اعرف ايضا انه له علاقة قرابة أو مصاهرة بالاستاذ الهضيبي المرشد العام للأخوان المسلمين ، لا اعرف اتجاهاته على وجه التحديد ، ولكن اذا لم يكن متنسبا للأخوان المسلمين ، فهو على وجه القطع متعاطف معهم .

قال الدكتور ابوالمجد انه لم يستطع النوم فقد اقلقه البيان الذي لقيه السادات مساء الليلة الماضية ، قال ان البيان كان حادا وانه اغلق الباب امام المصالحة بين النظام وكثير من العناصر ، وذكر

على سبيل المثال « الاخوان المسلمين » ، وان البيان يجعل مهمته صعبة ، لم اسأله عن مهمته في ذلك الوقت ولكن عرفت بعد ذلك انها السعى لحصول السادات على تأييد جماعة « الأخوان المسلمين » .

قلت له اذا كان البيان قد اثر على مهمتك فهذا امر يمكنك الرجوع في شأنه الى السادات ، ان لا علم لي اطلاقا بهذا الموضوع . وعلمت بعد ان اخرجت من الاتحاد الاشتراكي ان مسعى الدكتور كمال ابوالمجد وغيره لم يسفر الا عن هدنة مؤقتة بين السادات وجماعة الاخوان المسلمين ، وهذا ماكانت تصرح به في كل مكان ، السيدة زينب الغزالي احدى القيادات الكبيرة في الجماعة ، وعضو مكتب الارشاد ، الذي كان قد اعيد تشكيله مع بداية عهد السادات ، كانت تصرح اننا في حالة هدنة مع نظام السادات .

ذهبت الى مكتبي متأخرا كعادتي يوم الجمعة ، ورغم انه كان يوم جمعة فقد توافد الكثيرون على الاتحاد الاشتراكي ، كانت القيادات العمالية في مقدمتهم ، وبعض من المثقفين والصحفيين الذين كان قد تسرب الى نفوسهم الشك والريبة في نوايا السادات بعد ان صفى ما اسماهم بمراكز القوى ، عبر الجميع عن ابتهاجهم وتأييدهم لهذا البيان .

وقال البعض انهم يعتبرون هذا البيان وثيقة تضم الى وثائق الثورة ، الميثاق وبيان ٢٠ مارس .

وصلت برقيات عديدة تؤيد البيان ، ومن الغريب ان السادات حول هذه البرقيات جميعا إلى ، على الاتحاد الاشتراكي بعد ايام من القاء البيان ... لا ادري اذا كان هذا العلم ، ام انه كان تعبيرا عن تنصل السادات من البيان .

كان الفرض الثاني هو الاصح ، فإذا كانت هناك وفود قد وفدت على الاتحاد الاشتراكي تعبر عن تأييدها ومباركتها للبيان ، فقد وفدت وفود اخرى على بيت السادات من الغاضبين والمتمردين ،

ومن الطاعنين والمحذرين ، ممن فكر في هذا البيان وأعدده وصاغه .
طمأنهم السادات وقال انها خديعة وقع فيها ..

واعتماد السادات فيما بعد ، في كل خطاب اعدده له ، واشرت فيه
الى بيان ١٠ يونيو ، ان يشطب على هذه الاشارة بالقلم الأحمر ، وظل
السادات على موقفه من بيان ١٠ يونيو ، موقف التنصل والنكران ،
واذكرانه في برنامج العمل الوطنى الذى اعدناه للسادات ليتقدم به
الى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى ٢٣ يوليو ١٩٧١ ، انه
شطب بالقلم الأحمر على عبارة بيان ١٠ يونيو ، ومازال الشطب
موجودا فى اوراقى القديمة ، لم يكن شطباً بل كان محوا ، ورغم ذلك
فقد اعدت العبارة المشطوبة فى الطبعة النهائية لبرنامج العمل
الوطنى ، الذى وزع على اعضاء المؤتمر القومى .

وبدأت محاولة شرسة فى وسائل الاعلام واقللام صحفيين
السادات لتضعيد الحملة ضد المدافعين عن الخط الاشتراكى
بوضع الديمقراطية كنقيض للاشتراكية ، واشتد قرع طبول
الديمقراطية ونشط سوقها ، وانتقل بعض المزايدى على سوق
الاشتراكية ، الى المزايدة على سوق الديمقراطية ، واجتذب هذا
السوق كل العناصر المعادية للثورة ، وللتحول الاشتراكى
ولمكاسب الغالبية العظمى من الشعب — من العمال والفلاحين ،
وتبارت الاقلام فى الايهام بالتناقض بين الاشتراكية والديمقراطية ،
وفى تصوير الاشتراكيين بانهم اعداء الحرية وسدنة السجون
والمعتقلات ، والمفسدون فى الأرض ، واشتد النحيب وعلا البكاء
على القلة من الاقطاعيين والرأسماليين الذين نزععت منهم بعض
املاكهم أو وضعت بعض اموالهم تحت الحراسة ، ولم تذرف دمة
واحدة على الملايين التى عاشت عبيدا للأرض او تلك التى عاشت
يطحنها الفقر والعوز فى ظل سيطرة رأسمالية مستغلة وباغية .



خامس الخلفاء الراشدين (! !)

الفصل الثاني

السادات يتنكر لبرنامج العمل الوطني
[المحاولة الثانية لوقف الردة]

تصاعدت الحملة على عزيز صدقي وعلى بعض أعضاء الامانة المؤقتة للاتحاد الاشتراكي ، في الفترة ما بين اذاعة بيان ١٠ يونيو ١٩٧١ وموعد انعقاد المؤتمر القومي العام في ٢٣ يوليو من نفس العام ، وبدأنا ندرك انها حملة اوسع واشمل ، تستهدف تغيير نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي بنظام اخر معاكس ، وان لم يسفر السادات قط عن نياته وتوجهاته الحقيقية في هذه الفترة ، الا في لمحات لا يدرك فحواها الا اقرب المقربين اليه من معاونيه ، وفي لمحات يحاول دائما ان يسدل الستار عليها بافعال وتصرفات تثبت انه مخلص لثورة يوليو ولخط ثورة يوليو وللزعيم ثورة يوليو .

ورغم هذا كنا ندرك كأمانة مؤقتة قبل اجتماع المؤتمر القومي في ٢٣ يوليو ، وكأمانة منتخبة بعد هذا الاجتماع ، ان المعركة ضد نظام ثورة يوليو تتصاعد ، وان القوى التي تتحالف على تصفية منجزات هذه الثورة تتجمع وتتعاظم ، وتتجاوز النطاق المحلي الى النطاق الأمريكي ، والعربي والسعودي والمغربي واليراني . ربما كان هذا الادراك هو الذي جعلنا نتشبت بمواقفنا الى اللحظة الأخيرة ، وان نحارب معركتنا حتى النهاية المرة .

وفي اقل من شهر من تولى السادات رئاسة الجمهورية ظهر على المسرح المصري كمال ادهم واخذ يتزدد على القاهرة بتحفظ في بداية الامر ثم اخذ ترده صفة الانتظام .

وبعد التخلص ممن اسماهم السادات بمراكز القوى ، وتمركز كل السلطات في يده اصبحت الاجتماعات يومية في حالة وجود كمال ادهم في القاهرة او مع السفير السعودي في ذلك الحين « هشام الناظر » على ما اذكر في حالة غيبة كمال ادهم عن القاهرة او عن

طريق قنوات الاتصال التي انشئت بين مصر والسعودية ، ثم بين مصر وأمريكا بعد ذلك واستطاعت السعودية خلال كمال أدهم أن تعيد ترتيب الأوضاع في مصر بما يساير الاستراتيجية الأمريكية التي تعتبر السعودية امتداداً عضويًا لها في المنطقة العربية . وعندما تعددت لقاءات السادات مع كمال أدهم أذكر أنه في حديث لي مع محمد حسنين هيكل أبدى غضبه الشديد ، وطلب منى أن أوجه نظر السادات إلى أن كمال أدهم كبير عملاء المخابرات الأمريكية C.I.A. في المنطقة العربية وأن اسمه مسجل ومنشور على الكافة باعتباره في مقدمة هؤلاء العملاء المسؤولين عن المنطقة العربية .

طلبت أن يوجه هو شخصياً السادات إلى هذا الأمر لأنه أقدر منى على إقناعه ، في هذه الناحية ، ولكن على ما أذكر ، لم يفعل ولو كان فعل ، لما كان في مقدوره أن يبعد كمال أدهم ، فالعلاقة بين الاثنين علاقه عضوية وكل منهما يمثل امتداداً للآخر . كان كمال أدهم يمثل خطورة مزدوجة بثقله السعودي وثقله الأمريكي ، بالضغط الذي يمكن أن يحدثه في اتجاه اجراء تغييرات اجتماعية واقتصادية في مصر ، تخل بالخط الاشتراكي الذي أرسته ثورة ٢٣ يوليو وكان تحالفه مع الرجعية المصرية التي تحارب في نفس الاتجاه تحالفاً طبيعياً ، يهدد بمزيد من الضغوط على السادات ويميز من التراجع عن هذا الخط من جانب السادات ...

وكتاب « البحث عن الذات » يلقي الكثير من الضوء على هذه العلاقة فالسادات يقول ما يلي :

وفي السعودية كان الملك فيصل صديقاً شخصياً لي منذ واحد وعشرين عاماً ، وبالذات منذ المؤتمر الإسلامي في ١٩٥٥ . كان وقتها ولي العهد ، وبرغم حرب اليمن ظللنا أصدقاء .. (وقد يلقي هذا القول الضوء على الدور المزدوج للسادات في حرب اليمن والذي أشار إليه بعض الكتاب والمعلقين) .

ثم يسترسل قائلاً وفي المغرب ترجع صلاتي بالملك الحسن الثاني الى عام ١٩٦٩ ، حين ذهبت بدلا من عبد الناصر ، لاضر اول مؤتمر يعقد من اجل حرق المسجد الاقصى ، وهناك توطدت علاقات اخوية وصداقة بيني وبين الحسن ، وبلغني ان الملك فيصل قال للملك الحسن : اذا اراد الله لمصر خيرا يحكمها السادات .. (٢٥١ ، ٢٥٢)

وهذا القول من الملك فيصل يحمل معاني ومؤشرات كبيرة ، فلا يتصور ان يصدر عنه ، لمجرد ان السادات واضح وصريح ، ولا ينحاز الا للحق ، كما يقول السادات في كتاب « البحث عن الذات » ، ولكن يصدر عنه لانه على معرفة باتجاهات السادات وتوجهاته التي تتفق مع اتجاهات فيصل وتوجهاته ، والسادات يقول انه كان صديقا شخصيا للملك فيصل منذ واحد وعشرين عاما بالذات منذ المؤتمر الاسلامي في ١٩٥٥ (ص ٢١٥) .

ولمعرفة فيصل بالسادات فقد اختار له الرجل المناسب الذي يتعامل معه ، واوصاه ان يكون مستشاره ، وهذا الشخص هو كمال ادهم ، صهر الملك فيصل ومستشاره الخاص ، وصاحب النفوذ الكبير على المخابرات السعودية وهمزة الوصل مع المخابرات الامريكية المركزية ، وواحد من اقوى الشخصيات في السعودية في ذلك الحين .

ويلقى جيم هوجلاند ، محرر الشؤون الخارجية في صحيفة الواشنطن بوست الامريكية وهو واحد من ابرز الصحفيين والمعلقين الامريكيين في عدد الصحيفة الصادر في ٢٥ فبراير ١٩٧٧ - الضوء على هذه العلاقة بين السادات وكمال ادهم مستقيا معلوماته من وثائق لجنة التحقيق التي شكلها الكونجرس الامريكي للتحقيق في تجاوزات المخابرات الامريكية برئاسة واحد من ابرز اعضاء الكونجرس الامريكي وهو السيناتور « تشرس » حيث يشير

الى احدى هذه الوثائق التى تؤكد ان انور السادات قد عمل فى اوائل الستينيات تحت رئاسة كمال ادهم الذى كان رئيسا للمخابرات المركزية الأمريكية فى المنطقة .. وقام السادات بدور جوهري يعتبر خدمة كبرى للمصالح الأمريكية وذلك بأن حفظ العرش السعودى مما اطلقت عليه الوثيقة « مؤامرات عبد الناصر » لأن السادات كان يبلغهم بها . وأذكر ان السادات فى هذه الفترة كان يتولى مسئولية الجانب السياسى فى حرب اليمن الى جانب علاقته الوثيقة مع عبد الناصر .

كما أذكر شخصيا وقد كان السادات رئيسا لمجلس الامة فى ذلك الحين ان مقابلاته مع السفير الأمريكى فى مصر فى مكتبه فى مجلس الامة كانت شبه منتظمة حتى سألته مرة عن أسباب هذه المقابلات فكان رده ان السفير الأمريكى يبدى تعاطفه لأننا بمساعدة اليمن انما ننقل الشعب اليمنى من غياهب القرون الوسطى الى القرن العشرين ولا أعتقد أبدا ان مثل هذا التعاطف كان يحتاج الى مثل هذه المقابلات المتكررة التى لم يعرف سرها غير السادات نفسه .. وقد تلقى الوثائق السابق ذكرها بعض الضوء على هذه المقابلات . ويثير محمد حسنين هيكل فى كتابه « الطريق الى رمضان » الى الدور الذى لعبه كمال ادهم فى حدثين :

الأول فى النصف الأول من نوفمبر ١٩٧٠ ، أى قبل مرور شهر واحد على تولى السادات رئاسة الجمهورية ، تحدث كمال ادهم الى السادات عن الوجود السوفيتى فى مصر ، مشيرا الى حجم القلق الذى يسببه هذا الوجود لدى الأمريكان ، مشيرا الى أهمية هذا الموضوع فى الوقت الذى تحاول فيه السعودية دفع امريكا الى إعطاء اهتمام أكثر ايجابية بمشاكل الشرق الأوسط واجابه السادات ان مصر تعتمد على الاتحاد السوفيتى الى حد كبير ، فى حين ان امريكا تزود إسرائيل بكل ماتطلبه الى حد أنه خلال حرب الاستنزاف ،

كانت اسرائيل قادرة على مواصلة هجماتها الجوية وضرب مصر بالقنابل لمدة سبعة عشرة ساعة متوالية .

ولكن السادات اضاف قائلاً اذا تحققت المرحلة الاولى من الانسحاب الاسرائيلي ، فانه يستطيع ان يعد بأنه سيتخلص من الروس .

وسأل كمال ادهم السادات هل يستطيع ان ينقل هذا الى امريكا ، فرد السادات بالاجاب ، وسربت ملاحظات السادات هذه عن طريق ، السيناتور جاكسون (احد زعماء مجلس الشيوخ المؤيدين لاسرائيل) وكان الغرض واضح هو مساعدة اسرائيل على الايقاع بين مصر والاتحاد السوفيتي ص ١٩ ، ٢٠ من النسخة الانجليزية .

وجاء الملك فيصل الى القاهرة في منتصف شهر يونيو ، عائداً من زيارة رسمية لنيكسون في واشنطن وجرت محادثات مطولة بين فيصل والسادات ، جاء فيصل ليبارك خطوات السادات ويستحثه على خطوات جديدة تعيد الثقة والتعاون بين مصر وامريكا . والحدث الذي يشير اليه محمد حسنين هيكل في اتصال السادات بكمال ادهم والسعودية حدث لاحق لجهود امانة الاتحاد الاشتراكي ، في حماية الخط الاشتراكي وهو حدث هام من حيث دلالة على ترابط الاشياء واتصال ما يجري في المجال المحلي بالمجال الدولي ، والارتباط الذي لا ينفصم بين الاقتصاد والسياسة من ناحية وبين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية من ناحية اخرى هذا الارتباط الذي جعل تخوفنا في فترة الاعداد للمؤتمر القومي ، من تردد كمال ادهم النائب على مصر تخوفاً في محله ، هذا الارتباط الذي يفسر لنا حتى تصرف السادات قبل انعقاد المؤتمر القومي مباشرة .

وعلى كل فلم يتوقف كمال ادهم والسعودية بكل ثقلها ، قبل ذلك التاريخ ولا بعده عن توجيه السياسة المصرية ، لتقديم اقصى قدر من التنازلات لامريكا باعتبار انها وحدها القادرة على فرض السلام فى الشرق الاوسط .

وتلاقت رغبات السادات مع رغبات السعودية واتفقت توجهاته مع توجهاتها وسادت الحقبة السعودية فى مصر منذ ذلك الحين .

وحتى زيارة القدس سنة ١٩٧٧ انجز السادات خلال هذه الفترة :

● اعادة صياغة هيكل الاقتصاد المصرى بما يسمح بدمجه فى السوق الرأسمالى العالمى .

● نبذ الحل الاشتراكى وتفكيك القطاع العام

● ماسمى بسياسة الانفتاح الاقتصادى .

● الاجهاز على الاتحاد الاشتراكى اسما ومعنى وتحويل مركزه الرئيسى الى مقار لبنوك الانفتاح الاقتصادى .

● تشجيع الحملات الصحفية ضد نظام عبد الناصر وضد عبد الناصر ذاته ، وبتمويل ومباركة السعودية .

وقد بلغت الحقبة السعودية اوجها فى بداية السبعينيات

حتى ان بعض الصحف العربية ذكرت ان السادات فى احدى زياراته للسعودية قبل يد الملك فيصل وبايعة كأمر المؤمنين ولا اعرف مدى صحة هذا القول الا ان الذى استطيع ان اوكله وقد استمعت اليه فعلا من محمد صادق الذى كان وزيرا للحربية فى وزارة عزيز صدقى ، وكنت نائبا لرئيس الوزراء فى ذلك الحين ، ان السادات كان فى طريقه الى موسكو فى أوائل فبراير ١٩٧٢ وانه استدعى صادق وكلفه بأن يبعث برسالة الى الامير سلطان وزير الدفاع السعودى يؤكد فيها ان السادات قد اصدر امره الى القائد العام للقوات المسلحة المصرية بأن يتلقى الاوامر اذا قامت حالة طارئة خلال

وجود السادات في موسكو - ان يتلقى الاوامر من الملك فيصل ..
وقد عمم الامير سلطان محتويات هذه الرسالة على كبار الضباط
السعوديين ويؤكد هيكل في كتابه « الطريق الى رمضان » هذه
الواقعة ص ١٥٨ من النسخة الانجليزية واستمرت الحقبـة
السعودية حتى حرب اكتوبر ١٩٧٣ فقد زار السادات السعودية في
نهاية اغسطس ١٩٧٣ ، اخذ مباركة الامير فيصل على عمليات
عسكرية محدودة تستجيب الى ما كان قد المح اليه كيسنجر الى
حافظ اسماعيل في زيارة هذا الاخير في فبراير ١٩٧٣ .

ويمكننا القول بأن شرخا قد بدأ يصيب العلاقات السعودية
المصرية اثر رحلات كسينجر المكوكية والتي كانت تشمل السعودية
في كل مرة يزور فيها المنطقة فبعد فك الاشتباك الاول في يناير ١٩٧٤
حاول كسينجر الوقية بين مصر والعرب خاصة بين مصر
والسعودية فكان يصف السادات في احاديثه للملك فيصل بأنه زعيم
العالم العربي ، وانه يخطط للابتعاد عن زملائه العرب . وقد حملت
هذه الاحاديث (كما يقول اسماعيل فهمي في كتابه التفاوض من
اجل السلام في الشرق الاوسط ١٢٣) الملك فيصل الى ان يرسل الى
نيكسون برسالة يشكو فيها موقف وزير خارجيته ، وكانت شكوى
فيصل ترجع خاصة الى الانطباع الذي تركه لديه كيسنجر بأن
الولايات المتحدة تحول اهتمامها عن السعودية الصديق التقليدي
لامريكا في المنطقة الى مصر والسادات .

وقد ترددت العلاقات بعد ذلك بين مصر والسعودية بين مد وجزر
حتى انحسرت بزيارة السادات للقدس المحتلة فقد هزت هذه الزيارة
دور السعودية كوكيل لامريكا في المنطقة ، وفي مسار الحل السلمي
وصيغته (اتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام) لان السادات
انتقل الى الدور المباشر ولم يصبح في حاجة الى السعودية للوساطة
بينه وبين امريكا فأصبح اتصاله مباشرا مع امريكا واسرائيل .

وتدنت العلاقات بين السادات وحكام السعودية وشن عليهم
ومعه أجهزة اعلامه واقلام صحفه اعنف الحملات واشرسها التي
تركت جرحا غائرا مازال في تقديرى ينزف حتى الان قد لا يكون هو
السبب الوحيد في القطيعة ، المستمرة بين السعودية ومصر حتى
بعد حادث المنصة ، في ٦ اكتوبر ١٩٨١ ولكنه يبقى على اى حال
سببا من الاسباب ...

لم نكن قد فقدنا الأمل بعد في السادات ونحن نعد برنامج العمل
الوطني ليكون برنامجا الذى يعرضه على المؤتمر القومى العام في
٢٣ يوليو سنة ١٩٧١ ، كنا نعرف انه يتعرض لضغوط هائلة ،
ولكننا لم نكن نعرف ان هذه الضغوط تتمشى وتوجهاته الطبيعية
والمحسوبة من قديم الزمن .

كان برنامج العمل الوطنى يشكل برنامجا يحدد صورة ومستقبل
مصر ويرسم خطوات العمل الوطنى خلال عشرين سنة مقبلة ، يحدد
كميات انتاج محددة في كل مجالات الانتاج ، في مدى زمنى محدد ،
بما يكفل مضاعفة الدخل القومى كل عشر سنوات ، عن طريق
العودة الى التنمية المخططة التى أوقفت بانتهاء أول وآخر خطة
خمسية ١٩٦٠ - ١٩٦٥ .

وقد اشركنا السادات في كل جزء ينجزم من اجزاء هذا البرنامج ،
حتى يصبح برنامجا يوم يليه على المؤتمر القومى العام المزمع
عقده في ٢٣ يوليو سنة ١٩٧١ ، وكان بقناعه المتقن يبدى سعاداته
بكل جزء مثنيا عليه . كنا نريد ان نقنعه ان الطريق لرخاء مصر
وازدهارها هو طريق مغاير تماما للطريق الذى يشير إليه كمال ادهم ،
الذى اصبح بمثابة المستشار الأول للسادات ، وهشام الناظر سفير
السعودية في مصر ، عبد السلام جلود نائب القذافي في ذلك الحين ،
وشاه ايران ، الذى كان يمثل الاسطورة للسادات في ذلك الحين ،

وسفيره الذى كان همزة الوصل بينه وبين الشاه ، وملك المغرب
وسفيره عبد اللطيف العراقى ، ثم عبد المنعم القيسونى الذى تربح
على عرش البنك العربى الدولى ، ومجموعته .

كانت كل هذه المصادر تصر بأن لا أمل لمصر الا اذا عدلت عن
الاشتراكية وعن التخطيط وعن القطاع العام ، وتركت السوق حرا
لقوانينه ينساب اليه رأس المال العربى والأجنبى ، وتصبح مصر
سوقا مالية عالمية . كنا نريد ان نقنعه ان وراء هذه المقولة دوائر
الرأسمالية العالمية ، ودوائر اخرى مشبوهة تريد ان تربط مصر فى
فلكتها ، وان تجعل مصر سوقا استهلاكية تابعة ، وان توقف عمليات
التنمية المخططة فى مصر .

لقد بدأ البرنامج وانتهى الى الربط بين الديمقراطية والاشتراكية
ردا على هؤلاء الذين حاولوا التشكيك فى الاشتراكية وناقضوا بينها
وبين الديمقراطية فالاشتراكية تعنى بالضرورة ديمقراطية النظام ،
والاشتراكية بطبيعتها ديمقراطية ، لأنها تستهدف فى المقام الأول
صالح جموع الشعب بل هى اسمى مراحل الفلسفة الديمقراطية
بجانيها النظرى والتطبيقي .

كنا نريد ان يتبنى السادات هذا البرنامج الذى جاء مكملا
للميثاق ، بل يتجاوز الميثاق فى اعطاء اهتمام اكبر بالنواحي
التطبيقية والعملية وقد كان موعد اعادة النظر فى الميثاق قد ازم
(عشر سنوات من تاريخ وضعه) .

كنا نريد ان يكون برنامج العمل الوطنى وثيقة تقديمية ، يضيفها
السادات ويغنى بها ، وثائق الثورة التى سبقته فى عهد عبد الناصر ،
الميثاق وبيان ٣٠ مارس ولكننا اردنا شيئا واراد السادات شيئا آخر
مغايرا ، بل لعله تراجع فى آخر لحظة نتيجة ضغوط من اياها أو وعود
من اياها .

لقد عمل فى اعداد هذا البرنامج مجموعة لا بد ان اذكرها تقديرا
لدورها الوطنى ليس فقط فى اعداد هذا البرنامج بل فى مختلف مواقع

العمل .

● د . عزيز صدقي والذي نسميه بحق رائد الصناعة المصرية – الأمين المؤقت للاتحاد الاشتراكي ووزير الصناعة – نائب رئيس مجلس الوزراء وعضو اللجنة المركزية ورئيس الوزراء لاحقا .

● د . فؤاد مرسى استاذ جامعى له مؤلفاته الاقتصادية ، عضو الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي ووزير التموين لاحقا .

● د . اسماعيل صبرى ، استاذ جامعى مدير معهد التخطيط ، له مؤلفاته الاقتصادية ونشاطه الدولى السواسع ، وزير التخطيط لاحقا .

● د . محمد على الخفيف ، من طليعة الاشتراكيين فى مصر ، استاذ فى معهد الدراسات الاشتراكية له ابحاثه ودراساته المتعددة فى الاشتراكية والتاريخ ، عضو اللجنة المركزية، احد اعمدة صناعة الدواء فى مصر .

● محمد عبد السلام وزير شئون مجلس الأمة ومجلس الشعب – سكرتير اول اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي نائب رئيس الوزراء لاحقا .

كنا نطلع السادات على كل خطواتنا فى اعداد البرنامج ، بعد ان وزعنا العمل فى جوانبه المختلفة بيننا ، وتولى الصياغة النهائية الدكتور محمد على الخفيف كما تولى مهمة عرضه على السادات ، واجتمع بالسادات عدة مرات لهذا الغرض . وافق السادات على الصيغة النهائية لبرنامج العمل الوطنى الذى سيتقدم به الى المؤتمر القومى العام ، وتم الاتفاق على ان يلقيه امام المؤتمر كبيان رئيس الاتحاد الاشتراكي للمؤتمر وقبل انعقاد المؤتمر بأيام تراجع السادات عن البرنامج الذى صدق عليه كلية وتفصيلا ، وقال انه سيلقى خطابا ويكتفى بإيداع البيان فى وثائق المؤتمر لانه لا يرتاح الى البيانات الطويلة التى تلقى فى مؤتمرات الاحزاب الشيوعية .

ولكن المؤتمر اقرب حماس برنامج العمل الوطنى وربما كان ابداء

هذا الحماس السبب في بداية التفكير في شل فاعلية الاتحاد الاشتراكي .

وانفض المؤتمر بعد ان انتخب لجنته المركزية ، التي اجتمعت في نهاية شهر يوليو وانتخبني سكرتيرا اول لها ، وانتخب امانتها العامة . وقد ابدت الامانة العامة اهتمامها البالغ بالبرنامج منذ اليوم الأول لاجتماعها ، وخصصت امانة فرعية لبرنامج العمل الوطني تولى شئونها الدكتور فؤاد مرسى الذي استطاع مع مجموعة من الخبراء والمتخصصين ان ينتقل بهذا البرنامج الى خطة شعبية ، تولت تفصيلاتها لجان الاتحاد الاشتراكي في المصانع والشركات والمؤسسات ولجان الاتحاد الاشتراكي في القرى .

وانهى السادات كل هذا بالضربة التي وجهها الى الامانة العامة في شهر يناير ١٩٧٢ بإقصاء انشط اعضائها بدعوى تعيينهم في الوزارة الجديدة ووزارة عزيز صدقي الذي رسم وخطط للتخلص منها في اسابيع أو أشهر قليلة ليمسح نهائيا على خط عبد الناصر ، ولكل مايمت لعبد الناصر .





السادات .. والزيات : نظرة ساهمة قبل اكتشاف الحقيقة

الفصل الثالث

الظاهر والباطن

السادات يخفى توجهاته الامريكية

بمطالبة السوفييت بإستراتيجية مشتركة

عندما جاء بودجورنى رئيس مجلس الرئاسة فى الاتحاد السوفييتى فى أواخر شهر مايو سنة ١٩٧١ ، لأجراء مباحثات حول عقد معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية ، تحدث معه السادات عن اتفاق استراتيجى بين مصر والسوفييت ، وعندما استقبل السادات فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٧١ بونا ماريوف رئيس الوفد السوفييت ، الذى حضر الى القاهرة للاشتراك فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى بعد إعادة تشكيله ، طالب السادات باتفاق استراتيجى بين مصر والسوفييت وحملنى هذا الطلب عندما كلفنى بزيارة الاتحاد السوفييتى فى سبتمبر ١٩٧١ للتمهيد لزيارة السادات وكرر السادات هذا المطلب فى مباحثات فى أول زيارة رسمية له لموسكو فى أول اكتوبر ١٩٧١ .

وقبل ان اتوقف لاحكى بالتفصيل قصة هذا المطلب الذى اندهش له معاونو السادات من المصريين بقدر ما اندهش له السوفييت ، يتعين على ان اتوقف عندما جرى فى الكواليس بين السادات وأمريكا فى نفس الفترة ، ماتوفر عنه من معلومات فى ذلك الحين ، وماتوفر عنه من معلومات بعد هذه الفترة ودون هذا التوقف لا يستطيع احد ان يدرك المفارقة الحادة بين ما يجرى فى الباطن وما يجرى فى الظاهر ولا ان يجيب على اسئلة مازالت حائرة .

جاء روجرز الى القاهرة فى شهر مايو ١٩٧١ لمقابلة السادات وقد وجدت منه عزوفا عن مفاتحتى بشأن المقابلة التى تمت بينه وبين روجرز وكل ما قاله لى فى هذا الشأن - ولا شك انه كان تمويهها - انه شرح لروجرز موقفه فى تسوية نزاع الشرق الأوسط ولكننى افترضت منطقيا ان هذه المحادثات لابد وان تكون قد تناولت العلاقات

المصرية الامريكية التى كانت مقطوعة فى ذلك الحين وان روجرز لايمكن ان يقابل السادات الا ويتعرض للعلاقات المصرية السوفيتية وان يحاول تشويهها والاساءة اليها ، وهذا دأب كل رسمى امريكى يتحادث مع مسئول مصرى . على ان بعض حقائق ماجرى فى هذه المقابلة بدأت تتكشف فى نهاية شهر ديسمبر اى بعد مايقرب من ثمانية اشهر من هذه المقابلة ، ففى حديث للسادات مع بورشجريف رئيس تحرير مجلة النيوزويك الامريكية (نشر عدد ١٣/١٢/١٩٧١ ص ١٦) قال السادات « انه وجه اللوم لروجرز لانه لم يثر موضوع الوجود السوفيتى فى مصر » وهذه الدعوة الصريحة للامريكان لمناقشة هذه المسألة التى كانت تحظى باهتمام بالغ لديهم اخذها روجرز فى الاعتبار وخاصة انه كان يعلم من كمال ادهم نيات رئيس مصر فى هذا الخصوص ثم تأكد منها منه شخصيا وقد انتهت مناقشة هذا الموضوع بين السادات وروجرز الى مقاله السادات لبورشجريف :

« اننى وعدت روجرز بان الخبراء السوفيت سيغادرون مصر بعد اتمام المرحلة الاولى من سحب القوات الاسرائيلية تنفيذا لمبادرتى فى ٤ فبراير » .

ويكشف بورشجريف فى نفس العدد من المجلد المذكورة عن ان السادات بعث قبيل حضور روجرز الى القاهرة برسالة خطية الى نيكسون بانه يأمل مشاركة امريكا فى تسوية مشكلة الشرق الاوسط ، كما طلب السادات عدم معارضة امريكا لبعض التسهيلات التى تمنح لسفن الاسطول السوفيتى فى الموانى المصرية ، وينهى السادات رسالته الى نيكسون بانه يتطلع الى علاقات اوثق مع الولايات المتحدة الامريكية .

وقد تسرب، فى ذلك الحين من بعض الدوائر الامريكية فى القاهرة ان السادات قد قال لروجرز ان مصر مستعدة لعقد تحالف استراتيجى مع امريكا اذا تعاونت معها على حل مشكلة الشرق

اللاوسط .

السادات يلح في طلب عقد اتفاق استراتيجى مع السوفيت في الوقت الذى يبدى استعدادة لتحالف استراتيجى مع امريكا .
فما الذى اراده السادات ، هل أراد قوة عظمى تحفظ عليه سلطته وسلطانة باى ثمن ؟ هل اراد ان يذهب بهذا المطلب الغريب الى ابعد مدى ممكن ، وان يكون سوفيتيا اكثر من السوفيت حتى لا يخسر السوفيت قبل ان يملأ يده من الامريكان ؟ أم اراد ان يتسابق على القوتين العظميين ؟

اما موقف الدبلوماسية المصرية فقد كان واضحا ، ففي شهر ابريل ١٩٧١ قامت وزارة الخارجية بوضع تقييم كامل للموقف ، يعتبر من الوثائق الهامة التى اعدت طوال النزاع العربى الاسرائيلى ، انتهت فيه الى التاكيد على ان ماتستهدفه الدبلوماسية الامريكية بعد هزيمة ١٩٦٧ هو ان يكون حل النزاع حلا امريكيا بحثا ، والسلام سلاما امريكيا يضع المصالح الامريكية والاسرائيلية فوق كل اعتبار اخر . ولم تغير وزارة الخارجية تقييمها هذا بعد المقابلة التى تمت بين روجرز ومحمود رياض فى اعقاب مقابلة روجرز للسادات .

وقد تقدم محمود رياض بهذا التقييم الى السادات فى ١٣ ابريل ١٩٧١ .

واستطيع ان اؤكد ان وزارة الخارجية المصرية ظلت على تقييمها هذا بعد ان تتابع عليها اربعة وزراء محمود رياض ، مراد غالب ، محمد حسن الزيات ، اسماعيل فهمى منذ العدوان وحتى استقال الاخير قبل زيارة القدس .

وقد لخص محمد حسنين هيكل هذا الموقف فى كتابه ، « الطريق الى رمضان » ، وكان على اطلاع كامل بكل مراحل الاتصالات العلنية التى كانت تجرى بين وزارتي الخارجية فى مصر وامريكا وكذلك الاتصالات السرية التى كانت تجرى مع الاجهزة التابعة

لكسينجر بعد ان اصبحت الاتصال مع الولايات المتحدة يجرى - كما
اشرنا في مكان اخر - عن طريق قناتى وزارة الخارجية المصرية مع
نظيرتها الأمريكية وجهاز المخابرات المصرى ونظيره الأمريكى
التابع لمستشار الامن القومى هنرى كسينجر .

كتب هيكل يقول : واذا استعدنا هذه المرحلة (اى المرحلة
السابقة على حرب ١٩٧٣) فانه من الممكن ان نحدد ست نقاط تقود
السياسة الأمريكية فى الشرق الاوسط :

١ - فهم يريدون اقضاء الروس عن المنطقة وعن أية مشاركة
ايجابية فى شئونها . هذا من ناحية لانهم يعترضون على اى تواجد
روسى فى هذه المنطقة الى جانب ما يحمله هذا الوجود من مخاطرة
الصدام بين القوتين العظميين .

٢ - وهم يريدون ان يجعلوا قنوات المفاوضات المختلفة
منفصلة - التفاوض لحل بين مصر واسرائيل ، بين اسرائيل
وسوريا ، بين اسرائيل والفلسطينيين (اذا كان ذلك سيصبح ممكنا)
وهكذا بحيث تكون كل واحدة منفصلة عن الاخرى وليس كجزء من
حل شامل .

٣ - وكل حل منفصل يتعين التفاوض فى شأنه مرحلة مرحلة .

٤ - قبول وجهة نظر اسرائيل ، فان الامريكيين كانوا على اقتناع
بانه لا عودة لحدود ١٩٦٧ .

٥ - النظر الى المشكلة الفلسطينية باعتبارها مجرد مشكلة
لاجئين .

٦ - المحصلة الاخيرة يتعين ان تكون حلفا امريكا Pax
Americana يضمن المصالح الأمريكية فى المنطقة .



وكلنا يعرف ان ادارة العلاقات الخارجية والتعامل مع المشكلة
العربية الاسرائيلية امر من اختصاص وزارة الخارجية ، وأن وزير

الخارجية ، وهو رجل الدبلوماسية الاول ، لكى يستطيع ان يؤدي دوره لابد وان تتجمع لديه كل المعلومات وحصيلة كل الاتصالات ، ليكون الراى الذى يقرضه على رئيس الجمهورية او على مجلس الوزراء مستكملا كل اركانه ، حتى يمكن ان يتخذ القرار مستكملا لكل مقوماته

ولكنه فى ضباب هذا الصيف خرج كل شىء عن اطر التعارف والمستقر عليها .

السادات يدير السياسة الخارجية وحده ووزارة الخارجية لاتعلم عن مباحثاته شيئا .

اعمدة السياسة الامريكية فى مصر ، بيرجس المشرف على رعاية المصالح الامريكية فى مصر (ومعه ستيرن راحيانا) يقدم كل مايريد من اوراق او آراء الى السادات ، ويتلقى رأيه عن طريق هيكل ، ووزارة الخارجية المصرية لاتعلم عن كل مايدور شيئا .

واذا كان من المقبول ان يلتقى مندوب وكالة المخابرات الامريكية ، « يوجين ترون » فى ذلك الحين ، مع رئيس المخابرات المصرية او نائبها ، اذ ان هناك تعاونا بين المخابرات المصرية وغيرها ، فى اطار اختصاصات المخابرات ، وهى المحافظة على الامن الخارجى للبلاد ، فانه ليس من الطبيعى ان تصبح هذه اللقاءات مخصصة لمباحثات سياسية .

ولكنها تعليمات السادات قضت بأن رجل المخابرات الامريكية يمكنه ان يتحدث الى رئيس المخابرات المصرية احمد اسماعيل الذى اصبح وزيرا للحربية قبل بداية حرب اكتوبر فى اى شىء يريده او اى شىء يريد توصيله الى السادات وكان التبرير انه قد تكون هناك بعض الحساسية للوسائل الدبلوماسية أما بالنسبة للاتصالات بين احمد اسماعيل رئيس المخابرات المصرية ويوجين ترون مندوب المخابرات الامريكية فليست هناك حساسية .

وكانت المخابرات حريصة على الاتصال اخبار هذه الاتصالات الى وزير الخارجية ، وقيل ايامها ان كسينجر مستشار الرئيس الامريكى لشئون الامن القومى ، قد بدأ يسحب البساط من تحت اقدام روجرز وزير الخارجية الامريكى ، واشتد التضارب والتنافس بينهما على توجيه السياسة الخارجية ، وقال كسينجر فى حديثه له مع اشرف غربال المشرف على المصالح المصرية فى واشنطن فى ذلك الحين : لا تنتظروا خيرا من وزارة الخارجية الامريكية ، ايماء منه بأن مستشار الامن القومى والمخابرات الامريكية CIA أصبحت لهما اليد الطولى فى مشكلة الشرق الأوسط

ويحتاج الامر فيما يتعلق بهذه الاتصالات بين المخابرات المصرية والمخابرات الامريكية وراء ظهر وزارة الخارجية المصرية والتي سماها بعض الكتاب ممن تناولوا بالبحث هذه المرحلة بالقناة الخلفية أو القناة السرية - الى بعض التفصيل .

يقول هيكى فى كتابه « أبو الهول والقومسير » (ص ٢٤٥ من النسخة الانجليزية) انه نتيجة لأن كسينجر قد أصبح السلطة الفعلية الحقيقية فى توجيه السياسة الامريكية فقد رأى السادات انه من المناسب ان يقيم اتصالا مع جهاز الامن القومى الامريكى الذى يرأسه كسينجر وجهاز المخابرات المصرى الذى يرأسه « احمد اسماعيل » .

ثم يقول هيكى فى كتاب « خريف الغضب » ان الاتصالات مع كسينجر كان تجرى فى البداية عن طريق كمال ادهم والمخابرات السعودية ، ثم يحكى فى كتابه عن محاولات كمال ادهم اقامة جهاز اتصال يربط بين منزليهما (اى منزل هيكى ومنزل كمال ادهم) فى مصر والسعودية حتى يجرى الاتصال بصفة سرية كاملة

وبعد عدة اسابيع من رفض هيكى ابلغه الفريق صادق وزير الحربية المصرى ان اجهزة الرصد فى القوات المسلحة المصرية

اكتشفت وجود محطة ارسال لاسلكية تعمل من مكان ما في الجزيرة وهي المنطقة التي يقع فيها منزل انور السادات ويقول هيكل انه لم يعلق ولكنه فهم ان هذا هو جهاز الاتصال بين انور السادات والملك فيصل (ص ٤٤ و ٤٥ من النسخة الانجليزية) .

الا انه حدث تطور بعد ذلك حيث اقيمت قناة اتصال مباشرة ببناء على رغبة السادات على اعلى المستويات بين السادات والبيت الابيض ويختلف هيكل وكيسنجر (في كتابه سنوات في البيت الابيض) عن موعد بداية عمل هذه القناة هل كان ذلك في خريف ١٩٧٢ ام في ابريل ١٩٧٢ كما يقول كسينجر ، واعتقادي ان هذه القناة قد بدأ عملها في خريف ١٩٧١ حيث أنني عاصرت قضية الجاسوسية التي اتهم فيها طناشى راندوبلوومس سيفين هيريس سكرتيرة قسم الفيزيات بالقنصلية الامريكية بارسال معلومات الى المخابرات الامريكية عن موضوعات تقنية خطيرة تتعلق بالطائرات السوفيتية التي تعمل في مصر . وقد أثار هذا الموضوع استياء السادات واعطى اوامره امامى للفريق أحمد اسماعيل (رئيس المخابرات المصرية) باستكمال التحقيقات وتقديم المتهمين الى المحاكمة ولكنه فجأة وبعد ايام قليلة وبلا اى مبرر امر باغلاق ملف الموضوع وكان ذلك في سبتمبر ١٩٧١ . واعتقادي أن حرص السادات على إبقاء هذه القناة هو الذى حمله على اغلاق ملف الجاسوسية هذا ، وقد توقفت عند هذا الموضوع نظرا لاهميته في تحديد بداية تحول السادات الى امريكا كما أنه يفسر كل الاحداث المتلاحقة التي يستحيل على العقل والمنطق تفهم دواعيها ودوافعها والتي انتهت الى توقيع معاهدة الصلح المنفرد مع اسرائيل فقد كانت القناة الخلفية او القناة السرية وراء الصدمات الكهربائية التي كان يتباهى بها السادات ووراء كل الوحي والالهام الذي يتلقاه .

وبعد عقد معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية في ٢٧ مايو

١٩٧١ قابل بيرجس المشرف على المصالح الامريكية في مصر - السادات في بداية شهر يونيو ، بمناسبة سفر بيرجس الى واشنطن ، وحمله السادات رسالة الى نيكسون بان هذه المعاهدة لن يكون لها اى تأثير على رغبة مصر فى السلام ، ولا على قرار مصر ، ويرجو ان تستمر الاتصالات بينه وبين نيكسون وهو يتطلع الى مزيد من هذه الاتصالات .

ولم يكتف الامريكان بذلك فقد عاد بيرجس من واشنطن ، ومعه مايكل ستيرنر ، وقابلا السادات فى ٦ يوليو ١٩٧١ ، واثارا نفس السؤال حول اثر توقيع هذه الاتفاقية على نية مصر فى الوصول الى تسوية سلمية .

وعاد السادات الى نفى اى اثر لهذه المعاهدة ، مؤكدا استعداداه للتوقيع على أية ورقة تحمل شروطا معقولة .

وخلال هذا وصل التلهف الى أمريكا الى مداه الى حد مسارعة السادات الى لقاء مايكل ستيرنر بمجرد وصوله الى القاهرة ، ومايكل ستيرنر رئيس قسم الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية الامريكية ، وقد كان مرافقا لروجرز عندما جاء لمقابلة السادات (وسبق ان رافق السادات فى اول زيارة للولايات المتحدة الامريكية فى سنة ١٩٦٦ عندما كان رئيسا لمجلس الامة) .

سمعت هذا الخبر من محمد حسنين هيكل وهو يبدى امتعاضه وسخطه على تصرفات السادات ، وقد اخذ يتساءل فى حيرة كيف يتكالب رئيس جمهورية مصر على مقابلة موظف صغير فى وزارة الخارجية الامريكية بهذه الصورة المذرية ، يكفى ستيرنر ان يقابل مدير ادارة فى وزارة الخارجية (هذا ما قاله هيكل) .

كان هيكل فى ذلك الحين همزة الوصل بين بيرجس ، الذى كان يتولى رعاية المصالح الامريكية ، وبين السادات ، وطبيعى ان يعلم من بيرجس ما كان من امر ستيرنر .

جاء مايكل ستيرنر وليس معه جديد وظل في القاهرة طويلا بدعوى انتظار سيسكو او تعليمات من وزارة الخارجية الامريكية ثم عاد الى واشنطن ولكنه ظل بعد ذلك سنوات يروح ويجيء قاسما مشتركا في كل الاتصالات التي جرت مع (الامريكان) ...

قد يصعب على الانسان ان يحكم على واقعة معينة في حينها ، وقد تمر به مرورا عابرا ، ولكن بعد وقت يطول او يقصر ، وتتابع الوقائع وربط بعضها ببعض ، عند ذلك تتكامل للانسان اسباب الحكم على الاشياء ..

هذا ما كان من حكاية (الامريكان) اما ما كان من حكاية (اصدقاءنا الروس) فنبدأ في ضوء كل هذا ، حكاية ما قاله السادات لبوناماريوف رئيس الوفد السوفيتي في ٢٧ يوليو ١٩٧١ .



خلال زيارة بودجورنى والوفد المرافق له في اواخر شهر مايو ١٩٧١ ، صمم السادات على ضرورة ايفاد وفد من الاتحاد السوفيتي على مستوى عال لحضور افتتاح المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى الذى كان مزمعا عقده في ٢٣ يوليو ١٩٧١ ، بعد اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى العربى من القاعدة الى القمة .

وحضر الوفد السوفيتي في الموعد المحدد برئاسة بوناماريوف ، وكان عضوا في الوفد الذى رافق بودجورنى في الزيارة السابقة ، وهو سكرتير اللجنة المركزية ، والمسئول عن العلاقات مع الاحزاب الأجنبية ومن اقرب الشخصيات القيادية في الاتحاد السوفيتي الى بريجنيف ، وقد عاصر العلاقات المصرية السوفيتية منذ البداية . ورافقته بصفتي الشخص المواجه له (سكرتير اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى) .

وقد حدث خلال زيارة الوفد السوفيتي حدثان هامان :
اولهما : محاولة الانقلاب التي جرت في السودان في ١٩ يوليو ،

وما أعقبها من محاكمات صورية ، واعدام بالجملة للعشرات من النقابيين ، واعضاء الحزب الشيوعى والناصريين والبعثيين ، وضباط القوات المسلحة ، والمعارضين لحكم نميرى ، ولهذا الموضوع قصة روينها فى مكان آخر .

ثانيهما : الحديث الذى جرى بين السادات وبوناماريوف بعد انتهاء المؤتمر القومى العام ، كان الوفد السوفيتى يقضى الايام الاخيرة لزيارته فى الاسكندرية ، ويستعد للعودة الى القاهرة ، لعقد الاجتماع الاخير بينه وبين وفد الاتحاد الاشتراكى العربى ، لاصدار البيان ، المشترك كالعادة المتبعة . وكان السادات يقضى فترة استجمام فى فندق العلمين بسيدى عبد الرحمن ، ولم يكن ايضا فى هذه المرة قد تملكته هواية جمع الاستراحات ، فقد كان ينزل من وقت الى اخر للاستجمام فى شاليه من شاليهات فندق العلمين بسيدى عبد الرحمن ، وهو فى الطريق بين الاسكندرية ومرسى مطروح .

وطلبنى السادات فى الاسكندرية فى صباح يوم ٢٧ يوليو على ما اذكر محددا موعدا للقاء مع بوناماريوف بعد ظهر نفس اليوم استقلينا السيارة بعد الغذاء مباشرة ، لنصل الى الفندق بعد الساعة السادسة مساء ، وجدنا السادات يجلس جلسة استرخاء على شاطئ البحر الابيض المتوسط ، وجلسنا ليبدأ حديث هام بين الاثنين .

سجلت هذا الحديث لاهميته كاملا واعلم انه موجود فى اوراق الرئاسة ، ولم يبق لى منه الا مجرد نقاط وجدتها فى اوراقى المبعثرة .

بدأ السادات حديثه وهو ينظر الى البحر ويقول : « البحر ده هو الذى بيقرر مصير التوازن فى المرحلة المقبلة ، التوازن العالمى » . واستطرد السادات فى حديثه الى دعوة الاتحاد السوفيتى الى عمل استراتيجية مشتركة مع مصر ، وقال : « ان هذه

الاستراتيجية تحتاج الى قرار سياسى قبل القرار العسكرى .
وقال ان امريكا اخذت القرار السياسى وهو سياسة توازن
القوى .. اسرائيل تكون دائما اقوى عسكريا من كل الدول العربية
مجتمعة ... وعلى الاتحاد السوفيتى ان يتخذ القرار السياسى وهو
انه سيبقى فى البحر الابيض .

وقال : امامكم شواطئنا وشواطىء ليبيا اكثر من ٣٠٠٠ مليون
ونحن مستعدون ، امامكم مرسى مطروح ، انا الى عرضت وانا الى
طلبت ان تكون قاعدة لكل التسهيلات اللازمة لتواجدكم فى البحر
الابيض ومازال عليكم ان تتخذوا القرار السياسى ، طلبت انكم
تعملوا مصنع الاسلحة النفثة .. والعمرات لنا ولكم انتم فى
مصر ...

وتساءل بوناماريوف اليس توقيع معاهدة الصداقة هو القرار
السياسى ...

رد السادات بان لا امريكا ولا اسرائيل احسا بان الوجود
السوفيتى والمعونة السوفيتية لمصر قد تزايدت ، بما ينبىء ،
ببداية خط جديد فى العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى .
وطلب السادات ان تعاود القيادة السوفيتية دراسة « بناء
استراتيجية مشتركة مع مصر » وقال ان كل هذا تحدث عنه مع
بودجورنى عندما كان فى القاهرة .

وعلق بوناماريوف بان عامل الثقة لا بد ان يكون متوافرا فى
الجانبين وقال السادات كلمته المعهودة « صح » .
وانتقل الحديث بعد ذلك الى مسائل عسكرية ونوعيات الاسلحة
ونسبة الطيارين للطائرات التى سلمت الى مصر ، وكانت النسبة
حسب ما اثير فى ذلك الحديث اقل من طيار للطائرة الواحدة
حديث طويل لا مجال للخوض فيه ...

وعن القضية الفلسطينية قال بوناماريوف ، ان الاتحاد
السوفيتى يحبذ فكرة انشاء حكومة فلسطينية ، ورد السادات بانه

انهى هذا الموضوع واتفق عليه مع ياسر عرفات ...
ثم عرج بوناماريوف عما يتردد من ان امريكا عرضت ان تكون لها
قوات فاصلة في سيناء بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية ، في
حالة موافقة اسرائيل على فتح القناة ، ووجود قوات مصرية على
الضفة الشرقية للقناة .

فرد السادات « انا لا اوافق على عسكري امريكى واحد على ارض
مصرية ، الا امام عسكري سوفيتى ، والا الاثنى بـره ، والا كان
ذلك احتلالا جديدا . » .

وبعد ذلك ترك السادات بمقتضى معاهدة الصلح مع اسرائيل
الجزء الاكبر من سيناء لوجود عسكري امريكى لا طريق للتخلص
منه تحت مظلة ما يسمى بالقوات المتعددة الجنسية .

وتحدث بعد ذلك بوناماريوف عن الدعاية المعادية للسوفيت ،
التي تجرى حاليا بصورة مكثفة في السودان ، واثيانا في مصر ، وان
هذه الدعاية لا تضر الاتحاد السوفيتى ، ولكنها تضر بالقضية
العربية التي تحتاج الى كل مساندة دولية .

ورد السادات ان الاتحاد الاشتراكي يبحث هذا الوضع ويتخذ
قرارا فيه و اشار الى وقال « اهو الزيات قدامك اهو » .
وكان الزيات قد أصابه الدوار ، ليس دوار البحر لأننا كنا
جالسين على البر ، ودوار البحر لا يصيب الا من يركب البحر ،
ولكن القلق على كل مايجرى وعلى المستقبل أصابنى
الدوار ، وكنت أعلم عن الاتصالات بين السادات والأمريكان ولا
أعلم فحوى هذه الاتصالات .

وكنت أعلم ان عبد الناصر قد ترك باب الاختيار مع الولايات
المتحدة الامريكية مفتوحا ، ولم تتوقف في عهده الاتصالات
المصرية - الامريكية ، رغم ان عبد الناصر لم يخذ قط تجاه نظرة
امريكاله وتجاه نواياها معه ..

وانذكر على سبيل المثال ان راسك وزير خارجية امريكا قد زار

مصر وعقد عدة لقاءات مع عبد الناصر وتقدم بمقترحات في ٢ نوفمبر ١٩٦٨ .

كما تلقى وزير الخارجية المصرية من مستر روجرز وزير الخارجية الامريكى بعد ذلك ورقة عمل في ٩ نوفمبر ورد عليها في ١٦ نوفمبر ١٩٦٩ .

وكان الرد على كل هذه المشروعات والمقترحات ردا مبدئيا دائما ، ان مصر قد تلقت عدة مشاريع تختلف في صياغتها ، الا انها تستهدف في النهاية اجراء تسوية جزئية مع الجمهورية العربية المتحدة فرغم ما ابدته امريكا في كل المناسبات ان ليس لديها النية لفصل ما يتعلق بالجمهورية العربية المتحدة عن سائر الاجزاء ، لأن التسوية يجب ان تكون شاملة .

وقد جاء جروميكو الى مصر وعقد عدة لقاءات مع عبد الناصر لمناقشة ورقة العمل التى تقدم بها المستر روجرز وزير الخارجية الامريكية في ٩ نوفمبر ١٩٧٩ .

وكان المشروع واضحا ومحددا في الجلاء عن سيناء بحيث تصبح الحدود الدولية السابقة بين مصر وارض فلسطين تحت الانتداب ، الحدود الأمنة والمعترف بها بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة .

وعلى قدر علمى ان عبد الناصر توقف عند نقطتين :

الاولى : - ان مصر لا يمكن باى من حال من الاحوال ان تقبل حلا جزئيا ، ويتعين ان يكون الحل شاملا لجميع الاراضى العربية التى احتلتها اسرائيل بعد ٤ يونيو ١٩٦٧ .

الثانية : - ان المشروع ينص على السماح بمرور السفن الاسرائيلية فى قناة السويس وخليج العقبة ، وان هذا يتحقق تلقائيا نتيجة انتهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، وتنفيذ باقى بنود القرار رقم ٢٤٢ ، وان مصر لا يمكن ان تقبل مرور السفن الاسرائيلية فى قناة السويس وخليج العقبة ، طالما هناك قوات احتلال اسرائيلي باقية فى

الاراضى العربية التى احتلت فى حرب ٥ يونيو .

كما جرت بعد ذلك محادثات مطولة بين عبد الناصر ومستتر سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكية ، بناء على طلب من نيكسون ، وبين سيسكو ووزير الخارجية المصرى ، وكان ذلك فى النصف الأول من شهر ابريل ١٩٧٠ ، اى قبل مبادرة روجرز التى أعلنها فى ٢٥ يونيو ١٩٧٠ .

واريد ان اسجل للتاريخ ان ورقة العمل المؤرخة ٩ نوفمبر ١٩٦٩ تتقدم بمراحل واسعة عن الاتفاقات التى عقدها السادات بعد ذلك واترك لوزارة الخارجية المصرية حفاظا على التاريخ ان تصدر كتابا عن كل هذه الوثائق ، لأن الحقيقة لا يصح ان تضع فى دهاليز وزارة الخارجية المصرية عن اهم واخطر فترة فى تاريخ حياة مصر .

ويقول السادات فى كتاب البحث عن الذات اننا كنا قد فوضنا الاتحاد السوفيتى بالتحدث مع امريكا لازالة شكوكهم الرهيبة » ص ٢١٢ .

— وهذا غير صحيح ، فقد كانت تجرى خلال هذه الفترة اتصالات سوفيتية امريكية ومباحثات بين الاربعة الكبار (امريكا والاتحاد السوفيتى وانجلترا وفرنسا) و الاتصالات السوفيتية التى جرت فى ذلك الحين تمت على اساس مبادئ اساسية حول التسوية ، تم الاتفاق عليها بين مصر والاتحاد السوفيتى ، وسجلت فى وثيقة اطلق عليها « المبادئ الاساسية حول التسوية » مؤرخة ١٧ يونيو ١٩٦٩ . فلم يفوض الاتحاد السوفيتى تفويضا مطلقا ليتحدث باسمنا كما يقول كتاب البحث عن الذات .

وكان هذا مدى علمى بالنطاق الذى تدور فيه المفاوضات مع امريكا فى عهد عبد الناصر ، والمدى الذى يمكن ان تدور فيه فى عهد السادات ، فى اطار مبادئنا الثابتة .

ولم اكن اعلم ان السادات يسعى ، لأن يكون ، أو تكون مصر ،

جزءا من الاستراتيجية الامريكية ، في الوقت الذي يسعى فيه ان يكون جزءا من الاستراتيجية السوفيتية ، او يتظاهر على الاقل بذلك لو علمت ان ذاك لاصابني الجنون لا الدوار ، ولما تحملت ان اكون طرفا في هذا الطريق الذي يسير فيه السادات ، فلم اكن أقبل ، ولم يكن لوطني ان يقبل ، ان تصبح مصر عدم الانحياز ، جزءا من الاستراتيجية الكونية لاي من القوتين العظميين ، واذا كنت قد تحملت مطلب السادات الغريب في ان يكون ، او تكون مصر ، جزءا من الاستراتيجية السوفيتية ، فقد تحملته على اساس ان احدا من المسؤولين المصريين ، وان احدا من المسؤولين السوفيت ، لا ياخذ هذا المطلب مأخذ الجد ، واقصى ما يتصوره انه محاولة لدفع السوفيت الى مركز متقدم في مساعدة ودعم قدراتنا القتالية ، وقد تحملته أيضا لما اعرفه من ان السادات مغرم بالالفاظ والمعاني الكبيرة ، يميل الى ترديد الشعارات ، وبالتالي بالتظاهر بالفهم والمعرفة بكل ما يتصل بالاستراتيجية العالمية ، ولم يكن يخطر في بالي في ذلك الحين ، ان دورا في الاستراتيجية الامريكية ، هو مطلبه الأول والاخير ، وانه سيعيش ويموت ساعيا الى هذا الدور .

وانهى السادات جلسته على شاطئ البحر المتوسط وهو يقول « قوم نام ستسافر غدا صباحا معي الى ليبيا » وكان بونا ماريوف قد سبقنا الى استراحته ليطلب ان ينزل للاستحمام في البحر عند منتصف الليل ، وتقابلت معه في الصباح الباكر ، وانا استعد للسفر الى ليبيا وكان يتأهب للنزول مرة اخرى الى البحر ، ذكرته بحديثنا مع الدكتور عزيز صدقي ، وعن الثقة المتبادلة التي يتعين ان تتوفر بين البلدين . وكان قد سبق لنا الاجتماع مع الدكتور عزيز صدقي في كابينته في المنتزة بالاسكندرية ، وكان عزيز صدقي وانا معه نحاول ان نؤكد ان خط السادات هو خط عبد الناصر . وان برنامج العمل الوطني الذي قدمه السادات الى المؤتمر القومي في يوليو ١٩٧١ ، هو تطبيق اشتراكي يضع كثيرا من القضايا النظرية التي تضمنها

الميثاق الوطنى (١٩٦٢) موضع التطبيق ، ولكنه كان رافضا
اساسا قبول فكرة التطابق بين الخطين ، او فكرة الامتداد بين عبد
الناصر والسادات .

واذكر اننا شددنا على ضرورة ان يخطو الاتحاد السوفيتى
خطوات للتفاهم مع السادات ، وازالة أى سوء فهم وان الحديث
استغرق اربع ساعات تجادلت خلالها انا والدكتور عزيز صدقى مع
بوناماريوف ولا اقول تحاورنا ، لان الخلاف كان بيننا خلافا كبيرا .
وعاد بوناماريوف الى موسكو ليعود معه الجمود فى العلاقات
المصرية - السوفيتية .

وهذا ما كان فى شأن محادثات السادات مع روجرز الأمريكى
وبوناماريوف السوفيتى .

واذا كانت بعض الحقائق لم تكن معروفة فى ذلك الحين واكتملت
صورتها فيما بعد لتتكشف معها الرغبة الكامنة فى السادات منذ
١٩٧١ الى الاتجاه بكليته الى الأمريكان الا انه لم يكن فى استطاعته
ان يوجه سياسته كاملة فى هذا الاتجاه لانه كانت تعترضه مسألتان :
الاولى - ان الاتحاد السوفيتى كان هو المصدر الوحيد لتسليح
مصر .

الثانية - ان فكرة الاتفاق الكامل مع امريكا لم تكن قد نضجت بعد
لان امريكا - رغم مبادرات السادات فى اتجاهها .. لم تبد
استعدادها لمباشرة أى ضغط على اسرائيل ..

وبينما القناة الخلفية او القناة السرية يتصاعد فعلها وعملها فى
تقريب مصر من الخط الأمريكى اخذ السادات يخادع السوفيت فبعد
اعلان مبادرته فى ٤ فبراير ١٩٧١ بفتح قناة السويس بعد اتمام
المرحلة الاولى من انسحاب القوات الاسرائيلية ارسل شعراوى
جمعه وكان وزير الداخلية فى ذلك الحين كرسول شخصى له الى

القيادة السوفيتية في زيارة سرية لموسكو يطمئن فيها القادة السوفيت على ان علاقته مع الاتحاد السوفيتي علاقة استراتيجية يحرص عليها ، وكان ذلك في شهر (ابريل على ما اذكر) وان السادات قد اشار في رسالته الى السوفيت يتمتع بكل ثقته وتقديره ولم يمض اكثر من شهر على ذلك حتى كان شعراوى جمعة وراء قضبان سجن السادات .

علما انه يتعين على ان اقول في هذا المقام انه قد تكتشفت لى بعد فترة طويلة بعض الحقائق عن مبادرة السادات في ٤ فبراير ١٩٧١ فهي لم تأت من فراغ ولكنها تتماثل الى حد كبير من اقتراح لموشي ديان ظهر في النصف الثاني من ١٩٧٠ بوصفه اقتراحا عمليا ومضمونه التوصل الى تسوية جزئية مع مصر باعتبار ذلك خطوة اولى وفي مصلحة اسرائيل سياسيا وعسكريا على اساس ان تنسحب القوات الاسرائيلية ٢٠ ميلا من شرق القناة في اتجاه الممرات وان تعيد مصر فتح قناة السويس للملاحة الدولية مع نزع سلاح القوات المصرية في غرب القناة وقد عرض هذا الاقتراح على ابا ايبن وزير الخارجية في ذلك الحين وأيدته جولدا مائير رئيسة الوزراء واقره مجلس الوزراء الاسرائيلي في ٢٩ نوفمبر ١٩٧٠ واذا كان لم يكشف النقاب عن هذا الاقتراح الا بعد هذا التاريخ ، الا انه بلا شك ان الاقتراح كان معروفا للسادات عن طريق الوسيط السعودي كمال ادهم عندما اعلن مبادرته في ٤ فبراير ٧١ وعندما وعد السادات كمال ادهم في نوفمبر ١٩٧٠ ان يكون سحب الخبراء السوفيت بعد انتهاء المرحلة الاولى من الانسحاب .

بل ان كيسنجر يقول في كتابه « سنوات في البيت الابيض » ص ١٢٨ النسخة الانجليزية

انه في ١١ يناير ١٩٧١ اتصل ضابط مصري كبير يمثّل المصالح الامريكية في مصر وابلغه باسم السادات انه يبدي اهتماما كبيرا باقتراح ديان .

ويستمر السادات في لعبته مع السوفيت ففي خلال المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي الذي انعقد في الفترة من ٣٠/٣ الى ٩/٤/٧١ ارسل بوفدين احدهما برئاسة عبد المحسن ابو النور امين عام الاتحاد الاشتراكي والثاني برئاسة سامي شرف الذي كان يحمل رسالة من انور السادات لبريجينيف يقترح فيها صياغة العلاقة القائمة بين الدولتين في معاهدة ..

ويقول هيكل في كتاب « ابو الهول والقومسير » ص ٢٢٦ انه نظرا لانشغال بريجينيف فلم يتسن لسامي شرف مقابلته شخصيا وتسليمه الرسالة الا بعد انتهاء المؤتمر .

وزيادة في الايضاح اقول ان الرد من الاتحاد السوفيتي على عقد المعاهدة التي طلبها السادات اتى في رسالة موقعة عليها من بريجينيف وبودجورنى وكاسجين في ١/٥/١٩٧١ اى قبل انقلاب مايو وإن كان تم التوقيع عليها في زيارة لبود جورنى في ٢٧/٥/١٩٧١ وهذا ينقض ما قاله السادات بعد الغاء المعاهدة في مارس ١٩٧٦ من انه ارغم على عقد المعاهدة بضغط من السوفيت لتثبيت علاقتهم بمصر بعد ابعاد مجموعة مايو . وقد اطلعت على هذه الرسالة وعلى تاريخها حيث كتب احد اعضاء وفد المفاوضات الذى شكله السادات لدراسة هذه المعاهدة ، والمباحثة في شأنها مع الوفد السوفيتي ويمكن الرجوع اليها في محفوظات الرئاسة أو وزارة الخارجية وينطبق الامر ايضا على ما اسماه السادات بطرد الخبراء السوفيت من مصر في يوليو ١٩٧٢ فقد سبق هذا القرار زيارات واتصالات ناجحة قام بها هو ذاته مرة في فبراير ومرة في ابريل وعبر عن رضاه الكامل عن الزيارتين - كما زار المارشال جاريشكو وزير الدفاع السوفيتي القاهرة في شهر مايو ١٩٧٢ وفي يونيو من نفس السنة - زار محمد صادق وزير الحربية المصرى موسكو وقدم الى السادات تقريرا عن محادثاته في ١٥ يونيو وكان تقريرا مرضيا كما

عبر عن ذلك الفريق صادق في مجلس الوزراء - وقد كنت نائبا لرئيس الوزراء في ذلك الحين

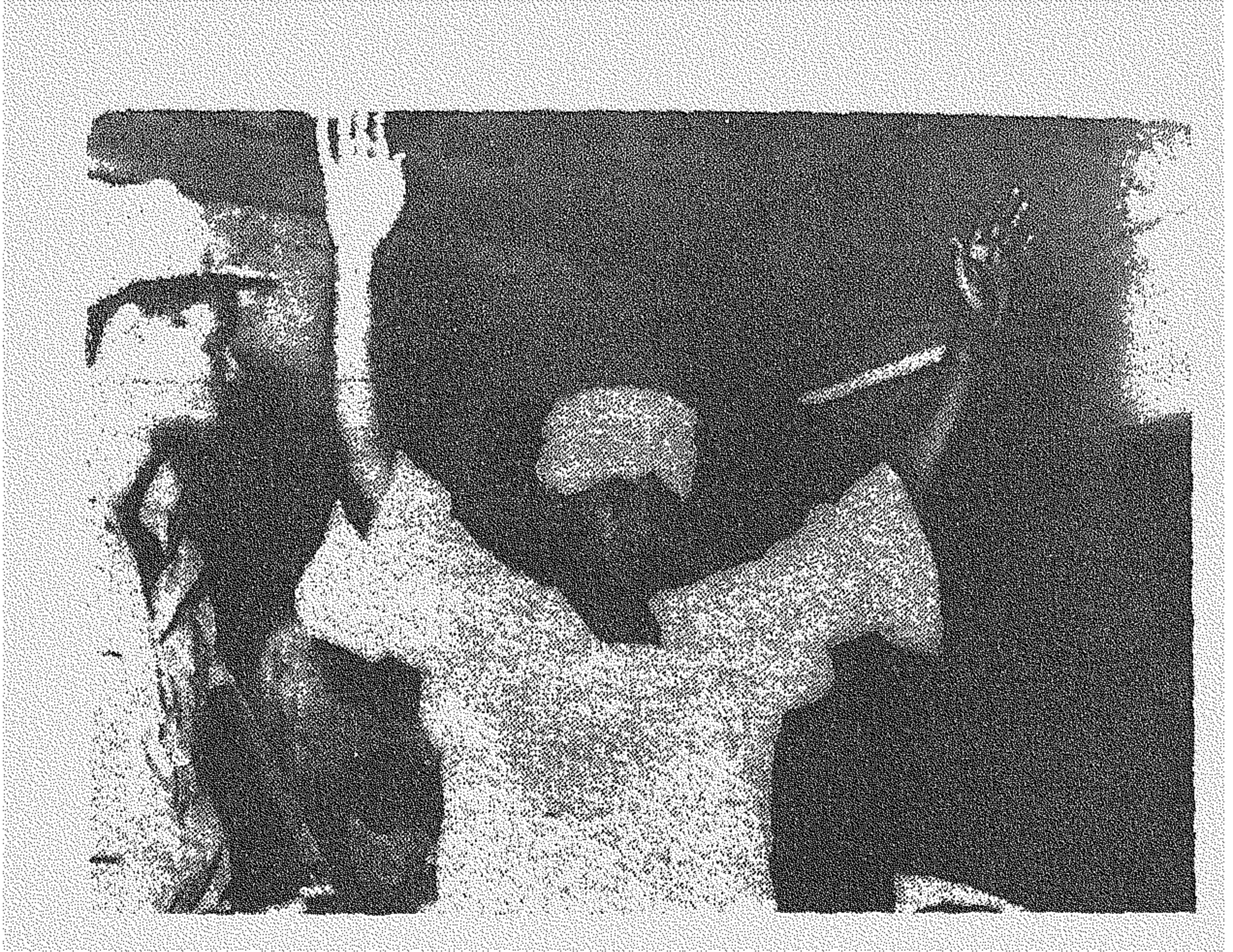
وقد تساءل هيكل في كتابه ، « الطريق الى رمضان » ص ١٦٩ من النسخة الانجليزية ماذا حدث في راس الرئيس الفترة من ١٥ يونيو الى ٦ يوليو عندما اتخذ قراره هذا ثم يقول لا يستطيع الاجابة عن ذلك الا السادات نفسه .

واقول ان هذا القرار لم يكن نتيجة لعدم الرضا عن المعاملات في المجالات العسكرية مع الاتحاد السوفيتي ولكنه كان شأنه الغاء المعاهدة نتيجة الاتصالات التي كانت تجرى خلال القناة الخلفية او القناة السرية التي كانت تربط بين السادات وبين السعودية ومن بينه وبين امريكا .

واذكر انه كان لي موقف في مجلس الشعب عن نظر مشروع الغاء هذه المعاهدة وقد كنت عضوا فيه وقد تحدثت في اللجنة الموسعة التي رأسها سيد مرعي رئيس مجلس الشعب في ذلك الحين لنظر هذا المشروع وقلت ان الغاء المعاهدات او تجميدها امر وارد في الفقه الدولي . القانون الدولي ولكن لا بد ان يقاس الامر بمقياس المصلحة ومدى تأثير هذا الالغاء الدولي والتجميد على المصالح الامنية وعلى العلاقات الاقتصادية والتجارية بوجه خاص واعطيت أمثلة على تنوع هذه المصالح والعلاقات وكان رد الحكومة انها تبحث الموضوع من كل جوانبه وهي مطمئنة على ما تقترحه على المجلس ويكشف اسماعيل فهمي في كتابه ، التفاوض من اجل السلام في الشرق الاوسط عن المفارقة الشاذة في تعامل السادات مع السوفيت وتعامله مع الامريكيين فيقول كان السادات يشعر بعدم الامان وبحساسية مبالغ فيها في كل مرة يتعامل مع السوفيت ويضرب مثلا لذلك بحديث جرى بين السادات وجروميكو في ١٩٧٤ حيث قاطع السادات جروميكو فجأة معترضا على ما اسماه تدخلا في الشؤون

الداخلية المصرية و أعلن ان مصر دولة مستقلة وانه لن يقبل أى تدخل فى شئونها ... ويقول اسماعيل فهمى اننى سارعت وهمست فى اذن السادات انه ليس هناك فى حديث جروميكوما يعتبر تدخلا بأى صورة ، وكان جروميكو ينقل رسالة مكتوبة من القادة السوفيت تعكس الرغبة فى معرفة موقف العلاقات المصرية السوفيتية اما فى تعامله مع الامريكيين فكان السادات هادئا مرنا وكثيرا ما يعتمد استعمال عبارات الالفة والمودة .. مثال ذلك صديقى العزيز هنرى واستعداده التام لقبول اى اقتراح امريكى دون تردد .. وذلك على العكس تماما مع السوفيت فقد كان اسلوبه هو الشك الشديد والاستعداد لتفسير كل عبارة كهجوم ضد مصر بل ان المقصود هو اهانتة شخصيا (٢١٠)





الشفيع أحمد الشيخ رافعا يديه قبل شنقه بعد أن صدق السادات على الحكم

الفصل الرابع

اتحاد عمال مصر وحمادات الدم في السودان
بداية انحياز السادات لنميرى ضد شعب السودان

حدثت احداث هذه الواقعة وانا اشغل مركز سكرتير اول اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ، ولا ادري من اين ابدأ هذه القصة فاحداثها متعددة الجوانب ، مختلفة الاطراف ، وان كانت كلها تدور حول الانقلاب الفاشل الذي جرى في السودان في منتصف يوليو سنة ١٩٧١ ، والذي قاده بعض الضباط وقيل ان بعضهم ينتمى الى الحزب الشيوعي السوداني .

وقد ساعدت كل من مصر وليبيا في قمع هذا الانقلاب . ارسلت مصر بقوات الى السودان ، واعترضت السلطات الليبية بطائراتها الطائرة البريطانية التي كان يستقلها ابوبكر النور ، الذي قيل في ذلك الحين انه قائد هذا الانقلاب ومخططه ، وكان في طريقه من لندن الى الخرطوم ، فقبضت عليه سلطات ليبيا ، وارسلته على طبق من فضة الى نميري ، ليعدمه في اعقاب وصوله مباشرة ، واستطاع نميري بهذه المساعدة ان يحاصر هذا الانقلاب وان يستعيد زمام الموقف .

وليس هنا مجال الكلام عن ثورة السودان ، وكيف نشبت ؟ ولماذا نشبت ؟ ولكننا نتناول ما شهدته السودان في اعقاب استعادة نميري زمام الموقف ، فقد شهد السودان احداثا رهيبية ، ومحاكمات صورية ، واعدامات بالجملة لنقابيين وضباط من القوات المسلحة واعضاء في الحزب الشيوعي السوداني ، ووطنيين من ناصريين وبعثيين لاتجمعهم رابطة غير معارضة نظام نميري ، كما ارتبطت هذه الحملة بحملة واسعة اخرى على الاتحاد السوفيتي وعلى الدول الاشتراكية واتهامها بالتواطؤ مع المحرضين والقائمين بانقلاب ١٩ يوليو .

وقد عمت المظاهرات في ذلك الحين كثيرا من اقطار العالم ، حتى عواصم اوروبا الغربية واخذت التشكيلات النقابية في انحاء العالم ، والمنظمات المختلفة تندد بالمحاكمات العسكرية واحكام الاعدام بالجملة ، التي تجرى في الخرطوم ، وسرعة تنفيذ الاحكام وعدم توفير امكانيات الدفاع عن المتهمين .

ووصلت الى وزارة الخارجية المصرية تقارير من سفاراتنا في الخارج ، حول مظاهر الاحتجاج والتنديد التي تجرى في الخارج ، ونضرب مثلا بما ارسل به القائم بالاعمال المصرى في السفارة المصرية بلندن الى وزارة الخارجية في هذا الخصوص ، قال في رسالته بدأت السفارة المصرية في لندن تتلقى عددا من الخطابات يوجه مرسلوها الاتهام الى حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، بالتآمر مع الرئيس نميرى ، وتأييده في الاجراءات التي اتخذها ازاء المحرضين والقائمين بانقلاب ١٩ يوليو .

— ثم يقول في رسالته : ان الكثيرين يربطون الاحداث المتسالية في العالم العربى ابتداء من الاعتقالات في الجمهورية العربية المتحدة في مايو وانتهاء باحداث السودان ، ويصورونها على انها انتصار للتيار الذى تفرضه بعض السياسات الاستعمارية وفي مقدمتها سياسة واهداف الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة ويكفى ان اورد نص هذه الرسالة دون حاجة لأى تعقيب فقد كانت هذه بداية تأمرية من السادات ونميرى استمرت سنوات بمظلة مصرية لحماية نظامه الفاسد ويتوجيه امريكى يكفل هذه الحماية ضد ارادة شعب السودان ومصالحه .

كان هذا مثلا من امثلة الرسائل التي وصلت وزارة الخارجية في ذلك الحين من سفاراتنا في الخارج ، وكانت وزارة الخارجية تخطر بها بعض الجهات ومنها الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى . ونعود الى ماكان يجرى في السودان انذاك ، فقد توالى الاحداث ، وكان المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى في مصر قد انتهى دورته وبدأ

السادات رحلة الاستجمام في سيدى عبد الرحمن .

وكان الوفد السوفيتى برئاسة بوناماريوف - وله قصة في موضع آخر - مازال في زيارة الاسكندرية ، وجاءنى بوناماريوف الى حجرتى في فندق فلسطين في الاسكندرية صباح احد الايام ، وقال : انه تلقى من القيادة السوفيتية رسالة عاجلة ضمنيتها رجاء الى السادات ، وانه يريد ابلاغ السادات بهذا الرجاء مشيرا الى ان الامر لا يحتمل اى تأخير كانت الرسالة تتعلق بما اذاعته وكالات الانباء عن صدور حكم باعدام « الشفيح الشيخ » ينفذ خلال ساعات ، واعرب بوناماريوف عن الامل الكبير الذى تعلقه القيادة السوفيتية على وساطة السادات لدى نمرى لوقف اعدام الشفيح .

حاولت الاتصال بالسادات في سيدى عبد الرحمن (فندق تور هوتيل) وبعد محاولات استمرت ساعات تم الاتصال ونقلت اليه رسالة القيادة السوفيتية .

وقبل ان نسترسل في احداث القصة ، لابد من ان نقف عند شخصية الشفيح الشيخ ، كان سكرتيرا عاما لاتحاد عمال السودان ونائب الرئيس العام للاتحاد العالمى للنقابات ، كان شخصية عالمية معروفة في جميع الاوساط النقابية لثقله ونشاطه الواسع ، وقبل هذا كانت له مواقفه القومية العديدة ، فقد استطاع في سنة ١٩٥٦ بنفوزه النقابى ان يحشد الحركة العمالية ضد العدوان الثلاثى على مصر ، ونفس الموقف وقفه في سنة ١٩٦٧ ، واستطاع ان ينجح في دعوته الى اضراب عمال الشحن عن شحن وتفريغ سفن النقل الامريكية احتجاجا على موقف الولايات المتحدة الامريكية من العدوان .

وقد كانت هذه الشخصية موضع الحب والتقدير من عبد الناصر فلم يزر الشفيح القاهرة ، وكان تردده عليها كثيرا - الا واستقبله عبد الناصر .

وانتقلت عدوى حب الشفيح الى السادات كانت هذه طبيعته اذا

احب عبد الناصر شخصا كان لابد ان يحبه او يتظاهر بحبه ويتحدث عنه مرددا في الغالب نفس العبارات والصفات التي يتحدث بها عبد الناصر عن هذا الشخص ، والعكس صحيح كان الشفيح يزور

السادات في مكتبه في مجلس الامة او في الاتحاد الاشتراكي واستقبلته انا في اغلب هذه الزيارات .

وفي كل مرة كان السادات يعبر عن ترحيبه بالشفيح وتقدير مصر والعرب جميعا له .

واذكر وقد اصبح الشفيح في رحاب الله اننى حملت لهذا الرجل اعزازا وتقديرا كبيرين ، واننى اعجبت بشخصيته وحماسه القومى ونشاطه وحبه لمصر .

اتصلت بالسادات ونقلت اليه رسالة القيادة السوفيتية ، كما استمعت اليها من بونا ماريوف وانتهى اليوم بطوله دون ان اتلقى اى رد او خبر من السادات .

وفوجئت في اليوم التالى بالصحف وقد نشرت بعناوين بارزة اخبار اعدام عبد الخالق محجوب والشفيح الشيخ وفي نفس اليوم طلبنى السادات لمقابلته انا وبونا ماريوف في سيدى عبد الرحمن حيث كان يستجم .

وقد اشرت في مكان اخر الى الحديث الذى جرى بين السادات وبونا ماريوف واكتفى السادات في سياق هذا الحديث الى الاشارة بانه كلم نميرى عن الشفيح فرد نميرى قائلا ياريتك كلمتنى مبكرا فقد اعدم الشفيح منذ ساعتين .

ولهذه المكاملة التى اشار اليها السادات قصتها .

فقد نشرت الصحف واذاغت وكالات الانباء ان الشفيح قد اعدم في نفس الوقت الذى اعدم فيه عبد الخالق محجوب وفي وقت متأخر من اليوم الذى اتصلت به بالسادات في هذا الخصوص ، والامر لا يخرج عن احد فرضين ، اما ان يكون نميرى قد كذب على

السادات ، وهذا وارد ، واما ان يكون السادات قد رأى لسبب او اخر الا يتصل بنميرى في هذا الشأن ، وهذا وارد ايضا .
الا ان بعض الصحف الغربية قد نشرت بعد ذلك بفترة ان مكالمة جرت بين السادات ونيميرى التقطتها اجهزة الاستماع في احدى سفن الاسطول السادس الأمريكى فى البحر المتوسط ثم سربت الى الروس ، لان امريكا كان من صالحها ان تستخدم كل سلاح لتخريب العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى .

وحقيقة مانشرته هذه الصحف عن المكالمة ان السادات سأل عن الاحوال فى السودان ، فطمأنه نميرى بان الامور تسير على مايرام ، وتجرى تصفية كاملة للانقلابيين ومؤيديهم والمتعاطفين معهم . وقال السادات لنميرى كنت حاكلك عن الشفيع ، فرد نميرى قائلاً كلامك ، ماينزلش الارض ولكن للأسف الشفيع اعدم منذ ساعتين ، فقال السادات عال ولكن اوعى يفلت منك رأس الافعى ، عبد الخالق محجوب ، فرد نميرى ودا ممكن .. اطمئن حنخلص على الجميع .. وكانت كلمة السادات الاخيرة (صح) .
كان عبد الخالق محجوب سكرتيراً عاماً للحزب الشيوعى السودانى ، والحزب الشيوعى السودانى كانت له دائماً مواقف مؤيدة لمصر ولعبد الناصر ، اختلف فيها احيانا كثيرة مع مواقف الاحزاب الشيوعية العربية .

وخلال حمامات الدم التى كانت تجرى فى السودان رافقت السادات فى زيارة لليبيا ، وعاد هو لاسكندرية للاستجمام ، وعدت انا للقاهرة لمواجهة أزمة جديدة تتعلق باعدام الشفيع .
اثار اعدام الشفيع الشيخ بهذه الصورة البشعة موجه عارمة من الغضب ، اجتاحت معظم التنظيمات العمالية فى مختلف انحاء العالم ، فقد كان الشفيع نائباً للرئيس العام للاتحاد العالمى للنقابات ، وكانت له علاقة وطيدة بمعظم القيادات العمالية فى

مختلف انحاء العالم .

وكان من الطبيعى ان يجد هذا الحدث صداه داخل التنظيمات العمالية وبين قياداتها في مصر ، نظرا للعلاقات الطويلة والسطوية ، والروابط النضالية التى جمعت بين الحركة العمالية في السودان وعلى رأس قياداتها الشفيح والحركة العمالية في مصر ، بل كان من الطبيعى ان يجد كل حدث في اى بلد من البلدين صداه في البلد الاخر .

وكانت النقابات العمالية في مصر قد اعيد انتخابها من القاعدة الى القمة ، وانتهت من تشكيل تنظيماتها حتى الاتحاد العام لعمال مصر ، وهيئة مكتبه والمجلس التنفيذى .

وواجهت هيئة مكتب الاتحاد العام لعمال مصر في اول اجتماع لها هذا الحدث الكبير في السودان : اعدام الشفيح .

وصلت الى مكتبى في الاتحاد الاشتراكى ظهر يوم ٣١ يوليو فعرفت ان السيد صلاح غريب رئيس اتحاد عمال مصر قد اتصل بى مرارا وتم الاتصال به فعرفنى ان هيئة مكتب الاتحاد العام في حالة اجتماع مستمر منذ الصباح ، وهناك اتجاه عام متفق عليه بين جميع اعضاء هيئة المكتب على اصدار بيان بادانة اعدام الشفيح .

كان ردى عليه ان اتحاد عمال مصر هو منظمة ديمقراطية ولها حرية التعبير عن رأيها ديمقراطيا ، الا اننى رجوته على اساس ان الاتحاد الاشتراكى هو التنظيم الام ، وان اتحاد عمال مصر هو من المنظمات الديمقراطية المساعدة للاتحاد الاشتراكى ، ان يعرض على صورة البيان الذى يتفق عليه قبل اعلانه .

اجزت صيغة البيان بعد ان عرضته على الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ، واتفقنا على ادخال تعديلات عليه لتخفيف لهجته وتناقلته اجهزة الاعلام الداخلية والخارجية .

وفي صباح اليوم التالى قرأت في صحف الصباح وفي مكان بارز منها ، ان رئاسة الجمهورية اصدرت بيانا تنفى فيه مانسب الى

اتحاد عمال مصر ، من اصدار بيان باستنكار اعدام الشفيح ، وان مصر تعلن انها لا تقبل التدخل في شئون السودان الداخلية ، وان السادات أمر بإجراء تحقيق فيما نسب الى اتحاد عمال مصر . وهبت رياح أزمة جديدة مع السادات .

ومنذ الصباح الباكر استمرت الاجتماعات في اتحاد عمال مصر ، ثم علمت من بعض القيادات العمالية ، ان مندوبين من مخابرات الرئاسة ومن المباحث العامة قد حضروا الى مقر الاتحاد في الصباح الباكر واجتمعوا بالسيد صلاح غريب . وان الاجتماعات العمالية التي عقدت طوال هذا اليوم قد ابدت تأييدها الكامل للبيان الصادر عن هيئة المكتب والمجلس التنفيذي (كانت هيئة المكتب تتكون من سبعة اعضاء والمجلس التنفيذي من ١٤ عضوا من رؤساء النقابات العامة بالاضافة الى اعضاء هيئة المكتب) .

لم يجر اتصال بين السادات وبينى في هذا اليوم ، وجاءت صحف الصباح في اليوم التالي تحمل خبر لقاء في قصر عابدين بين السادات والمجلس التنفيذي لاتحاد عمال مصر ، واءضاء مجلس الشعب من العمال واءضاء اللجنة المركزية من العمال ، واءضاء الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي ، ورئيس الوزراء والوزراء وذلك في يوم السبت ٩ اغسطس اى بعد اسبوع من نشر الخبر .

وخلال هذا الاسبوع اتصل بى السادات من الاسكندرية ، وقال لى في اول اتصال جرى بيننا لقد سببت لى حرجا كبيرا مع السودان ، ان مجلس قيادة الثورة السودانى في حالة انعقاد مستمر منذ ان اذيع بيان اتحاد عمال مصر ، وبابكر عوض الله (نائب نميرى في ذلك الحين على ما اذكر) لم يتوقف عن الاتصال بى من الخرطوم منذ ذلك الحين ، لموافاة نميرى ومجلس قيادة الثورة بما سأفعله ، قلت له اى حرج .. هل اصدار اتحاد عمال مصر بياننا يناشد فيه الجميع حقن الدماء ، وتحقيق الوحدة الوطنية في السودان ، ان يكون في ذلك اساءة لنميرى ونظامه ، هذا ما لم افهمه قال مش ضرورى تفهم ،

وعلى كل انا دعيت الى اجتماع لتصفية هذه الموقف ومنع وقوعه في المستقبل .

كانت تقارير مخابرات الرئاسة قد رفعت الى السادات تقريراً بما جرى يفيد بان البيان قد عرض علي ووافقت على اصداره .
وعندما توافدت القيادات العمالية على الاتحاد الاشتراكي للسؤال عن اسباب الاجتماع الذي دعا له السادات وموضوعاته ، قلت من الطبيعي ، ان يجتمع بكم رئيس الجمهورية ليهنئ قيادتكم الجديدة بعد اعادة انتخابات النقابات العمالية وليتحدث معكم عن مهام الطبقة العمالية في المرحلة القادمة وفي مقدمتها تحرير الارض المحتلة .

وجاء يوم الاجتماع ودخل السادات على المجتمعين بوجه متجهم ، واذكر ان السادات قد قوبل عند دخوله قاعة الاجتماعات بعاصفة كبيرة من التصفيق فقد كانت الطبقة العمالية ، كغيرها من الطبقات ، تؤمل خيراً في العهد الجديد .

وتحدث السادات واصيب العمال بخيبة امل .

شن هجوماً لاذعاً على اتحاد عمال مصر بسبب موقفه من قضية قتل الشفيق ، وأحداث السودان ، وبسبب تدخله في شئون السودان الداخلية .

لم يتحدث السادات عن المعركة ، ولم يتحدث عن دور الطبقة العمالية طليعة تحالف قوى الشعب العاملة بالنسبة لتحرير الارض المحتلة .

خرج السادات من حديثه بنظرية جديدة مفادها انه ما دام تحالف قوى الشعب العامل هو الذي يحكم ، فليس من حق طبقة اوفئة من فئات تحالف قوى الشعب العامل ان تتخذ موقفاً مستقبلاً عن بقية فئات التحالف ، وان هذا الموقف كان يتعين ان يعرض على التحالف ، اى على السادات نفسه ، لانه التحالف ، ولا يصدر البيان الا بعد اذنه وحده واذا اعترض فلا راد لحكمه .

وصاية كاملة من السادات على كل قوى التحالف .

لم تكن الصفات التي اطلقها السادات على نفسه أو أوعز بإطلاقها عليه ليتميز على غيره من بقية البشر ، لم تكن هذه الصفات ، كرب الاسرة وكبير العائلة والزعيم المؤمن والقائد الملهم ، وبطل الحرب والسلام وآخر الفراعنة وسادس الخلفاء الراشدين إلى غير هذا من الاسماء والمسميات لم تكن هذه الصفات قد ظهرت بعد .. ولكن صفه سبقت هذه الصفات عبر عنها السادات في حديث إلى قيادات العمال .. وهى « انا التحالف والتحالف انا » .

ذكرتنى بالعبارة المأثورة عن لويس التاسع عشر « انا فرنسا وفرنسا انا » .

وانتهى السادات الى القول اذا كان واحد شيوعى او اثنين تسللوا الى اتحاد العمال فانا اطلب منكم ان تطهروا صفوفكم منهم دون تدخل منى ، ولم يتوقف السادات منذ ذلك الحين وخلال عشر سنوات عن ترديد هذه العبارة ، كلما اتخذت احدى المنظمات النقابية موقفا لا يتفق واتجاهاته او لا يتطابق وسياساته ، وكانت هذه البداية لتدخلات سافرة فى انتخابات وتشكيلات النقابات المهنية والعمالية ، وفى اضعاف الحركة النقابية وفى احكام السيطرة عليها وفقدانها لاستقلاليتها وهكذا اصبحت هذه العبارة لازمة من لوازمه كلما بيت النية على الاطاحة باى تنظيم ديمقراطى مهنى او عمالى .

وليس مجال هذه القصة ما جرى بالتفصيل من مناقشات اعقبت هذا الحديث ولكن اذكر ان سكرتير اتحاد عمال مصر عبد العظيم المغربى تصدى بكل ادب وموضوعية لتفنيد حديث السادات ، وكان موفقا الى اقصى حد مؤيدا من جميع صفوف القاعة .

مازلت اذكر حديث المغربى وهو يسأل ماذا يكون ردى إذا جاء عامل مصرى نقابى يسألنى ، ماذا فعلتم من اجل الشفيع ، وهو

الذى ربط نضال الطبقة العمالية السودانية بالنضال القومى من اجل تحرير الوطن العربى ، ومن اجل الوحدة العربية وتصدر هذا النضال سنين طويلة . وماذا افهم اذا كان رئيس جمهورية مصر يتوسط لدى نميرى فى شأن الشفيح فيقوله له (ان الشفيح قد حوكم واعدم منذ ساعتين) فى الوقت الذى يقبض فيه على مرتزق المانى فى جنوب السودان (شتيرنر) وهو يحارب مع القبائل المتمردة على حكومة السودان ، ويقدم للمحاكمة فى السودان ، ويطلب محاموه التأجيل للاطلاع والاستعداد ، فتجيبهم المحكمة للتأجيل شهرين وفى هذا الوقت يحاكم الشفيح ورفاقه ويعدمون فى ساعات . ما معنى هذا الا ان يكونوا بكل الحسابات قد حوكموا واعدموا قبل الاوان : واضاف عبد العظيم المغربى ليس السودان غريبا عنا بل هو العمق الاستراتيجى لمصر ، وهى احدى دول المواجهة للعدو الصهيونى وما يجرى فى السودان بصفة عامة يؤثر على جبهتنا مع العدو ، ولا يمكن ان يعتبر موقفنا هذا تدخلا فى الشئون الداخلية للسودان . بعد هذه الكلمة بدأ السادات يتراجع كعادته فى كل مواجهة ، فافاض فى الحديث عن نضال الشفيح ، ومواقفه المشرفة فى حرب سنة ١٩٥٦ وبعد هزيمة ١٩٦٧ - تحدث عن الشفيح باعتباره من طلائع التقدم فى الامة العربية ، وقال انا كلمت نميرى فرد بان كلامك ماينزلش الارض ولكن جه بعد الاوان . وانا حاعمل ايه .. مجلس قياده الثورة بقيادة نميرى فى حالة اجتماع دائم ، وكل ربع ساعة يتصلوا بى فى التليفون ويقولوا هل هذا يصح ، لو ان الدنيا كلها اصدرت هذا البيان لما كان مهما ، ولكن صدوره عن اتحاد عمال مصر هذه هى الكارثة ، وانهى كلامه بانه لاوصاية مفروضة على اتحاد عمال مصر وان بابيه مفتوح للالتقاء به والكلام حول كل القضايا وانه لن ياخذ بعد ذلك بالتقارير التى ترفع له وكانت اخر عبارة قالها قبل ختام اللقاء .

على العموم لم يكن اتحاد العمال هو المقصود بهذا الكلام .

إذن من كان يقصد ... (والمعنى في بطن الشاعر) كان يقصد الزيات .

لم يقل هذا صراحة في الاجتماع ولكن بعد ان انتهى الاجتماع دخلنا الى مكتب رئيس الجمهورية ، ممدوح سالم وصلاح غريب وانا وقال السادات : ياصلاح الاجتماع كان محاكمة للزيات مش محاكمة لاتحاد العمال .

خرجت من هذا الاجتماع بانطباعين :
اولهما : ان تحقيق الديمقراطية وتثبيت دعائمها لايعتمد على النوايا الحسنة والوعود الطيبة من جانب الحكام ، او على الشعارات الجذابة التى يرفعها هؤلاء الحكام ، ولكنها عملية نضالية مستمرة شأنها شأن النضال من اجل الحياه لايتوقف السعى من اجلها على زمن دون زمن ، أو على جيل دون جيل ، نضال مستمر مع استمرار الحياة ذاتها ومع تتابع الاجيال .

فقد ملأت كلمات السادات وخطبه واحاديثه الناس املا في عهد جديد من الديمقراطية تشكل فيه كل مؤسسة من مؤسسات الدولة وكل المنظمات الجماهيرية من نقابات وتعاونيات وجمعيات ، على اساس من الاختيار الحر ، وتمارس فيه بالطريق الديمقراطي التجربة والخطأ ولكن ها هي الحقيقة تصدمنا ، مع اول ممارسة ديمقراطية لمنظمة جماهيرية تعتبر ممثلا لطليعة تحالف قوى الشعب العامل .

والتجربة توحى بأن السادات لن يترك الممارسة الديمقراطية لاية مؤسسة او منظمة ولن يترك لها حق التعبير عن ذاتها ، الا من خلال وصياته ، وبالقدر الذى يراه ، وفي الحدود التى يرسمها ، واذا حاولت مؤسسة او منظمة ان تتجاوز هذه الحدود فلديه السلاح الذى يشرعه ، وهو ان اثنين من الشيوعيين تسلا لهذا التنظيم ولا بد من ان يظهر نفسه ، او أن يعاد انتخابه هذا هو تاريخ السادات مع النقابات العمالية ، فقد اعاد تشكيلها مرات ، ثم مع النقابات

المهنية شن حرباً على نقابة الصحفيين لأنها أرادت ممارسة حقيقية للديمقراطية ، وحرية الرأي ، وتدخل بكل ثقله الحكومى فى الانتخابات التى أجريت لاعاده تشكيل مجلسها ليحقق النجاح للصحفيين من أتباعه .

وشن حرباً على نقابة المحامين بسبب مواقفها من القضايا القومية الوطنية ومعارضتها للقوانين الاستثنائية ، وحل مجلس النقابة المنتخب وعين مجلساً مؤقتاً .

ومهدت المقدمات للنتائج بداية من ١٩٧١ فعندما اكتشف السادات ان الاتحاد الاشتراكى قد بدأ يمارس العمل السياسى ممارسة ديمقراطية ، لجأ الى مبدأ التعيين بدلاً من الانتخاب وعين سيد مرعى محل الزيات الذى انتخب سكرتيراً للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى فى يوليو سنة ١٩٧١ ، وعين بعد سيد مرعى جافظ غانم ، ثم رفعت المحجوب ، ثم مصطفى خليل لينهى به على الاتحاد الاشتراكى اسماً ومسمى .

هذا هو الانطباع الاول أما عن الانطباع الثانى الذى خرجت به من هذا الاجتماع العمالى فهو الموقف الصلب القوى الذى وقفه اتحاد عمال مصر وهيئة مكتبه واللجنة التنفيذية والقيادات العمالية من اعضاء مجلس الشعب واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ورؤساء النقابات العامة . هذا الموقف الذى برزت فيه وحده القوى العاملة فى مصر ، والذى حمل السادات على شن حملة عاتية على اتحاد العمال ثم الاجهاز عليه بعد ذلك بسنة او سنتين .

واذا كنت ذكرت من هذه القيادات عبد العظيم المغربى ، فأننى لايمكن ان انسى احمد رفاعى نائب رئيس اتحاد عمال فى ذلك الحين ، وابراهيم خليفة سكرتير العلاقات الخارجية ، ومحمد عبده جمعة سكرتير الاتحادات المحلية ، وغيرهم كثيرون ، جمعتنى بهم مناسبات كثيرة وانا سكرتير للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، فكانوا فى احلك الساعات واطلمها هم الامل فى غد

افضل واذا كانت قوى البغى والطغيان قد حالت بينهم وبين اداء
دورهم فى تنمية الروح النقابية وتعميقها سياسيا واقتصاديا
واجتماعيا ، فانى اكتب قصة هؤلاء والامل فى المستقبل
لايفارقنى .





في اول لقاء مع جولدا مائير . قالت للسادات : كنت أنتظر هذا اليوم '

الفصل الخامس

بداية التفكير في اللجوء الى اسرائيل

تفجرت كراهية السادات المريرة للسوفيت بعد ان تولى السلطة ،
وقد عاش قبل ذلك يتظاهر بعكس ذلك تماما ، دأبه في اخفاء كل
مشاعره ونواياه . وكان يشعر في قرارة نفسه بان السوفيت يبادلونه
مشاعر الكراهية ، لسبب كان يعرفه شخصيا ، ويشك في انهم
يعرفوه ، ولم يكن احد في مصر يعرف هذا السبب حتى بدأ يتسرب الى
مصر والعالم في الآونة الاخيرة . كان يطلق على السوفيت دائما من
باب التهمك « أصدقاءنا السوفيت »

وكان السادات ، فيما يعرف الآن ، يعول في الاحتفاظ بسلطته
وسلطانه على أمريكا ، لكن أصدقاءه الامريكان « لم يعولوا كثيرا
على امكانية استمراره في حكم مصر ، وعاد مندوبيهم في تشييع جنازة
عبد الناصر ، ليؤكد للمسئولين في واشنطن ، ان بقاء السادات في
الحكم لن يدوم طويلا .

واعلن السادات عن مبادرته بفتح قناة السويس في ٤ فبراير سنة
١٩٧١ كبادرة لفتح صفحة جديدة مع اسرائيل وبالتالي مع أمريكا ،
واستقبل روجرز وزير خارجية امريكا في ٤ مايو ١٩٧١ ، وكان
يصحب روجرز ساوشيسكو الذي كلف بالتوجه الى اسرائيل لجس
النبض ، حول ما وصلت اليه محادثات السادات - روجرز ، ثم قام
السادات بما سمي بحركة التصحيح في الرابع عشر من نفس
الشهر ، أي بعد اقل من عشرة ايام من زيارة روجرز ، ولا يمكن الان
ويعد ما توفر من معلومات تجاه الارتباط بين الحدثين الاخيرين .
وانتظر السادات عودة سيسكو ، بعد جس نبض اسرائيل ، ولم
يعد سيسكو ، والسادات يسأل يوميا في هذا الصيف الغائم ، عن

اخبار من اصدقائنا الامريكان ، وما من اخبار ترد من اصدقائه
الامريكان ، ولم يكن صيف ١٩٧١ قطعاً بالصيف المريح بالنسبة
للسادات الذي يلتبس المساندة الامريكية فلا يجدها ، خاصة وقد
التزم « أصدقاءنا السوفيت » الصمت بدورهم ، وكان لابد من
التفكير في طريق ما ، طريق يحمل امريكا على مزيد من المساندة ،
ولا يغضبهم في نفس الحين ، طريق يفسد نبوة المندوب الامريكي
الذي اشترك في جنازة عبد الناصر والذي تنبأ بأن حكم السادات لن
يستمر طويلاً .

وفي اواخر صيف ١٩٧١ ولا اخبار ترد من هذه الجهة ، او تلك ،
قال لي السادات ، وهو يجلس جلسة الاسترخاء المعتادة في
استراحة القناطر .
— لابد من التفكير في طريق اخر غير طريق الاعتماد على امريكا او على
السوفيت ...

وتنبهت حواسي وانا أسأل وما هو هذا الطريق وصمت السادات
لحظة وقال : — نحولها الى حرب تحرير ولم يكمل كلامه .. وادركت
انه تجاشى الاجابة ، وانه كان على وشك ان يقول شيئاً خطيراً ولم
يقله ، لانه غير مجرى الحديث مباشرة ، ولكن لم يخطر في بالي قط ان
الطريق الذي عناه ، هو طريق اللجوء الى اسرائيل مباشرة .

لم يكن السادات قط مؤهلاً لقيادة حرب تحرير ، وهو الذي منع
اي تدريب عسكري جدي للشباب في الجامعات او في المصانع ، وهو
الذي كان يقاوم بكل شدة اي تفكير او اي حديث عن الحرب
الشعبية ، بدعوى ان ارض مصر تختلف عن ارض فيتنام وأن
ظروف مصر تختلف عن ظروف فيتنام ، وكان الشعب المصري
يتغنى في ذلك الحين بالحرب التي خاضها شعب فيتنام ضد القوات
الامريكية .

ومع تتابع الاحداث اشعر الآن بأن السادات كان يعنى بالطريق
الأخر : الاتصال المباشر باسرائيل .

وقد كان من الطبيعي والمنطقي وقد بدأت توجهات السادات الى امريكا باعتبارها التي تملك وحدها الحل ، وربط نفسه بتوجهات اقطاب الاستراتيجية الامريكية في المنطقة - السعودية والمغرب وايران - ان يتجه نظره الى القطب المتميز للاستراتيجية الامريكية في المنطقة : اسرائيل .

ويقول بورشجريف كبير محرري النيوزويك في حديث نشرته له « النهار العربي والدولي » في ١٠ ديسمبر ١٩٧٧ « تحت » عنوان الرئيس السادات كان يفكر منذ ١٩٧٢ في الاتصال بالاسرائيليين . في فبراير من ذلك العام قال لى السادات انه يفكر ان في طريقة للتحرر من سيطرة الدولتين الكبيرتين : والسعى الى تحقيق السلام بعيدا عن تأثيرهما او نفوذهما المباشر . وقال لى ايضا « يجب بدء حوار مباشر مع العدو » ولكن طلب منى الا انشر ذلك في « نيوزويك » .

ويتبين من هذا ان فكرة اتصال السادات بالعدوليست جديدة بل قديمة وتعود الى ما قبل حرب اكتوبر ، وأنه أباح بها الى صحفى امريكى معروف ، غير بعيد عن الأوساط الرسمية الامريكية . واذا كان الصحفى الامريكى لم ينشر الخبر حسب تعهده للسادات في ذلك الحين الا انه من المؤكد انه اعلم حكومة بلاده او احد اجهزتها برغبة السادات بل ان السادات ما اخبره ذلك الا لتسريب الخبر للدوائر الامريكية .

واذا كان السادات قد عذا تفكيره في الاتصال بالعدو الى رغبته في التحرر من سيطرة الدولتين الكبيرتين فقد قادتة خطاه ، واضعا أمنه الاستراتيجى فوق اى اعتبار ، قادتة خطاه الى زيارة القدس ، والى مصالحة العدو ولكن مع تحقيق سيطرة أمريكية إسرائيلية مشتركة على كل مقدرات البلاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية .

وإذا كان السادات قد أسر - « بورشجريف » كبير محرري « النيوزويك » بأنه كان يفكر منذ ١٩٧٢ في الحوار المباشر مع العدو ، فإننى أستطيع ان أوكد ان هذه الفكرة بدأت تراوده منذ سنة ١٩٧١ وانها كادت تأخذ خطوات فعلية في اوائل ١٩٧٢ .. بوساطة شاوشيسكورئيس رومانيا .

وشاوشيسكورئيس رومانيا هو رئيس الدولة الاشتراكية الوحيدة التى ابقت على علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل فى اعقاب عدوان ١٩٦٧ ، بل ورفعتها الى درجة سفارة ، وفكرته عن الاتصال المباشر والمفاوضات المباشرة ، بعيدا عن تأثير القوتين العظميين فكرة قديمة . واذكر اننى زرت رومانيا على رأس وفد من الاتحاد الاشتراكي فى ١٩٦٩ للاشتراك فى مؤتمر الحزب الشيوعى وكان معى مصطفى الجندى ، واجتمعت انا ومصطفى الجندى الذى كان عضوا فى اللجنة المركزية وعضوا فى مجلس الامة وامينا للاتحاد الاشتراكي فى محافظة الغربية (وهو الان عضو فى مجلس الشعب) - اجتمعنا . مع شاوشيسكو ما يقرب من الساعتين وكان محور الحديث حول فكرته عن الاتصال المباشر بين مصر واسرائيل . وطلب منى ان انقل عنه رسالة شفوية الى عبد الناصر بمضمون الحديث الذى يجرى بيننا ووعدته بذلك وأكدت له فى الوقت ذاته موقف عبد الناصر المبدئى من المفاوضات المباشرة . وأذكر ان عبد الناصر لم ير داعيا فى ذلك الحين للرد على شاوشيسكو ولا مناقشة اقتراحاته وقال لى وانا اعرض هذه الرسالة انه سبق لشاوشيسكو ان ارسل مبعوثا الى مصر لمقابلة الرئيس عبد الناصر وهو ماكوفسكى جروجيو نائب وزير الخارجية (رومانيا) ونقل اليه رأى شاوشيسكو حول الاتصال المباشر بين مصر واسرائيل وكان ذلك فى يونيو ١٩٦٨ وان عبد الناصر استمع اليه مطولا ثم قال له « الذى اريده منك ان تحصل عليه من الاسرائيليين هو خريطة تحدد افكارها عن الحدود النهائية التى يجب ان تكون

عليها اسرائيل » ولم يسمع من شاوشيسكو شيئاً بعد ذلك .
وقد أورد محمد حسنين هيكل هذه الواقعة ايضاً في كتابه
« الطريق الى رمضان » (ص ٦٠ من النسخة الانجليزية)
ثم جاء شاوشيسكو لزيارة مصر زيارة رسمية في بداية ١٩٧٢
ودارت بينه وبين السادات محادثات مطولة تركزت - كما علمت بعد
ذلك - حول الاتصال المباشر بين مصر واسرائيل على اساس انه
ليس من مصلحة اى من القوتين حل هذه القضية ..
كنت خلال هذه الزيارة نائباً لرئيس الوزراء ونظراً لعلاقتى
السابقة مع شاوشيسكو ، فقد نقل سفيره في مصر رغبته في ان اكون
مرافقاً له في هذه الزيارة

وقد اضطرتنى الظروف الى الاعتذار ، نظراً لأنه تصادف ان توفى
زوج اختى واخى وصديقى الدكتور محمد على الخفيف فى اليوم الذى
تحدد لوصول شاوشيسكو الى القاهرة واختير ممدوح سالم وزيراً
لداخلىة فى ذلك الحين لمرافقة الضيف بدلاً عنى .

وقد زرته فى قصر الضيافة قبل عودته الى رومانيا لاشكره على
تعزيتته لى ، وأعبر عن أسفى للظروف التى حالت بينى وبين
مرافقته . ذكرنى بالحديث الذى جرى بيننا فى بوخارست ، ثم قال
انه سعيد بالمحادثات التى اجراها مع السادات ، وانهما وصلا الى
تفاهم واتفاق كامل فى وجهات النظر ، وانه يعود الى بلاده . وهو
واثق بأن ازمة الشرق الأوسط ستتحرك نحو الحل ، وبلاسلوب
والطريق الصحيح ، وعبر عن سعادته بأن السادات يشاركه فى
الكثير من آرائه حتى تكاد تكون الآراء متطابقة .

لم يكن هناك مجال للدخول فى تفاصيل اكثر ، ولم اعلم اكثر من
هذا لأن خطوط الاتصال بينى وبين السادات فى ذلك الحين لم تكن
تسمح لى بسؤاله عن اية تفاصيل .

الا ان جولدا مائير رئيس وزراء اسرائيل في ذلك الحين تكشف في كتابها وعنوانه « حياتى » Mylife الذى صدر في ١٩٧٥ عن طبعة الاتفاق الذى تم بين السادات وشاوشيسكو في ١٩٧٢ . تقول جولدا مائير في صفحة ٤٠ من هذا الكتاب انه في بداية ١٩٧٢ قدم مساعد وزير خارجية رومانيا الى اسرائيل في زيارة لها ، كان ظاهرها الاجتماع بالمسؤولين في وزارة الخارجية الاسرائيلية ، ولكن كان له طلب واحد وهو ان يرانى ، وأكد على رغبته في ان يرانى ، والا يحضر احد مخدثاتنا .

وبعد ان تحدثت جولدا مائير عن العلاقات الطيبة التى تربط اسرائيل برومانيا ، الدولة الاشتراكية الوحيدة التى ابقت على علاقاتها باسرائيل ، وعن تقديرها لشخصية شاوشيسكو وعن رغبته في تحقيق تسوية سلمية لمشكلة الشرق الأوسط مضت الى القول : - اخطرني مساعد وزير الخارجية (الرومانى) بعد ان قابلنى على انفراد انه في الواقع قد قدم الى اسرائيل فقط لينقل الى الأتى : « لقد ارسلنى رئيسى لخطركم انه عندما زار مصر اخيرا تقابل مع الرئيس السادات ، وانه كنتيجة لهذه المقابلة فان رئيسنا يبعث لكم برسالة غاية في الاهمية ، وكانت رغبته ان يبلغ هذه الرسالة لكم بنفسه ولكن كان ذلك غير ممكن (وكان شاوشيسكو يزعم السفر الى الصين) فانه يقترح ان تأتوا الى بوخارست في زيارة سرية واذا فضلتم فاننا سنكون سعداء ان نبعث لكم بدعوة رسمية ..

وتقول جولدا مائير انها قامت بزيارة بوخارست بعد ذلك بفترة قصيرة ، وقد امضت ١٤ ساعة (في اجتماعين طويلين) مع شاوشيسكو الذى قال لها انه فهم من السادات نفسه انه على استعداد للقاء اسرائيلي وقد يكون اللقاء معى (اى مع جولدا مائير) وقد لا يكون الاجتماع معى ، ويمكن ان يكون الاجتماع على مستوى اقل من رؤساء الدول ، ولكن اجتماعا من هذا النوع يمكن ان يتم .

وتضيف جولد مائير : وقلت لشاوشيسكو ، السيد الرئيس
هذه افضل انباء سمعتها منذ سنين كثيرة » ..

وتحدثنا لساعات طويلة حول هذا الموضوع وكان شاوشيسكو
مشدودا كما كنت ايضا . ولم يكن هناك شك في تفكيره ، انه كان
ينقل رسالة تاريخية وذات ذكاء مطلق ، وقد تحدث معى حتى عن
التفصيلات وقال :

لن نعمل عن طريق سفراء أو وزراء خارجية وليس انا ولا
أنت ..

وواضح مما كتبته جولدا مائير ان السادات منذ أوائل ١٩٧٢
وافق شاوشيسكو على اجراء اتصالات سرية مع اسرائيل حتى على
اعلى المستويات ، اى بين السادات وجولدا مائير ، وان تكون
رومانيا هى الوسيط بين الاثنين .

واذا كانت مثل هذا الاتصالات لم تتم فى ١٩٧٢ ، فقد حدثنى
صحفى رومانى ، وهو من الشخصيات المقربة الى شاوشيسكو
مؤخرا عن كتاب يعده عن المساعى الرومانية من أجل السلام فى
منطقة الشرق الاوسط قال لى هذا الصحفى ان السادات فى زيارته
للسعودية فى اغقاب هذا الاتفاق مع شاوشيسكو أثار عرضا لمثل هذه
الفكرة ، وانه وجد معارضة قوية لها من الملك فيصل الذى حذر من
مثل هذا اللقاء ، ومن اثاره على الموقف العربى كله ، وعلى القضية
برمتها .

ويتأكد هذا القول من الصحفى الرومانى بما ورد فى كتاب
اسماعيل فهمى وزير الخارجية الأسبق . « التفاوض من أجل
السلام فى الشرق الأوسط » عن واقعة لاحقة ومماثلة وهى تتعلّق
بزيارة القدس فيقول ان السادات قد ابلغه فجأة وهما فى زيارة
رومانيا التى بدأت فى ٢٨ اكتوبر ١٩٧٧ عن فكرته فى الذهاب الى
القدس . يقول اسماعيل فهمى كنا فى رومانيا فى قصر الضيافة

عندما بدأ السادات وهو مازال في ملابس النوم يناقشني هذه الفكرة ولم تكن نظير فوق تركيا متجهين الى ايران او نعبر الجبال .. كما قال السادات في مناسبات أو في كتابه البحث عن الذات .. أو ما قاله السادات لديان ان الفكرة تبادرت الى ذهنه بطريقة روحانية بينما كان يطير فوق السحاب .. فقد اراد تغليف مبادرته المزعومة بهالة من الغموض .. (ص ٢٨٤) .

ويسترسل اسماعيل فهمي في تكذيب كل هذه الارهاصات فيقول .. وفي إستراحتي الخاصة وجدت « اسامه الباز » مدير مكتبي والدكتور محمد البرادعي وهو مستشار قانوني في وزارة الخارجية ينتظراني بفارغ الصبر ، وبعد ان استرحت قليلا قصصت عليهما شيئا فشيئا ما سمعت به من الرئيس السادات . وما انتهيت حتى انفجر أسامه الباز قائلاً هذا جنون ، ولا شك ان الرجل غير متزن .. لابد من منع ذهابه الى القدس حتى لو استعملنا القوة (ص ٢٩٠) .

ولم يختلف اعتراض البرادعي بالنسبة لفكرة السادات عن موقف الباز ، ولكنه لم يعبر عن رأيه بنفس العنف ثم توجه الدكتور البرادعي فجأة الى اسامة قائلاً ماذا تفعل لو اصر السادات على رأيه هل تذهب معه ؟ ولكن اجابه الباز كانت واضحة كل الوضوح « لن اذهب الى القدس الا جثه هامة » (ص ٣٩١) .

ونصل بعد ذلك الى النقطة التي نقلتنا الى هذا الحديث : فيقول اسماعيل فهمي إنه بعد زيارة رومانيا اتجهنا الى ايران ومنها الى الرياض .. وفي اليوم التالي لحضورنا الى الرياض قلت للرئيس السادات .. مارأيك في اجتماع مع الملك خالد والامير فهد لتجلس معهما وانت ياسيادة الرئيس تخبرهما بنفسك عن فكرتك في الذهاب الى القدس دون ان تطلب تأييدهما أو التزامهما بما سوف نقوم به في النهاية .

ويقول اسماعيل فهمي كنت ارجو ان يكون رد فعل السعوديين

لهذه المبادرة عنيفا الى درجة تمنعه منعاً باتاً ونهائياً وتحتّم عليه
العدول عن رأيه . رفض السادات وقال « انهم ليسوا بالمستوى
الذهنى ليفهموا او يتفهموا هذه التحركات » (ص ٣٩١ و
٣٩٢) .

والأمر الذى لا يعرفه اسماعيل فهمى ان السادات كان يعرف
مقدما موقف السعودية وهو نفس الموقف الذى عبر عنه الملك
فيصل عندما عرض عليه فكرة الاتصال المباشر بين مصر واسرائيل
في بداية ١٩٧٢ .

على ان فكرة الاتصال الشخصى باسرائيل وفكرة اللقاء على اعلى
المستويات التى بدأ تفكير السادات فيها منذ ١٩٧١ وخلال ١٩٧٢
ظلت تملك عليه فكره حتى اتخذ قراره بزيارة القدس في نوفمبر
١٩٧٧ .

فزيارة القدس لم تكن من وحي الخاطر او الهاما نزل على
السادات وهو على متن الطائرة التى نقلته من رومانيا الى ايران بعد
محادثاته مع شاوشيسكو كما يقول السادات في كتابه « البحث عن
الذات » ولكن سبقتها ومهدت لها اتصالات واجتماعات بين
شخصيات رسمية مصرية وشخصيات اسرائيلية بترتيب وتنسيق
بين المخابرات المركزية الامريكية والموساد (المخابرات
الاسرائيلية) .

ويكشف « فيليب ايجى » الموظف السابق في المخابرات
المركزية الامريكية والذى قطع علاقاته بها في عام ١٩٧٤ في
مذكراته عن عمله في المخابرات الامريكية عن دور هذه المخابرات في
الاتصالات المصرية الاسرائيلية التى سبقت هذه الزيارة ومهدت لها
ولما تلاها من اتفاقيات فيقول :

« في تلك الاعوام كان هناك في وكالة المخابرات المركزية قسم خاص
سرى للغاية (للتنسيق بين المخابرات المركزية والموساد -

المخابرات الاسرائيلية) وكان يرأس هذا القسم جيمس بيزوس انجلتون الذى ظل فى هذا المنصب حتى ١٩٧٤ واستقال بعد ذلك نتيجة للفضائح المرتبطة بمشاركته فى الاطاحة بحكومة سلفادور اليندى فى تشيلي ثم يقول : ولم يمر ذلك الحدث الهام مثل صفقة كامب ديفيد والتمهيد لها دون اشتراك هذا القسم الخاص فقد نظمت الموساد (المخابرات الاسرائيلية) لقاء سريا بين بيجين ورئيس مجلس الشعب المصرى سيد مرعى بحث خلاله مسألة « المصالحة » المحتملة بين مصر واسرائيل ، ثم شارك فى هذه العملية موسى ديان وزير خارجية اسرائيل بالاجتماعات السرية التى عقدها مع حسن التهامى مستشار الرئيس السادات فى مدينة طنجة (وقد اصبح امر هذه الاجتماعات التى جرت تحت إشراف ملك المغرب معروفة للجميع وهى التى يطلق عليها اجتماعات ١٦ ايلول - سبتمبر ١٩٧٧ .) «

ثم يقول فيليب ايجى انه فى ١٧ أيلول - سبتمبر طار ديان من طنجة الى باريس ومنها الى تل ابيب حيث اجرى محادثات مع بيجين وفى ١٨ أيلول (سبتمبر) التقى ديان وهو فى طريقه الى نيويورك واثناء توقف الطائرة فى زيورخ بواسطة عملاء المخابرات الاسرائيلية مع مبعوث من القاهرة وسلمه جواب بيجين . ويؤكد الكاتب الاسرائيلى « رفائيل اسرايلى » وهو يعمل استاذاً فى الجامعة العبرية فى القدس وسبق له ان عمل استاذاً فى جامعة هارفارد الامريكية وله العديد من الكتب والمقالات عن الشرق الأوسط - يؤكد ما قاله رجل المخابرات الامريكى عن الاجتماع الذى تم بين سيد مرعى رئيس مجلس الشعب المصرى وبيجين فيقول : منذ تأليف بيجين الحكومة الاسرائيلية بدأ السادات يجرى اتصالات سرية مع جهات أوروبية وشخصيات يهودية امريكية لمعرفة ما اذا كان « بيجين » مستعدا لعقد صفقة سلام مع مصر . ويستطرد الكاتب الاسرائيلى الى القول انه حدث اول اتصال لم

يكشف عنه حتى الآن بسرعة ، ففي اغسطس قام بيجين « بزيارة لرومانيا تلبية لدعوة من شاوشيسكو وعلم السادات بأمر هذه الدعوة فاوفد « سيد مرعى » رئيس مجلس الشعب في ذلك الحين الى بوخارست للاستماع الى اراء بيجين « وهذا الاتصال الأول مهد الطريق امام الاتصالات المصرية الاسرائيلية الاخرى وابرزها الاتصال بين موشى ديان وحسن التهامي .

ويقول كسينجر في كتابه (سنوات في البيت الابيض) انه بعد اتفاق فك الاشتباك الاول في ١٧ يناير ١٩٧٤ كتب السادات خطابا رقيقا الى جولدا مائير يعبر فيه عن جدية رغبته في السلام مع اسرائيل وان جولدا مائير قد ردت عليه بخطاب مماثل وردد كسينجر بعض فقرات من الخطابين .

واذا كانت عبارات سنه الحسم واوراق اللعبة و ٩٩٪ من الحل في يد امريكا مصدرها امريكي كما اشرنا في مكان اخر كما ان عبارات الحاجز النفسى وتحريك القضية وتسخين الجبهة الأمريكية ايضا فان زيارة القدس كانت احياء امريكا مهما حاول السادات ان ينفى عنها هذه الصفة ، في كتاب « البحث عن الذات » فهو يقول في الكتاب نفسه في ص ٣١٥ ما يأتى :

قبل المبادرة « زيارة القدس في نوفمبر ١٩٧٧ » بشهرين تقريبا فوجئت برسالة من السفارة المصرية في واشنطن تقول انها تسلمت خطابا خاصا للرئيس السادات من الرئيس كارتر وانه مكتوب بخط اليد ومختوم بالشمع الأحمر .

فقلت لهم ارسلوه ، ولكن السفارة لم ترسله في الحقيقة الدبلوماسية بل اصرت على ارساله مع مندوب خاص ، قرأت هذا الخطاب الذى لا يعلم احد عنه شيئا ويخيل الى ان احدا لن يعلم عنه شيئا في المستقبل ، ثم كتبت الرد عليه بنفس الطريقة ، اى بخط اليد ، ووضعت عليه الشمع الأحمر وسلمته لنفس المبعوث الذى سافر به وسلمه للرئيس كارتر شخصيا (ص ٣١٥) .

ويمضى الى القول :

ولكن رغم ان هذا الخطاب كان خطابا شخسيا لا يمكننى ان افصح عن محتوياته ... فهو يمثل في الحقيقة بدء التفكير في المبادرة التى حدثت بعد ذلك بشهرين (ص ٢١٦) .

وحديث كتاب البحث عن الذات عن مبادرة القدس ونشأتها ومنشأها يحمل تناقضا كبيرا فهو إذ ينفى ان كارتر هو الذى اوصاه بهذه الزيارة ، يصر على عدم الافصاح عما تضمنته رسالة كارتر السرية ، ثم يشير الى انه عقب تسلمه لهذه الرسالة قام بزيارة الى رومانيا وايران (ص ٣٢٠) وشاوشيسكورئيس رومانيا صاحب الفكرة والداعى لها وشاه ايران هو المبارك والمؤيد لها .. وتؤكد روزالين كارتر - زوجة الرئيس السابق جيمى كارتر ، فى كتابها (السيدة الأولى من السهول) ان السادات قام بزيارة القدس استجابة لرسالة من كارتر فى نوفمبر ٧٧ وحتى خطاب السادات فى الكنيسة الاسرائيلى يكشف عن تأثره الواضح بالايحاء الأمريكى فقد قال فى هذا الخطاب ان ٧٠٪ من الصراع العربى الاسرائيلى مشكلة نفسية و ٣٠٪ تمثل الجوهر . ويكشف « فانس » وزير الخارجية الأمريكى بعد انقضاء نحو اسبوعين على زيارة السادات للقدس انه هو صاحب الفكرة اذ قال فى تصريح له فى ١٩٧٧/١٢/٧ :

« ان ازالة الحواجز النفسية هى حدث تاريخى ، وقد سبق وقلت فى الماضى ان العقبة الاساسية نحو السلام هى الحاجز النفسى الذى بقى حتى بعد ما بدأت الأطراف فى المفاوضات الجدية المباشرة ، واعتقد انه بعد الخطوات التى تمت من خلال زيارة الرئيس السادات للقدس ، والاستقبال الذى لقيه من الشعب الاسرائيلى ورئيس الوزراء بيجين ، تحطمت هذه الحواجز »

وأعود الى القول ان البدايات التى حملها الجزء الثانى من عام ١٩٧١ وبدايات عام ١٩٧٢ تنبىء عن الخواتم التى انتهينا اليها

ابتداء باتفاق فصل القوات الاول في ١٧ يناير ١٩٧٤ ، واتصالا بالاتفاق الثاني في اول سبتمبر ١٩٧٥ ، ثم زيارة القدس في ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ثم اتفاقيات كامب ديفيد في ١٧ سبتمبر وانتهاء بمعاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية وملحقاتها التي لا حصر لها في ٢٦ مارس ١٩٧١ .

بدأ السادات مع ١٩٧١ يجعل وجهته لدى امريكا ، ويربط نفسه بكل اقطاب الاستراتيجية الامريكية في المنطقة ، ويعيد تشكيل علاقات مصر الاقتصادية الدولية ويمهد لربط الاقتصاد المصري بعجلة السوق الرأسمالية العالمية ، تقربا واسترضاء واملا في الحظوة لدى امريكا .

وينتهي السادات ، بداية من نهاية ١٩٧٣ ، وبعد الحرب المجيدة التي خاضتها قواتنا المسلحة الباسلة في أكتوبر ، الى القبول كاملا بالحل الامريكي .

ففي ديسمبر ١٩٧٣ بعد أن بدأ كسينجر رحلاته المكوكية لفض الاشتباك الاول وتعثرت المفاوضات في هذا الشأن يسأل كسينجر السادات : هل تقبل عرضا امريكيا .

وبسرعة وبلا ادنى تفكير يكشف السادات عن ترقبه المتلهف لمثل هذا العرض ، فيرحب بكل سرور ، بعد ان قال لكسينجر لقد جاء دوركم انتم فحلوا الموقف انتم بأنفسكم (ص ٢٠٧ من البحث عن الذات) .

وكان هذا رايه طوال حياته ، يلقي بالمشكل على غيره لعلها ليتباهى بعد ذلك بأنه رجل استراتيجي ليس من شأنه أن يدخل في التفاصيل ويكشف ابا اييان وزير الخارجية الاسرائيلي وهو يتحدث عن فك الاشتباك الأول في كتابه السيرة الذاتية - Auto - Biograpy الذي كتب في ١٩٧٧ وطبع في لندن في ١٩٧٨ عن المدى الذي

وصل اليه السادات في الاستجابة لما يطلبه كسينجر وزير خارجية امريكا (الوكيل المعتمد لاسرائيل) .

يقول ابا اييان في ص ٥٦٠ من كتابه :

في الأسبوع الثالث من يناير ١٩٧٤ ضاقت الخلافات ، فقد وصلنا الى عمق الانسحاب الاسرائيلي من غرب القناة ، وعن بعض المواقع في الشرق ، وتم الاتفاق على ان توضع المنطقة ، المنزوعة السلاح ، بين الجيشين تحت اشراف الأمم المتحدة .

وبقيت نقطة بلا حل وهي تخفيض القوات .. وكان الامر يتعلق الى اى مدى يكون السادات على استعداد لتخفيض قواته في سيناء ..

وقد عشنا اياما صعبة اكد فيها كسينجر انه لن يستطيع مطلقا حمل مصر على ان تتنازل عن بقاء عدد من الدبابات اقل من ٢٥٠ دبابة ..

ولكن عندما عاد تلك الليلة قال لى فى المطار ان مصر لن تحتفظ باكثر من ٣٢ دبابة فى سيناء .

ويقول ابا اييان : كان من الصعب على ان اصدق اذنى .. كيف اقنع كسينجر السادات ان تخفض مصر قوة دباباتها فى سيناء من ٧٠٠ دبابة الى هذا العدد (٣٢ دبابة) وعدد افراد قواتها المسلحة من ٧٠,٠٠٠ الى ٧٥٠٠ ، مع تخفيض مستجاب لما طلبه كسينجر فى الصواريخ وفى الاسلحة الاخرى . ويمضى ابا اييان قائلا :

وهذا يعنى فى الواقع ان كسينجر قد حقق نزعا جوهريا فى السلام للمناطق التى حصلت عليها مصر فى حرب يوم العصور (حرب اكتوبر)

ويشير ابا اييان الى أهمية هذا القرار وخطورته فيقول :

كان هذا القرار من السادات هو الذى افضى بى للمرة الاولى الى الاعتقاد ، بأن تغييرا جوهريا فى الاتجاه قد اخذ مكانه فى السياسة

المصرية .

... وفي ٢٨ يناير اعلنت موافقة اسرائيل ، واعلن السادات ذلك في الاسكندرية ونيكسون في واشنطن ، وفي اليوم التالي رافقت كسينجر من القدس الى مطار اللد في قطار ، بسبب الثلوج التي منعت المرور في الطرق ، وقد اعطى هذا لنا فرصة للتحدث طويلا ... وكان كسينجر يشعر شعور الواصل ، ان مصر قد اخذت طريقا جديدا في اتجاهها الدولي .. فقد قرر السادات ان ينفذ يده من الاعتماد على الاتحاد السوفيتي ، الى علاقات اكثر قربا واعتمادا وارتباطا بالولايات المتحدة .. وهذا سيكون له اثره في اعتدال موقف مصر بالنسبة لاسرائيل .

كان هذا يعنى ايضا ان السادات اصبح على استعداد لان يستبعد وينفذ يديه من المتطرفين العرب امتدادا من بغداد الى طرابلس ..

ورغم ان إتفاقيته مع سوريا لم يكن عليها في احكام اتفاقية الفصل مع مصر ، فانه كان من المفهوم من السادات انه لا يستطيع ان يظل طويلا معزولا ، باعتباره الرئيس العربى الوحيد الذى دخل في علاقات تعاقدية مع اسرائيل ..

(ص ٥٦٠ وما بعدها اباايبان - السيرة الذاتية) .
ويؤكد اسماعيل فهمي في كتابه « التفاوض من اجل السلام في الشرق الأوسط » ما أورده اباايبان في كتابه السيرة الذاتية فيقول :
خلال المراحل النهائية من مفاوضات اول اتفاق لفك الاشتباك عقد كسينجر اجتماعا منفصلا مع السادات ، وعقب الاجتماع كنا - كسينجر وانا - نستقل سيارة عندما ربت كسينجر على صدره بفخر وشعور بالانتصار وقال « اسماعيل ، انه هنا ولا يستطيع احد الغاء هذا الآن » قاصدا ان الاتفاق قد تم بينه وبين السادات ولا رجعة فيه وانه في جيبيه . وكان السادات قد وافق فجأة على قصر الوجود العسكرى المصرى على الجانب الشرقى للقناة على ٧٠٠٠

رجل و ٣٠ دبابة وبهذا أدهش السادات الجميع بما فيهم كسينجر والإسرائيليين . وفي الواقع كان كسينجر يقول طوال الوقت ان السادات لن يرضى فيما هو مرجح بأقل من ٢٥٠ دبابة (ص ١١٦ و ١١٧) .

والجديد الذي يضيفه اسماعيل فهمى انه خلال اجتماع الجانب المصرى الأمريكى تمهيدا لاعلان الاتفاق والذى اراد السادات ان يعقد لاعلانه مؤتمرا صحفيا احتفالا بكل ضجيج الصور .. انزعج الفريق الجسمى عندما اطلع على هذا الاتفاق الذى لم يؤخذ رأيه فيه ، وشعر ان شرفه وشرف الجيش المصرى قد تعرضا لاذلال شديد فأغرورقت عيناه بالدموع ونهض على الفور من مقعده وتراجع الى ركن قصى فى القاعة وبدأ يبكى . وشاهد الجميع الفريق الجسمى وبدأوا يتململون . وتأثرت مشاعر الوفد المصرى الذى كان يشعر بنفس شعور الجسمى وكان يمكن ان يرى المرء بسهولة على وجوه الوفد الأمريكى انهم ايضا شعروا بالظلم الذى وقع على مصر .. (ص ١١٧) وينتهى اسماعيل فهمى الى القول بأنه كان فى امكان اسرائيل حينئذ ان تزعم انها اعادت الوضع الى ماكان عليه تقريبا قبل العمليات العسكرية التى بدأت فى السادس من اكتوبر ١٩٧٣ (ص ١١٧) وان السادات قبل ماكان فى الواقع يعتبر عودة الى الوضع السابق للحرب (ص ١٢٥) .

وهكذا سارت المفاوضات مع امريكا واسرائيل فى كل مراحلها ، من فك الاشتباك الأول الى فك الاشتباك الثانى ، الى اتفاقيات كامب ديفيد ، الى معاهدة الصلح المنفرد مع اسرائيل .

اسرائيل تتصلب وتتعنّت فى مطالبها ، وتتدخل امريكا بصياغات واقتراحات قد تختلف فى الشكل عما تطلبه اسرائيل ، ولكنها لا تختلف فى المضمون ، والسادات يقبل الصيغ والاقتراحات الجديدة التى تقدمت بها روح « الفروسية الأمريكية » (وهو الوصف الذى اطلقه السادات على السياسة الأمريكية فى كتاب

البحث عن الذات) وفيها الاستجابة الكاملة لما تطلبه اسرائيل .
ترك السادات كل شيء في يد امريكا ليؤكد لها أنه أصبح جديرا
بان تخلع عليه « عباءة الأمن الاستراتيجي » .
وتصف مجلة التايم الأمريكية في عددها الصادر في ٢٥ ديسمبر
١٩٧٨ ، على اثر تعثر توقيع اتفاق الصلح المنفرد بين مصر
واسرائيل ، تصف هذا الموقف أو الانفراط والتعارض بين مصر
واسرائيل بأنه مجرد مسألة شكلية بحتة وتمضى المجلة في وصف
شريط المفاوضات فتقول :

انه لطالما حصل هذا التعثر الا ان المصريين والاسرائيليين ،
كانوا بمساعدة الولايات المتحدة ، يعودون فيخرجون من القبعة
ارنبا كما يفعل السحرة ... وتنجح المفاوضات .
وكان لابد ان تنجح المفاوضات ، لانها قامت من جانب السادات
على اساس الاسترضاء والامل بالخطوة والقبول بما تطلبه امريكا ،
وليس هناك من مانع من اثارة تظاهره بين الحين والآخر ، عن خلاف
او انقطاع في سير المحادثات ، او توقفها او تعثرها ، أو عن تصلب
الجانب الاسرائيلي وتأييد امريكا للموقف المصري ، كل ذلك مقبول
ومطلوب لجعل « الطبخة الامريكية » اكثر قبولا وتقبلا ..





الفصل السادس

الدستور الدائم وحقيقة ديمقراطية السادات

كلفت مع الأمانة العامة للجنة المركزية بمراجعة المبادئ الخاصة بالدستور الدائم التي كانت قد أعدتها اللجان التي شكلها مجلس الأمة ، والمناقشات التي جرت حولها في لجان المؤتمر القومي العام ، وذلك لاعداد صياغة مشروع الدستور الدائم ، ملتزم بالمبادئ والقيم التي ارستها ثورة ٢٣ يوليو ، واذكر اننى توافرت على هذه المهمة اياما وليال طويلة حتى انتهيت الى اعداد الصيغة النهائية ، وأرفقت بها مذكرة شارحه للنصوص المقترحة ، وذلك لعرضها على السادات تمهيدا لاحالتها الى اللجنة المركزية لمناقشتها واقرارها ، ثم عرض المشروع في صورته النهائية على الاستفتاء العام .

وذهبت الى السادات قبل اجتماع اللجنة المركزية بأيام قليلة لأعرض عليه المشروع والمذكرة ، وكان ذلك في استراحة القناطر ووجدته مجتمعا في حديقة الاستراحة بممدوح سالم وزير الداخلية ومصطفى ابوزيد فهمى المدعى العام ، وبدا أن الاجتماع كان خاصا بقضية مراكز القوى ، كما سماها في ذلك الحين .

واخرجت ما في حقيبتي من أوراق وبدأت اعرض المشروع مستعينا بالمذكرة الايضاحية في الشرح ، ولا اذكر ان هناك ملاحظات هامة قد اثيرت ، حتى جاءت النصوص الخاصة باختصاصات رئيس الجمهورية كرئيس للسلطة التنفيذية ، ومنها النص الذى يحمل حاليا في الدستور الدائم رقم ١٣٨ . وعندما تلوت النص بالصورة المقترحة « يضع رئيس الجمهورية بالاشتراك مع مجلس الوزراء السياسة العامة للدولة ويشرفان على تنفيذها على

الوجه المبين في الدستور » عندما تلوت هذا النص انفجر مصطفى ابوزيد فهمي معترضا عليه في صورة هستيرية موجهة حديثه الى السادات ، متساءلا كيف تقبل وانت مؤسس الجمهورية الثانية ... وانت وأنت .. (مستخدما كل صفات ونعوت التعظيم والتفخيم والتميز والتقديس) كيف تقبل ان يأتي (زعيط ولا معيط والا زوربيح) ان يأتي اى انسان من الشارع فيقول لك انا شريكك في وضع السياسة العامة للدولة . وكانت الكلمات تتسارع وتتسابق وصوته يرتفع ويعلو وانا أنظر اليه وانا مشدوه ، ونظرة الرضا تبدو في عيني السادات ، اما ممدح سالم فقد ظل وجهه جامدا كعادته دائما .. وطالب الدكتور ابوزيد بنص يقصر وضع السياسة العامة للدولة على رئيس الجمهورية وحده دون مشاركة من فرد او هيئة . كاد صبرى ينفذ ، ولكنني كظمت غيظي وحاولت اجعل المناقشة حول هذا الأمر أكثر وقارا ، وعرضت الموضوع عرضا علميا مشيرا الى ان هذا النص منقول من الدستور المعمول به ومن الدساتير السابقة عليه ، وان تغييره على الصورة التي يقترحها الدكتور مصطفى ابوزيد قد يؤول تأويلا ليس في صالح الحكم ، وليس في صالح السادات ، قد يرى البعض في هذا التغيير اتجاها الى انفراد رئيس الجمهورية بكل السلطات في حين ان السادات ينادى بدولة المؤسسات ، وليس بدولة الأفراد ، واضفت ان الدستور لا يفصل على انسان اولا يفصل لأنسان ، وقد يأتي غير السادات ويفرض نظاما دكتاتوريا مستغلا مثل هذا النص المقترح .

حاول مصطفى ابوزيد فهمي ان يرد ولكن السادات حسم الأمر ، وطلب ان تنتقل الى مناقشة الأحكام الأخرى ، دون ان يبدي رأيه في المناقشة التي جرت ... وكان للدكتور مصطفى ابوزيد فهمي نفس الموقف من النص الخاص بمدة رئاسة الجمهورية وقد

كان النص يقصر المدة على فترتين فاذا به يطالب بأن يكون النص مطلقاً دون تحديد أية مدة أى ان تكون رئاسة الجمهورية للسادات مدى الحياة . وبالقناع المتقن صمم السادات على بقاء النص على حاله . كان هذا هو موقف السادات ١٩٧١ ولكنه عاد بعد ذلك وأوحى الى مجلس الشعب فى ١٩٨٠ بتعديل النص ليبقى رئيساً للجمهورية مدى الحياة وكان له ما اراد ولكن ارادة الله كانت هى الأعلى .

كان قد اصابنى الارهاق المادى والنفسى من طريقة واسلوب المناقشة ، فاخذت اقرأ فى المذكرة التى اعدتها كمذكرة شارحة للمواد حتى انتهيت فى ساعة متأخرة من الليل . وطلب منى السادات أن اترك الاوراق على ان يرسلها الىّ فيما بعد ... وجاءنى بعد ذلك مشروع الدستور معاد نسخه على اوراق الرئاسة وفيه بعض التعديلات ولعل فضولى قد استعجلنى فى الرجوع الى المادة التى كانت محل هذا النقاش الطويل فرأيتها وقد عدلت على النحو الذى طالب به الدكتور مصطفى ابو زيد فهمى ، والذى صادف هوى فى نفس السادات .

اصبت باحباط شديد لا لأن السادات لم يأخذ برأى ، ولا لأن التعديل لا سند له فى كل الاعمال التحضيرية ، التى سبقت صياغة الدستور ، بل أكثر من هذا لأن التعديل فى ذاته مؤشراً خطراً على نيات السادات الانفرادية .

ولم يكن هذا هو التعديل الوحيد ، فقد كرر السادات فى كثير من المناسبات أن الدكتور جمال العطيفى ، قد عاونه فى وضع احكام الدستور .

حاولت من جانبى ان اخطو خطوة جديدة ، فسريت خبر هذا التعديل الى الدكتور محمود فوزى ، وقد كان رئيساً للوزراء فى ذلك الحين ، وتركته ليتحرك اذا قدر ان يتحرك ، وناقشت الموضوع مع

صديق كنت ارتاح اليه واطمئن اليه وهو الدكتور اسماعيل غانم الذي عين مرتين وزيرا للتعليم والثقافة ، وأثر في كل مرة ان يعود الى منصبه في الجامعة ، وتركنا رحمه الله وهو استاذ في كلية الحقوق في جامعة عين شمس ، وكان اكثر منى حماسا لضرورة اعادة النص الى اصله وقال ان هذا الموضوع سيكون من بين الموضوعات التي سيتعرض لها بالمناقشة في اللجنة المركزية .

وجاء يوم اجتماع اللجنة المركزية وبدأ أعضاء اللجنة في مناقشة مواد المشروع ، وبعد بداية المناقشة وقبل ان تصل الى المادة ١٢٨ ، التي كانت موضع هذا الجدل الطويل ، شاهدت الدكتور محمود فوزي يخرج من قاعة الاجتماع الى الصالون الملحق بالقاعة ، وتصلني منه ورقة رقيقة رقيقة العبارات ، كعادته ، رحمه الله . يستسمحني ان اقبله لدقائق خارج قاعة الاجتماع ، وكان بشوشا كعادته وحدثني بأسلوبه الذكي الرفيع المتواضع في ذات الوقت ، مشيرا الى النص المذكور ، ومذكرا انه قبل رئاسة الوزراء على اساس النص الذي كان واردا في الدستور القائم ، وانه اذا مر النص بالصورة المقترحة ، فانه يعتبر هذا تكليفا له بالاستقالة ، وانه يرجو ان توضع الصورة امام السادات . لم يطل حديثي معه فقد حاولت ان اطيب خاطره ، وقلت له لعلك تعرف موقفى من هذه القضية ، فبرز راسه بالاجاب وانتهى الحديث بأن وعدته بابلاغ السادات .

اعجبني موقف الدكتور محمود فوزي (رحمه الله) عرفته طويلا قبل ذلك متحدثا لبقا ، حديثه يفيض علما وأدبا ، يجتذبك الى سماعه ، وهو يحلق في افاق واسعة من المعرفة ، يقلب معك الامر على كل جوانبه متفاديا الجزم برأى ، ولكنه في هذه المرة حزم الامر واتخذ القرار .

وعدت سريعا الى الاجتماع وارسلت بورقة صغيرة الى السادات ضمنيتها ما جرى من حديث مع الدكتور فوزي وكنت اعرف الرد

مقدما ، لقد عادت الورقة وعليها تأشيرة السادات يعاد النص الى اصله في الدستور المؤقت وبذلك تأكدت من ضرورة مشاركة مجلس الوزراء لرئيس الجمهورية .

وقد ذكرت الواقعة السابقة في كتابي الذي امر السادات بضبطه ومنع تداوله « مصر الى اين » ... في هامش ٢١ كالتالي :

« يرجع الفضل في تثبيت هذه المشاركة وتأكيدھا في الدستور ، الى موقف حاسم للسيد الدكتور محمود فوزي ، وقد كان رئيسا لمجلس الوزراء عند مناقشة مشروع الدستور في اللجنة المركزية ، ولا اجد نفسي في حل من ذكر التفاصيل ، ولانھا تتعلق اولا بشخصي ، وقد أثرت الصمت في كل ما يتعلق بشخصي منذ ان نحيت عن سكرتارية اللجنة المركزية ، كما انه يتعلق بشخص الدكتور محمود فوزي ، وتقدير مناسبة الكشف عن تفاصيل هذا الموقف امر يخصه شخصا ، وقد اشرت الى هذا الموقف للأهمية البالغة التي كان يعلقھا البعض على هذه العبارة ، وما تعنيه من القيادة الجماعية ..

وقد علمت من محمد حسنين هيكل ان الدكتور محمود فوزي قد امكنه ان يطلع على صورة من كتابي المصادر ، وانه اسعده ان يسجل مثل هذا الموقف ، ولما سألت الاستاذ هيكل هل الدكتور فوزي يقبل ان يكون شاهدا في هذه الواقعة ، اذا قدمني السادات للمحاكمة على كتابي ، فقال الاستاذ هيكل انه لا يعتقد ذلك .

واذا كانت عقيدتي ان التاريخ شهادة وامانة ، حق على الانسان ان يوفیھا ، وان كان السادات قد مضى عنا ، كما رحل الدكتور محمود فوزي الى رحاب الله ، فقد بقيت الورقة الصغيرة التي ارسلت للسادات وبقيت تأشيرته فرأيت ان اجعلھا خاتمة هذه القصة .

وقد ضفت الى كتابي « مصر الى اين » بعضا مما جاء في المذكرة الشارحة لاحكام هذا الدستور ، وقد كان هذا في مقدمة الأسباب

التي حملت السادات على ضبطه ومنع تداوله ، إذ ان هذه المذكرة تكشف على ان كثيرا من التطبيقات التي لجأ اليها السادات جاءت على غير ما قصدت اليه احكام هذا الدستور ، وهي تحمل مخرافات صارخة لنصوص الدستور ومفاهيمها .

وكانت قناعتى - التي اكدتها للسادات اكثر من مرة - ان الظروف الموضوعية التي تحققت في بداية عهده اعطته فرصة العمر ليكون حاكما ديمقراطيا ، لبلد ديمقراطى حقيقة وواقعا ، قلت له ان عبد الناصر قد حقق خطوة واسعة على طريق الديمقراطية الاجتماعية ، وانه كان تواقا الى تحقيق الوجه الآخر من الديمقراطية ، وهو الوجه السياسى ، وان الأمل قد اصبح معقودا عليه ليستكمل المشوار .

لقد تسلم السادات السلطة في ظروف لا ينكر احد ان الثورة تباطأت فيها بل وتراجعت امام طبقة جديدة بدأت تبرز على السطح منذ الهزيمة في سنة ١٩٦٧ ، وان كانت هذه الطبقة قد بدأت تتشكل قبل ذلك ، نتيجة للثغرات التي شابت عملية التحول الاشتراكى ، التي بدأت مع بداية الستينيات ، ولم يعد هناك من سبيل لحماية الثورة من التآكل . الا باقامة نظام ديمقراطى صحيح تستطيع فيه قوى الجماهير ، صاحبة المصلحة في الثورة ، ان تتحرك وان تشارك بعملها في حماية الثورة ، والتغلب على معوقات عملية التحول ، وان تحقق بالاسلوب الديمقراطي انتصارها على القوى المعادية .

كانت هذه قناعتى التي بدأت بها مع السادات وباعدت بعد ذلك بينى وبينه ، ولكنها لم تكن قناعة السادات ، وانا اتحدث عن الفترة التي اعقبت حرب اكتوبر ولا عن الفترة التي اعقبت احداث ١٨ و ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ والتي انتهت بالديمقراطية التي اسماها السادات نفسه « ديمقراطية الانياب » .. ولكننى اتحدث عن الفترة المبكرة في حكم السادات والتي كانت الامال معقودة فيها على

قيام حكم ديمقراطى صحيح .

كان السادات فى احاديثه وخطبه وتصريحاته العامة ، يعطى الديمقراطية والحرية الاولوية الاولى على كل قضية اخرى ، وكان السادات فى احاديثه الخاصة معى يؤكد على ، هذا الهدف ، ويعتبره من اعز امنيات عبد الناصر وان تحقيقه استكمال لمسيرة عبد الناصر .

وكان يردف حديثه عن الديمقراطية بعبارة ما زلت اذكرها ... ما الذى اخشاه من اطلاق الحريات والشعب معى ... لنجعل من الدستور الدائم وثيقة للحريات وتضع فيه كل ضمانات الحرية ، حتى تحول مستقبلا دون اى عدوان على الحريات ، لقد قضيت سنينا طويلة من عمري متنقلا بين السجون والمعتقلات وليس مثلى من رجال الثورة جميعا من يشعر ويقدر مذاق الحرية .

ولكن هل كان السادات يؤمن بالديمقراطية حقا ... هل كان فى نيته ان يحكم البلاد حكما ديمقراطيا ... وهل هذه الديمقراطية تتفق مع طبيعته تكوينه ومنهج تفكيره ... هذا هو السؤال .

(وتحضرنى فى هذا المقام قصة ترتبط بطبيعة تكوين السادات ومنهج تفكيره وقد تلقى الضوء على تطورات موقفه بالنسبة للديمقراطية والحرية) .

بعد احداث مايو ١٩٧١ زارنى السفير البريطانى فى ذلك الحين فى مكتبى ، وكنت وزيرا لشئون مجلس الامة ليستفسر عن بعض الأمور ، وكان من بين ما قاله فى سياق حديثه ... « ان خصوم السادات قد تعاملوا معه على خطأ فقد اسقطوا من حسابهم انه ارهابى ... »

لم اعلق على ما قاله ولكنى لم ابد ارتياحا لان رجل الدولة والسياسة لا يمكن ان يوصف بالارهابى ، فالمسئولية السياسية لايمكن ان تتفق مع الطبيعة الارهابية .

نقلت هذا الحديث الى السادات وعجبت من سعادته بهذا الوصف الذى وصفه به السفير البريطانى .

وبعد ذلك فى اكتوبر او نوفمبر ١٩٧٢ دعتنى السيدة حرم السادات الى تناول العشاء فى القصر الذى استأجرته فى حـ السفارات فى لندن ، لاقامتها بعض الوقت ، وكنت فى لندن فى ذلك الحين للعلاج من اثار جلطه فى المخ .

كان معنا فى هذه الليلة كمال رفعت سفير مصر فى لندن وحرمة وكريمته ، والفريق الليثى ناصف رئيس الحرس الجمهورى ، وكان يعالج فى لندن وحرمة ، ورشدى صبحى المليونير المصرى المقيم فى لندن ، ووكيل اعمال السيدة حرم السادات فى بداية نشاطها المالى ، وحرمة ومحـب السمرا القنصل العام لمصر فى لندن (وكان يطلق عليه اسم كاتم اسرار السيدة حرم السادات وأشرف مروان سألت السيدة حرم السادات حرم كمال رفعت عن احوالها ، واجابتها باننا زهقنا من لندن وعائزين نرجع مصر .

كان رد السيدة حرم السادات « اصل كمال قتال قتلة وانور مش عايز يرجعه مصر علشان كده » ... واستدركت السيدة حرم السادات قائلة « ماهو أنور برضه ارهابى » ...

رئيس جمهورية مصر يفاخر بما وصفه به السفير البريطانى من انه ارهابى « وحرمة رئيس جمهورية مصر تفخر بان زوجها ارهابى ، وتقرر ذلك كحقيقة واقعة مسلم بها .

والارهابى بطبيعته انسان انعزالى يؤمن بالفردية ولا يؤمن بالجماعة ، ويعتقد ان التاريخ من صناعة افراد وليس من صناعة الشعوب ، حركته حركة يائسة تتسم بقصر النفس والعجلة وعدم التبصر وغياب الرؤية التاريخية والمستقبلية ، يتسم عمله بالسرية الكاملة والتكتم والمكر والدهاء والمفاجأة والضرب من الخلف والعجز عن المواجهة او انعدام المواجهة ، يتوهم انه وحده يستطيع ان يغير مجريات التاريخ ويتصور ان الاقدار قد منحته قوى

وقدرات ضنت بها على غيره من سائر البشر ، وانه وحده ، دون غيره ، هو القادر ، وغيره عاجز لا يرتفع الى مستوى قوته وقدراته وفهمه للامور وتعامله معها .

والان وانا اطل على الاحداث التى حاقت بمصر خلال عشر سنوات من حكم السادات لا اجد تفسيراً لهذا القناع الديمقراطى الذى بدأ به السادات فى اعقاب احداث مايو ، غير ما قاله هيكى بعد مقتل السادات .

قال السادات لهيكى ، بعد ان اودع من اسماءهم بمراكز القوى وانصارهم وراء قضبان السجون ، على ان يخاطب الجماهير فماذا عساي ان اقول .. ان مراكز القوى وغيرهم يقولون ان الخلاف بينى وبينهم كان على السلطة وكان على دخول الحرب .

طلب من هيكى كعادته ان يعد له مشروع خطاب ، فنصحه بأن يتحدث حديثاً غير مكتوب وان يركز حديثه الارتجالي على الديمقراطية .. اردت ان تطلق للشعب حرياته وان يمارس الديمقراطية على اوسع نطاق وكانت مراكز القوى هى العقبة فى طريق تحقيق ذلك وستكسب الجماهير لان الحديث عن الحرية والديمقراطية حديث محبب للجماهير .

ووجد السادات فى كلمة الديمقراطية ضالته المنشوده ، فتحدث عنها وتغنى بها ورفع شعارها فى خطابه فى ١٤ مايو ، وتوالت احاديثه وخطبة يلوك فيها عبارات الديمقراطية وسيادة القانون ، والحقوق والحريات ، واستقلال القضاء ، ودولة المؤسسات وغيرها .. ثم وجد فى هذا الخلاص - الذى فتح هيكى له بابه - منفذا لخلاص اخر من كابوس يؤرقه ويفسد عليه احلامه وطموحاته .. ذكرى عبدالناصر والاشتراكية ..

وهكذا تلقف السادات الخيط من هيكى ..

رفع السادات شعار الديمقراطية ليتخلص من اعوان

عبد الناصر ، اعداء الديمقراطية ثم من ذكرى عبد الناصر عدو الديمقراطية ، ومن الاشتراكية التي رفع رايتها ، عدو الديمقراطية عبد الناصر ...

وهكذا تحولت الديمقراطية في ممارسات السادات من هدف الى وسيلة لضرب عصفورين بحجر واحد ، الاشتراكية وعبد الناصر ، واصبح هذا وحده هو المشروع وغيره عدوان وتآمر . وبدلا من ديمقراطية الحوار ، وديمقراطية المشاركة ، وديمقراطية الرأي الآخر وديمقراطية المؤسسات السياسية والشعبية الحرة والمسئولة ، شهدت البلاد موجات من العنف ، تارة باسم تعميق الديمقراطية ، وتارة باسم سيادة القانون ، وتارة باسم الدستور ، وتارة عن طريق الاستفتاءات الصورية المحددة النتائج والنسب مقدما ، وتارة عن طريق افتعال الفتن الطائفية . كان السادات مغرما بالتفرد في كل شيء ، فاقام صورة من الحرية والديمقراطية خاصة به وفريدة في نوعها تعبر عنها سلسلة متتابعة من تشريعات واجراءات القمع والارهاب وتساعد سطوة وسيطرة اجهزة القمع والارهاب .

وهكذا حكم السادات بالديمقراطية قولا وبالعنف السلطوى واقعيا ، والعنف الذي تصاعد حلقاته تدريجيا حتى قضت عليه فيما قضت عليه من حريات ومن فكر وثقافة وعلم وقيم . وهكذا جمع السادات بين الانفتاح الاقتصادي الذي يصل الى حد ان يعيش الاقتصاد المصري في بيت بلا ابواب أو نوافذ ، وبين الانغلاق الفكري الذي يصل الى حد أن يعيش العقل المصري في سجن دائم .

ولم يتجاوز السادات هذه النظرة في تعامله مع نظام تعدد الأحزاب ، فاذا كان منذ ان انفرد بالسلطة بعد ١٥ مايو ١٩٧١ ، قد طالب بتنظيم شبابي جديد ، يدين له وحده بالولاء ، ويكون قادرا على

التصدي والاقتحام ، والقضاء على كل معارضيهِ ، ويتنظيم نسائي تكون على رأسه امرأة (راجل) ويكون قادرا على نفس المهمة ، وبأقلام صحفية واجهزة اعلامية ونقابات عمالية ومهنية ، لها نفس القدرة والمهمة أيضا ، فإنه اراد في سنة ١٩٧٧ ، بعد ان اطلق للاقتصاد الحر عقاله يغزو السوق والعقول والقيم والأخلاق والسلوك ، اراد ان يقيم نظاما لتعدد الأحزاب من صنعه هو نفسه يكون حزبه فيه هو المسيطر ، بنفس القدرة والمهمة والى جانب حزبين أو ثلاثة ، تكون ظلال سلطاته وسلطانه ، تضبط حركتها مع وقع الخطى التى يرسمها ، ولما خرجت على الخطوط المرسومة ، التى يسمح بها صاحب السلطة ، كانت ضرباته المتلاحقة لها ، بالاستفتاءات والتشريعات تارة ، وبسلطة القمع والأرهاب تارة أخرى ، حتى كان آخر ذلك مذبحة سبتمبر ١٩٨١ .



طعن السيد رئيس الوزراء بخارج المجلس
وهدرجه أنه يضع العلم سيادتهم الآن
أولا - أنه لا يعلم به قبل الإصدار بالتقرير
على سلطة رئيس الوزراء ومجلس الوزراء

ثانيا - أنه المادة ١١٤ من الدستور الملحق تظهر

أنه يضع رئيس الوزراء يا "شرا" مع الكادر، السيد
العام للدولة في جميع الدعاى السياسية، بالإضافة
والإدارية ويشرف على تنفيذها

ومن الجانب ما يظهر المادة ١٢٢ من الدستور الملحق

نحو الحكومة تنفيذ السلطة العامة للدولة

أنه قبل رئاسة الوزارة مع هذه الأساس وأنه ينفذ

الوظائف بوجهة النظر المذهب ولكن لم ينفذ

رأى به بعد أنه لا يستطيع للمم بموجب هذه المادة
قبل البتة التقرير المخرج

الشيخ الفقيه
هو
رأى
في الدستور الملحق



مع وفد برلماني في زيارة لموسكو

الفصل السابع

السادات يوفدني في زيارة
الى موسكو كمبعوث شخصي له

في يوم من الأيام الأولى من شهر أغسطس ١٩٧١ وصلت شحنة من الأسلحة المتفق عليها مع السوفيت ، او كانت في طريقها للوصول ، وأبلغني السفير السوفيتي بهذه الشحنة في حديث له معى اثناء زيارته لى فى الاتحاد الاشتراكى ، ورفعت للسادات - كما هى العادة - تقريراً عن المقابلة وعن شحنة الاسلحة هذه ، ثم قابلته وكان ثائراً ، وقال لقد قلت مرارا ان الموضوع ليس موضوع اسلحة ولكن الموضوع قرار سياسى ، ولا بد ان يعاد عرض الموضوع الذى تحدثت فيه مع بودجورنى ، عندما كان فى مصر فى شهر مايو ، ومع بوناماريوف ، فى شهر يوليو . وعندما سألته عن طبيعة هذا الموضوع قال « الاستراتيجية المشتركة بيننا وبين الروس ، واضاف » لابد ان تتحرك الأمور مع الروس فلم يعد امامنا غيرهم » .

والح على السادات فى السفر الى موسكو ، كمستشار له لمحاولة جس النبض وتحريك الموضوع . ترددت كثيرا فقد اصبح يملؤنى الشك والحذر من تصرفات السادات ، وكيف اجيب على الأسئلة التى يمكن ان يوجهها الى السوفيت والسادات لم يطلعنى على شيء فيما يتعلق باتصالاته مع (الأمريكان) .. كان الغموض يحيط بكل شيء ، وحتى وزارة الخارجية المصرية لم تكن تعلم شيئا .. سألت نفسى كيف وكيف ، عشرات الأسئلة توالى على فكرى ونحن نتحدث حول هذه الزيارة ، ولم تكن هذه فقط اسباب ترددى بل كانت هناك تجربة ماثلة امامى ، هى تجربة سامى شرف عندما حمله السادات رسالة خاصة بوصفه مبعوثا شخصيا الى الرئيس بريجنيف ، ثم

اتهمه بعد ذلك بالاتفاق مع السوفيت على الاطاحة به ، كانت امامى هذه التجربة مع شعور عميق بالحدروالشك من السادات . قلت ان الخلافات والموضوعات التى يريد ان يثيرها مع القيادة السوفيتية لايمكن ان تجرى الا على أعلى المستويات ، اى بينه وبين القيادة السوفيتية أو مع بريجينيف على وجه خاص .

حاولت الافلات من هذه المهمة ولكن السادات اصر على ذلك قائلاً : فلتكن زيارة لجس النبض تمهيداً للزيارة لى اذا لا استطيع ان ازور الاتحاد السوفيتى الا بدعوة ، واخيراً قبلت على ان تكون زيارة غير رسمية وعلى ان يكون حديثى مع اى من القادة السوفيت - اذا فرض وتم مثل هذا اللقاء - على اساس من توجيهات مكتوبة من السادات شخصياً .

وكان هذا اقصى درجات الشك من مستشار لرئيس الجمهورية ، ولكن الظروف حولى والطعنات من الخلف والمزاج المتلون والمتقلب للسادات والذى تكشف لى بعد ان وصل الى مركزرياسة الجمهورية ، والتنقل بسرعة ودون حرج بين وموقف آخر متناقض له ، كل ذلك جعلنى اتحامل على نفسى واطالب منه هذه التوجيهات المكتوبة . قبل السادات هذا الطلب ، ولا أدرى كيف ارتضى لنفسه ان يقبله ، وجلس معى فى ليلة من لىالى شهر اغسطس وكتب بخط يده هذه التوجيهات التى وجدتها وانا اقلب اوراقى القديمة ورأيت ان ارفق صورتها فى خاتمة هذه القصة .

وسافرت الى موسكو ، بعد ان رتبست الزيارة مع السفير فونوجرادوف سفير الاتحاد السوفيتى وكان ذلك فى اواخر شهر اغسطس سنة ١٩٧١ ، كان القادة السوفيت جميعاً يقضون اجازاتهم كالمعتاد فى منتجع القرم (مصيف القادة السوفيت) . قابلنى بوناماريوف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى وقد سبق لى ان التقيت به فى القاهرة ، وكان فى ذلك الحين يتجاوز الستين وهو مسئول عن الاتصال بالأحزاب الأجنبية

وبحركات التحرر الوطنى ، عقائدى ومن القادة السوفيت المتشددىن ، ويعتبر من كبار مستشارى بريجينيف .

وبدأ الحديث معى فى موسكو اتصالا بحديث الاسكندرية فى حضور الدكتور عزيز صدقى ، لكنه فى هذه المرة كان اكثر جدلا ، قال بوناماريوف عبارة اذكرها « بدأ جريان مياه النيل يأخذ طريقا عكسيا » واخذ يتحدث عن موقف القيادة السوفيتية بعد هزيمة ١٩٦٧ ، واستيلاء اسرائيل ، ومن ورائها امريكا ، على الأسلحة والعتاد الحربى ، كشفهم لاسرار الصناعة الحربية السوفيتية ، الأمر الذى اضطر السوفيت الى تغيير خطوط انتاج عدد كبير من الأسلحة ، ورغم كل ذلك فلم تتراجع القيادة السوفيتية عن قرارها ، بل كان اصرارها اجماعيا ، على ضرورة تقديم كل المساعدات السياسية والعسكرية والاقتصادية لمصر ، حتى ازالة اثار العدوان الصهيونى . وتساءل اليس هذا قرارا سياسيا .. وعقدنا مع مصر معاهدة صداقة فى مايو ١٩٧١ ليأخذ هذا القرار السياسى طابعه القانونى ، وعاد ليؤكد ان القرار السياسى الذى يطالب به السادات قائم وموجود وان الاتحاد السوفيتى ينفذ التزاماته وتعهدهاته بصدق وامانة ، بينما تبدو من جانب السادات ظواهر تشير الى عدم ثقته بصداقة الاتحاد السوفيتى .

حاولت من جانبى ان ابعد الشكوك حول تصرفات السادات ، وأن اعيد الثقة الى السوفيت ، مؤكدا ان عبد الناصر والسادات وان اختلفا فى الأسلوب الا انهما من مدرسة واحدة وهى مدرسة التحرير الوطنى .. وتحدثت طويلا مدافعا عن السادات ، وقد كنت فى ذلك الحين صادقا مع نفسى ولكننى مع تداعى الاحداث خلال السنوات التى تعاقبت على هذه المقابلة اقول اننى كنت فيما دافعت عنه بعيدا عن الحقيقة .. ولكن دفاعى على كل حال كان دفاعا عن مصر ، التى كانت فى ذلك الوقت فى اشد الحاجة الى صديق ..

واعود الى الحديث فأقول اننا انتهينا الى ضرورة عقد اجتماع

مكاشفة بين السادات والقيادة السوفيتية ، وان هناك امورا لا يمكن البت فيها ، او الكشف عنها ، الا بين السادات وبريجينيف ، وان علينا نحن الاثنين ما دمنا نحرص على العلاقة بين الشعبين ، ان نحاول ازالة اى سوء فهم عارض يؤثر على تطور هذه العلاقات نحو الأفضل .

وقال بونا ماريوف اننى اذا كنت احمل رسالة الى القادة السوفيت فيمكننى ان اقابل كاسيجين رئيس الوزراء ، اذ ينتظر حضوره الى موسكو خلال يومين ، أما بريجينيف فهو معتكف في منتجعه بالقرم ، وقلت له اننى لا احمل رسالة ولكن مقابلة كاسيجين ستكون هامة بالنسبة لى ، وستساعد فى مساعيها المشتركة .

خرجت من اجتماعى مع بونا ماريوف ولدى انطباع بأنه كون رأيا بالنسبة للسادات ، وقد يكون لديه اسبابه لتكوين هذا الرأى ، وكان من الطبيعى ان يخفى هذه الأسباب عني ، إلا أن ماكنت اخشاه ان يكون هذا الرأى هو رأى القيادة السوفيتية او جزء منها على الأقل .

وتحدد لى فى اليوم التالى موعدا فى المساء مع كاسيجين بعد عودته مباشرة من القرم . كان كاسيجين فى ذلك الوقت فى السبعين من عمره ، وكان السادات يسميه (الباشكاتب) فقد كان عقله حاضرا لكل شاردة وواردة تجرى فى الاتحاد السوفيتى على اتساعه . كانت ملامحه جامدة لا يمكن ان تشتت منها اى معنى ، ولكن كفاءته كانت خارقة ، ومعرفة بالأمور كانت واسعة ، لا اعتقد انه كان قادرا على كسب الأصدقاء ، أو كان قادرا على الزعامة مثل بريجينيف الذى كانت لديه كل صفات الزعامة .

قابلت كاسيجين ودار بيننا حديث طويل عن المشروعات المشتركة وامكانيات التعاون الصناعى والتجارى وفاق التنمية فى مصر ، وانتقلت بعد ذلك الى موضوع التسليح وان مصر لا بد وان تحسم المشكلة فى ١٩٧١ سلما أو حربا .

في ١٩٧١ سلما أوحربا وان الاتحاد السوفيتي هو الصديق الذي وقف معنا في كل الظروف الصعبة وان علينا ان نحسم معا المعركة ، ونقلت التوجهات التي كتبها السادات بيده وكأنتني حفظتها عن ظهر قلب . وأشار كاسيجين الى أنه بمجرد عودة القيادة السوفيتية من أجازتها سترسل الى صديقنا السادات بدعوة ليشرفنا في موسكو ، ونرجو ان يقبل الدعوة ويبدو ان اتصالا أخر قد تم خلال وجودي في موسكو مع بريجينيف في منتجعه في القرم ، لأن كاسيجين أبلغني استعدادة لمقابلتي في أول شهر سبتمبر بعد عودته من أجازته مباشرة ليحملني رسالة الى السادات قضيت في موسكو ثلاثة ايام ، انتظارا لهذه المقابلة ، اجريت بعض الفحوص الطبية في احدى المصحات في ضواحي موسكو ، ومازلت اذكر حتى الان تفاصيل المقابلة التي جرت مع بريجينيف تحدث عن العلاقات الوثيقة التي ربطت بين عبد الناصر وبينه ومع القيادة السوفيتية وانهم يتطلعون الى نفس العلاقات مع خليفة عبد الناصر ، ثم تحدث عن نظرة السوفيت الى مصر وتقديرهم لها بوصفها طليعة لقوى التحرر الوطني ، والمخ الى ضرورة التضامن العربي والعمل المشترك في مواجهة المخططات الصهيونية والامبريالية ، لأن المعركة مع العدو الصهيوني المدعم من الامبريالية الامريكية تحتاج الى حشد كل القوى والامكانيات العربية . ثم قال اننا لم نتأخر عن أي طلب جاءنا من اصدقاءنا المصريين أو عن تنفيذ اتفاقاتنا العسكرية ، وقد يحدث بعض التأخير لأن انواع الاسلحة المطلوبة من جانب مصر يتغير باستمرار وقد يكون هذا راجعا الى تعديلات في خطة مصر الحربية ولكن نحن نحاول بكل ما نستطيع ان نلاحق هذه الطلبات وأوامري صريحة في ذلك . ولتكونوا على ثقة بأنه ليس هناك أي تأخير متعمد واهتمامنا بمصر لا يقل بحال من الأحوال عن اهتمامنا بأنفسنا بحلفائنا من الكتلة الاشتراكية لأن

معركة مصر هي معركتنا . وأكد ان ما يخص مصر نضعه في اولويتنا سواء أكان في المجال العسكرى أو الاقتصادى واستطرد الى القول بأن المعاهدة التى عقدناها مع مصر تعتبر نقطة تحول في علاقاتنا لأنه كما طلب صديقنا السادات قد رفعت بعلاقاتنا الى مستوى قانونى او على الاصح الى مستوى استراتيجى (وكنت لا اعرف في ذلك الحين - وهذا ما عرفته بعد ذلك - ان السادات هو الذى طلب عقد المعاهدة ولأن السادات كان يقول لى دائما لقد أتى بها بودجورنى لتكون بالونا اختبار لنوايانا بعد التخلص من اياهم - وكان يعنى بأياهم جماعة مايو) .

كان بريجينيف يتحدث في حماس ولكننى لمحت وجهه البشوش وقد تغير وكسته مسحة من الألم ، عندما انتقل الحديث الى ما يردده البعض في مصر من ان هناك مؤامرة اشترك فيها السوفيت ، لعزل السادات ، وقال ان هذا كذب وافتراء يردده هؤلاء الذين يسعون للقطيعة بين الاتحاد السوفيتى ومصر ، والامبريالية الأمريكية والصهيونية من ورائهم . ثم قال « لن نغير خطنا وسنسير مع السادات دون اى حساسيات ، وبكل الوضوح والصراحة ، ولكن المهم ان تكون هذه هي رغبته ايضا .. »

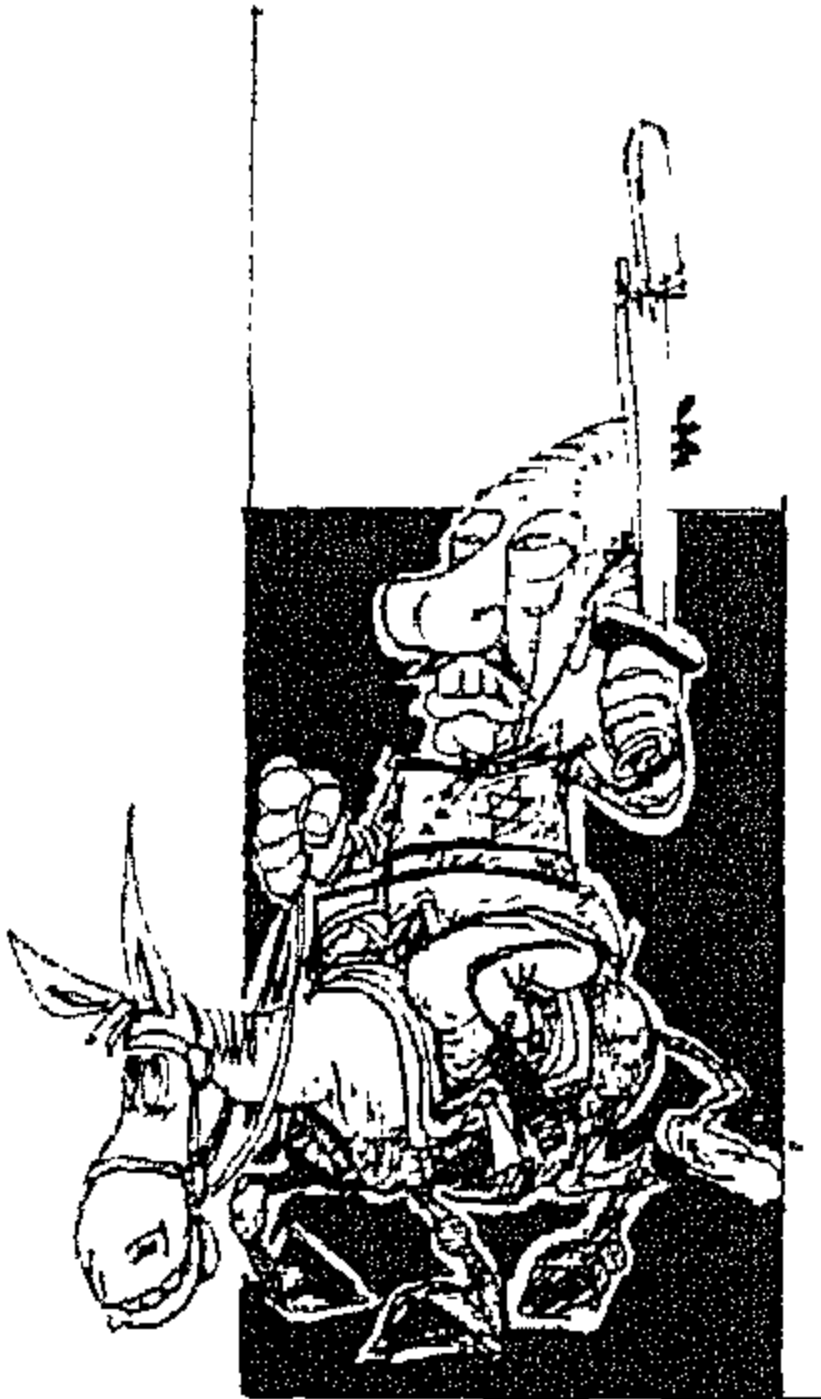
واستطرد قائلاً ان على صديقنا السادات وعلى اصدقائنا في مصر ان يتفهموا موقفنا تماما فالاتحاد السوفيتى ليس امريكا فنحن لانتمى على انظمة او قيادات ولا نسعى للاطاحة بنظام لنقيم بديله نظاما عميلاً فالتعايش السلمى هو من اصول مبادئنا واحترام سيادة الدولة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ودعم نضال الشعوب من اجل حريتها والعمل من اجل الصداقة والسلام والوفاق مع الشعوب الأخرى هو استراتيجية ثابتة للاتحاد السوفيتى .

كان حديثى في اطار التوجيهات التى كتبها السادات بيده واضفت قائلاً ان من يقترح استراتيجية مشتركة بين مصر

والسوفيت ، لا يمكن الا ان يكون مؤمنا بالصدقة والتعاون بين
البلدين ، ساعيا الى تعميق العلاقات وتوسيعها الى ابعد الحدود .
ثم تناول الحديث كل جوانب القضية والتعاون المشترك في
مختلف المجالات وانتهى الحديث بما قاله بريجينيف من ان القيادة
السوفيتية سترسل بدعوة الى صديقنا السادات ليشرفنا في موسكو ،
ونرجو ان يقبل الدعوة .

خرجت بانطباع من هذه المقابلة ان بريجينيف اقرب اعضاء
القيادة السوفيتية الى قضايانا ومشاكلنا ، واننا يمكن ان نفيد من
توثيق الصلات معه ، في تذليل كثير من الصعاب التي تنشأ بين
الجانبيين .

وعدت الى القاهرة بعد هذه الزيارة القصيرة العاجلة التي تكتمت
اخبارها حتى على المصريين في موسكو ، وكاشفت السادات بكل
تفصيلاتها ودقائقها وانطباعاتها ، وقلت له ان - انطباعاتي ان
الثقة تكاد تكون منعدمة لديهم ولا بد من بذل مزيد من الجهود خلال
الفترة القادمة حتى تتكلل الزيارة بالنجاح ، وافقنى على هذا ، وبدأ
الأمر وكأن اليأس قد اصابه من (الأمريكان) ومن وعودهم له .



توجيهات السادات

- ١- المقلب اليوم هو قرار سياسي فانه اذا ج مع اشرافه
عن غير القرار السياسي والبروتية منكم نضوكم على
تلاية ثباتكم منكم
- ٢- انه من ١٩٧١ بين حاسم بينكم بضميرنا وليس منكم
ة صفة الله وانما بينكم الله كما اخرجنا
- ٣- رايه كما قلنا بعد حذرنا عند الرضا انه ١/١٠ من مداخلكم
البحر من احد منكم ولكن ليس معكم
- ٤- انه امرنا ان ننتهك كما ننتهك انه معكم
رجل قوله ٩٩/١ له انه سادتي باسماكم مع انه في الله
انه اسبغ عودنا المعده معكم ولكن منكم منكم منكم منكم
- ٥- انه بينكم القاء السويك وهم الرقة باللبس للرمح
الحالة انه يتقدمنا في قلوبكم كما يتقدمنا في قلوبكم
الزمن والظلم

١٩٧١ / ٨ / ١٥





السادات يجرى مباحثات في موسكو مع بريجنيف وكوسيجن .. والقناع على وجهه

الفصل الثامن

السادات يمهد لزيارة موسكو بدروس في اللغة
الفارسية .. ومصير علي صبرى ينتظرني

جاءت الدعوة للسادات لزيارة موسكو في اكتوبر ١٩٧١ ، وهى دعوة ابدى شديد التلهف عليها في صيف هذا العام حيث انقطع ، او كاد ، الاتصال بينه وبين الامريكيين ، ورأى السادات ان يسبق سفره وفد من الصحفيين ذوى الاتصال بالدوائر المختلفة في الاتحاد السوفيتى . ووقع اختياره على عدد من الصحفيين اذكر منهم الان لطفى الخولى وفيليب جلاب ، وذلك للتمهيد للزيارة ولمعرفة الاتجاهات المختلفة حتى يمكن له الاطلاع على كل الاحتمالات قبل الاجتماعات الرسمية :

وكانت هذه هى زيارة السادات الرسمية الاولى لموسكو ، وكان قد زارها زيارة سرية في مارس ١٩٧١ بعد توليه رئاسة الجمهورية ووجدت من واجبى ان اعد مع السفير السوفيتى فيلاديمير فونوجرادوف ، اعدادا جيدا لهذه الزيارة ، حيث جاءت بعد قطيعة طويلة وبعد ان اعلن السادات وروج ان ١٩٧١ هو عام الحسم ، وكان التحضير لهذه الزيارة ولما ينتظر ان يثار فيها من امور هامة في ذلك الحين يحتاج الى اجتماعات يومية مع السادات .

وفجأة قال لى السادات ان السفر الى موسكو سيكون عن طريق الكويت وايران ، وانه اتفق على ان يجرى محادثات فى البلدين ونحن فى الطريق الى موسكو .

وبعد ان تقرر زيارة ايران انشغل عنى السادات تماما فى الترتيب لزيارة لايران ، كنت ادخل عليه يوميا فاجده مع السفير الايرانى ، قال لى انه ينشط معلوماته فى اللغة الفارسية ، وانه يعد مع السفير الايرانى الخطاب الذى سيلقيه فى مطار ايران باللغة الفارسية تحية للشاه .

واستطيع ان اؤكد وقد عايشت السادات في بداية ولايته للحكم انه كان مفتونا بشاه ايران ، بثرائه ونفوذه وسلطانه واسلوب حكمه ، بخضوع وزرائه ومستشاريه وانحناءاتهم التي تصل الى حد الركوع امامه ، كان في قمة السعادة وهو ينقل الى مقالعه الشاه بعد سماعه الخطاب ، من انه يجيد ادبيات الفارسية افضل من الشاه ، غير ان افتتاح السادات بالشاه لم يكن مجرد افتتاح صبياني بل كان مفتونا بالدور الذي يقوم به الشاه في خدمة المصالح الامبريالية والذي كان يمتد من فيتنام الى الخليج العربي ، هذا الدور الذي امله لان يكون هو نفسه جزءا من الاستراتيجية الامريكية في المنطقة ، وهذا ما ادركه تماما الان .

وقد كان لايران الى جانب السعودية وضعها الخاص باعتبارها قطب من اقطاب الاستراتيجية الامريكية ، واذا كانت السعودية تصدر اكبر كمية من النفط الى الولايات المتحدة الامريكية ، فان امن المنطقة المنتجة للبترول وممراتها البحرية كان معهودا به للسيطرة العسكرية الايرانية ، في عهد الشاه ، وهكذا احتلت ايران رغم انها تاتي بعد السعودية في انتاج النفط ، في خدمة المصالح النفطية الامبريالية ، الدور الاول بالنسبة لاستراتيجية النفط الامبريالية ، بفضل قواتها العسكرية .
وبهذه الطبيعة كان توجه السادات الى الشاه .

كان السادات على ثقة من ان الحكم الشاهنشاهي لن يزول في ايران ، وان شاه ايران استطاع ان يحقق امته الاستراتيجية ، عن طريق تعاونه غير المحدود مع الامبريالية ، ووضع كل موارد ايران ومصادر ثرواتها وقوتها العسكرية تحت الهيمنة الامريكية .

وهذا هو سر ثورته العارمة عندما عصفت العاصفة بالشاه ، وطرد الشعب الايراني حكم الطغيان الامبراطوري من ايران ، وسبق في هذا حتى امريكا صاحبة المصلحة الاولى في بقاء نظام

الشاه ، لانه لم يكن يتصور في لحظة قط امكان خلع الشاه ، وهو الحليف الاستراتيجى لامريكا ، الذى يتزى بالعباءة الأمريكية . كان الشاه واسرائيل القطبين او الجناحين العسكريين ، والعصا الغليظة في يد الاستراتيجية الامريكية ، لتحقيق الهيمنة الامريكية على المنطقة العربية كلها .

لم يكن يعنيه ان شاه ايران ، وهو امبراطور دولة اسلامية ، ظلت علاقته قائمة مع اسرائيل ، بينما قطعت الدول الاسلامية كلها علاقاتها باسرائيل .

لم يكن يعنيه أن شاه ايران وهو حليف اسرائيل وانه يزودها بالنفط (٨٥٪ من استيرادها)

لم يكن يعنيه تحركات الشاه التوسعية في الخليج العربى ، واحتلاله لجزر عربية ثلاثة في عمق الخليج ، وفرض هيمنته على الدول العربية في الخليج .

والذى كان يعنيه هو علاقة الشاه مع امريكا واسرائيل ، وكيف يستطيع ان يؤثر في اتجاه الحل ، بل ماكان يعنيه اكثر هو نهجه الذى امله لان يصبح بقاءه في الحكم جزء من الاستراتيجية الامريكية . الم تتحرك كل القوى الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية لاعادته للحكم ، بعد ان كد الغليان الشعبى ، في عهد مصدق في نهاية الاربعينيات ، يعصف بعرشه .

بهذه القناعة كان توجه السادات الى الشاه في ١٩٧١ ، هذا التوجه الذى لم ادرك ابعاده اذ ذاك ، ولم يدركه حتى السوقيت ، والسادات يتوقف في طهران قبل ، زيارته الرسمية الاولى للاتحاد السوفيتى .

وسافر الوفد برئاسة السادات ، وكنت احد اعضاء الوفد ، ومعى الدكتور عزيز صدقى ، نائب رئيس الوزراء ووزير الصناعة ووزير الحربية محمد صادق ، وانضم للوفد بعد ذلك محمود رياض وزير

الخارجية حيث كان في مهمة في الخارج ، ومراد غالب سفير مصر في موسكو وفي المطار كانت القيادة السوفيتية كلها في استقبالنا ، بريجينيف وبودجورنى وكاسيجين واعد للسادات استقبال رسمى وشعبى فى المطار وعلى امتداد المطار الى قصر الكريملين .

عكس هذا الاستقبال رغبة القيادة السوفيتية فى تحسين العلاقات ، التى اصابها الجمود فى الآونة الاخيرة ، تقابلت فور وصولى الى الكريملين مع الصحفيين الذين اوفدهم السادات ، وقدموا الى مذكرة هامة عن الشخصيات التى اجتمعوا بها وعن المناقشات التى دارت بين الجانبين وعن النقاط التى اثيرت فى هذه الاجتماعات ، ثم طلب السادات لطفى الخولى فى استراحة الكريملين لينقل اليه حصيلة ماتوصلوا اليه من معلومات .

وكان من بين ماقاله لطفى الخولى انه لمس من الشخصيات المختلفة التى اجتمع بها ، رغم اختلاف مواقفها عن اتجاه عام يستهدف الحرص على العلاقات السوفيتية - العربية ومعالجة ما اصابها نتيجة اصداء الاحداث الاخيرة ، فى المنطقة العربية ، والبحث عن افضل السبل ، لتنميتها وتعميقها ، وأشار الى أن هناك مشاعر خاطئة لدى البعض بان السادات وصل الى شبه اتفاق مع امريكا ، وانهم جميعا يرحبون بأية خطوات يتخذها السادات فى طريق السلام ، ولكنهم يشعرون بان السادات يعامل الاتحاد السوفيتى كعدو يخفى عنه كله شئ فى حين ان الاتحاد السوفيتى مستمر فى الوفاء بالتزاماته وفق الاتفاقيات المعقودة مع مصر ، ولم يقصر فى تنفيذ أى من تعهداته ، وعرض لبعض الاستفسارات والاستئلة التى اثيرت والاجابات عليها ، وانتهى الى ما اتفق عليه الجميع ، بان ازالة الغيوم وعودة علاقات الثقة وتطويرها ، رهين ، باجتماع مكاشفة بين السادات وبريجينيف وهذا هو نفس ماكنت قد انتهيت اليه فى زيارتى لموسكو ، لجس النبض ، التى جاء ذكرها فى مكان اخر .

وبدأت الاجتماعات الرسمية في صباح اليوم التالي بقاء طويل بين السادات وبريجينيف ، وتلا ذلك الاجتماع الرسمي ، وكان الوفد السوفيتي مشكلا على اعلى مستوى من بريجينيف وبودجورنى وكاسيجين والمارشال جريشكو وزير الدفاع وبونا ماريوف سكرتير اللجنة المركزية وفونوجرادوف السفير السوفيتي في مصر . وقد عثرت في اوراقى القديمة على ملخص كتبته بخط يدي لوقائع الاجتماع الاول .

فقد بدأ بريجينيف الاجتماع بالترحيب بالضيف الرئيس انور السادات وبالوفد المرافق له ، واشاد بمصر وشعبها وبالعلاقات الودية التى تربط بين الشعبين في مصر وفى الاتحاد السوفيتي كما نوه بالعلاقات الممتازة وبالثقة المتبادلة التى ربطت بين مصر وعبد الناصر وبين القيادة السوفيتية والشعب السوفيتي وان السوفيت يتطلعون الى علاقات على نفس المستوى مع خليفته الرئيس انور السادات والى تعميق علاقات التعاون والاخوة بين الشعبين وان الاتحاد السوفيتي سيحافظ دائما على خطه الثابت في تأييد ، ودعم مصر والدول العربية الاخرى لازالة العدوان الصهيوني الامبريالى .

ثم انتقل الى ماتحملة السياسة الامريكية من مخاطر على العلاقات المصرية السوفيتية من تصرفات ، وتستهدف دق اسفين للفصل بين نضال الشعبين المصرى والسوفيتي ومخاطر ذلك على حركة التحرر العربى وحركة التحرر العالمى . ونوه ايضا الى مايجرى في مصر من محاولات من جانب عناصر يمينية لتخريب العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ، وفصل مصر عن خطها التحررى الثابت ، واوضح الضرر البالغ الذى سيلحق بالقضية العربية وبالمستقبل العربى ، لو نجح هؤلاء في مسعاهم ، ولن يستفيد من ذلك الا العدو الصهيونى الامبريالى الذى يحرك الدمى اليمينية واكد في نهاية كلمته على ان

الاتحاد السوفيتي سيظل على سياساته الثابتة في دعم نضال الشعب ، المصري ونضال الشعوب العربية ، وانه ينتظر من مصر في عهد السادات خليفة عبد الناصر ان تزداد اصرارا وتمسكا بمسيرتها التحررية والتقدمية ، ومعاداة الاستعمار ، والامبريالية ، وانتقل الى ضرورة وجود ثقة متبادلة بين الجانبين ، والمصارحة والمكاشفة كعاملين هامين لدعم وتطوير العلاقات ، ثم تمنى اخيرا للشعب المصري كل تقدم وازدهار على طريق التحرر والتنمية والتقدم .

وانتقلت الكلمة الى السادات فشكر الرئيس بريجنيف على كلمته . هذه ، وعلى تمنياته الطيبة للشعب المصري التي يحمل اكثر منها للشعوب السوفيتية واكد على وعيه وفهمه وتقديره لكل كلمة قالها بريجنيف . ثم قال اننى دائما اقول لشعبى انكم تقفون بجانبنا كأصدقاء مخلصين في ساعات الشدة ، وأن هدف هذه القوى الامبريالية هو دق اسفين بيننا وبين الاتحاد السوفيتي ، وهذا ليس في صالح أحد غير الصهيونية والامبريالية الامريكية ، واستطرد قائلاً اننى اعتقد ان لامريكا وهى في ذلك على اتفاق كامل مع اسرائيل ثلاثة اهداف :

اولا - تصفية الوجود السوفيتي في المنطقة والايقاع بين العرب والاتحاد السوفيتي .

ثانيا - عزل مصر عن امتها العربية وعن اصدقاءها الحقيقيين ، فشعبها يرغب في تطوير بلاده وهم يخشون ذلك ويريدون ان تبقى مصر دولة افريقية متخلفة مثل الجابون .

ثالثا - تصفية كل الانظمة التقدمية في العالم العربى الامر الذى يصبح سهلاً بعد عزل مصر .

ثم اخذ بعد ذلك يعدد المساعدات العظيمة التى قدمها الاتحاد السوفيتي لمصر ، والتى لن تنساها مصر ابدا ، ومصر بلد الوفاء ، ونحن دائما اوفياء لاصدقائنا ، وقال انه على ثقة من ان الاتحاد

السوفيتي سيقف معنا في سنة الحسم كما وقف معنا في لحظة الهزيمة والظلام ، لذلك فقد الححت على بودجورنى ويونا ماريوف في ضرورة الاستراتيجية المشتركة .

وهنا سأل بريجينييف ما هو المقصود بما ترددونه ياسيادة الرئيس ان عام ١٩٧١ عام الحسم ، فرد السادات قائلاً انا اريد ان يكون عام ١٩٧١ حاسماً ، تتحرك فيه القضية نحو الحل السلمي او نحو البديل ، وهو ان يكون استعدادنا كاملاً لدخول معركة فاصلة مع اسرائيل ، فسنة الحسم لاتعنى اننى حددت موعداً للمعركة ، مع اسرائيل ، ولكننى اريده عام حركة ، فلانريد ان تتجمد قضيتنا ، او توضع في ثلاجة ، ولهذا جئت اليكم لنتبادل الرأي ولنحدد مواقع اقدامنا في المستقبل .

(ولاحظت ان بريجينييف لم يهتم بالتعليق على عبارة استراتيجية مشتركة التى قالها السادات) .

وانتقل الحديث بعد ذلك الى المارشال جريشكو وزير الدفاع السوفيتي ، والحقيقة ان الذى استغرقنى في هذا الاجتماع ، هو ماسمعه من المارشال جريشكو ، الذى تحدث طويلاً بالارقام عن التسليح وعن المعدات ، وقال انه يعتبر الجبهة المصرية والجبهة السورية جبهة واحدة ، وانه بناء على هذه النظرة يستطيع ان يؤكد ان التسليح والمعدات على الجبهتين يتعادل ، ان لم يزد ، على الاسلحة والمعدات على الجبهة الاسرائيلية .

كان جريشكو يوحى بانه لا يتصور قيام المعركة دون اشتراك سوريا مع مصر ، الى جانب الايحاء بان المعركة ممكنة بالوضع الحالى .

قال السادات بعد الجلسة التى استمعنا فيها الى جريشكو مخاطباً محمد صادق وزير الحربية شفت كلام جريشكو بامحمد ، زى مايكون بيقول لنا ماتحاربوا بآه ، اذا كنتم ناويين على الحرب ، وكرر هذه العبارة مراراً بعد عودته الى القاهرة .

وتحدث بعد جريشكو ، الفريق صادق ، وجرت مناقشات طويلة عن مدى استعدادات القوات المسلحة المصرية ، وإلى حاجاتها إلى أسلحة وعتاد إضافي ، وأنهى بريجنيف المناقشة بأنه طلب أن يعقد اجتماعا بين صادق وجريشكو ، لمناقشة الطلبات المصرية على أن يعود الجانبان إلى الاجتماع في اليوم التالي .

واستؤنف الاجتماع في اليوم التالي حيث اتفق الطرفان على الأسلحة والمعدات المطلوبة ، ثم أرجى الاجتماع إلى الساعة الواحدة ظهرا ، ليعود بريجنيف إلى اللجنة الدائمة لمجلس السوفيت الأعلى ، وإلى المكتب السياسي .

وعدنا إلى الاجتماع ، وأعلن بريجنيف في بداية الاجتماع أنه قد تمت الموافقة على أغلب الطلبات المصرية ، أما الأسلحة والمعدات الباقية ، فقد توقفت المصانع العسكرية السوفيتية عن إنتاجها ، وسيسعى الاتحاد السوفيتي إلى شرائها من السوق وتوريدها إلى مصر .

واستقبل السادات هذه الموافقة بترحاب كبير ، وعبر عن رضاه في كلمة ختامية وقال أنه لا يطلب من (اصدقاءه السوفيت) أكثر من هذا .

قال لي بوناماريوف ، ونحن في طريقنا بعد أن انتهى الاجتماع أن بريجنيف قد جاهد جهاد الأبطال ليحصل على طلباتكم ، واعتقد أنه لو كان رئيسا لمصر لما فعل أكثر من ذلك .

ولم تنته القصة عند ذلك ، ففي الحفل الكبير الذي أقيم في وداع الوفد المصري ، تحدث بريجنيف عن الصداقة المصرية السوفيتية وعن الثقة التي لا بد من أن تتأكد ، وعن العلاقة الخاصة التي ربطته بالسادات ، ثم قال وهو يرفع كأسه (وهذه عادة لدى السوفيت) وكان الكأس من المياه المعدنية ، أنه يرفع الكأس تحية للصداقة وللرئيس السادات وللوفد الممتاز المرافق له ، ثم قال ولاننسى

شخصا حاضرا معنا هنا ، وكان له فضل كبير في فترة صعبة من علاقتنا ، فقد امكن له بلباقته ان يخفف من حدة هذه الفترة وطلب من الحاضرين ان يرفعوا الكأس تحية لى ورفع الحاضرون جميعا مصريون وسوفيت كأسهم تحية للزيات ..

لم اعلق اهمية على هذا الموضوع ولكن السادات لم يتركه يمر فقد حرك فى نفسه الشكوك كما سنرى فيما بعد .

وفى طريق عودتنا للقاهرة طلبنى السادات للجلوس الى جانبه فى الطائرة ، وقال انه مستريح الى هذه الزيارة ، وانه كاشف بريجينيف بشكوكه حول مهمة سامى شرف عند زيارته لموسكو ، ولكن بريجينيف عرض الموضوع عرضا صريحا وصادقا ، بما اكد للسادات ان الموضوع مجرد شائعات ، ليس لها ادنى قدر من الحقيقة ، وقال انه يزداد اعجابا ، ببريجينيف فى كل مرة يجتمع معه فيها ، وانه صديق حقيقى لمصر ، وانه يمكن الاعتماد عليه ، ولا بد لنا من ان نحافظ على علاقتنا به طيبة .

كان كل شىء يوحى باننا ندخل مرحلة جديدة من العلاقات الطيبة بين البلدين ولكن يبدو ان الامور لم يرد لها ان تأخذ هذا الطريق ، فقد سارت باضطراب على عكس ذلك ، وليس موضوع العلاقات المصرية السوفيتية وما اصابها هو موضوع هذه القصة .

عدت الى القاهرة واخذت مشاغل المسئولية تستغرق كل وقتى ولم يكن لدى من الوقت ما يسمح لى بان اتناول سير الناس او اطعن فيهم او اجمع حولى بطانة او يصبح مجلسى مجلس الندماء كما لم تكن تسمح اخلاقى ولا تكوينى بان اشارك او ان انتمى لمثل هذه المجالس .

ولو اردت غير ما أملاه ضميرى وغير ما فرضه انتمائى لهذا الوطن ، وانشغالى بقضايا وهمومه ، لو اردت ذلك ، لظللت حتى اخر لحظه النديم الاول ، والصديق الاول والمخلص الاول وكل ما يمكن ان يطلق على التابع من صفات الامانة والاخلاص والولاء ..

ولكن كل على شاكلته ..

وحدث ان قابلت سيد مرعى الذى اصبغ النديم الاول ، بعد ما يقرب من شهر من زيارة موسكو ، فاذا به يهمس فى اذنى مين زييك يا عم ما انت صديق بريجينيف استفسرت عن عنه مايعنيه فقال اصل انور واحنا سهرانين معاه حكى لنا حكاية شرب بريجينيف نخب صحتك وانت فى موسكو ..

وسمعت القصة من نديم صغير اخر او احد بطانة السادات كان من قبل نديما للدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الامة والذى اتهم فى قضية مايو وهو نصر عبد الغفور (رحمة الله وسامحه) وسمعت ان الطعنات قد توالى على بعد هذا الحديث من البطانة والندماء .
احتريت كيف يظل السادات بعد شهر من هذه الزيارة يذكر هذه المسألة العابرة التى كنت نسيته ، وامامه من المشاكل الكثير من القضايا المعقدة ما يمكن ان يستغرق كل تفكير وتدبير ولكنه ، نسي كل ، هذا وقد جمع حوله البطانة والندماء ليذكر ان بريجينيف قد رفع كاسه تحية لى وليترك السميعة والمطباتية بعد ذلك يشيدون بفهمه الواسع وعمق ادراكه للامور .. ويوجهون سهام الطعن لغيره ..

واذكر بعد اجتماع اللجنة المركزية ان طلب السادات ان يزورنى فى مكتبى فى الاتحاد الاشتراكى ليستريح بعض الوقت قبل عودته لمنزله ، وصعدنا الى مكتبى فى الدور الاول .

قال لى ضاحكا .. « دا مكتب على صبرى .. والا انت باين مصيرك زى مصير على صبرى .. » .

ضحكت ولم يكن السادات يضحك عندما قال ذلك واتساءل الآن عما عناه السادات بالمقارنة بين مصيرى ومصير على صبرى ، الذى كان يصفه السادات فى خطبه واحاديثه بأنه عميد عملاء موسكو وهل بدأت فى هذا الحين تتبلور فى عقل السادات نية افتعال تهمة العمالة لى نتيجة لاختلافنا السياسى والجوهرى وبعد أن شهد بريجينيف يرفع الكأس بتحية خاصة للزيات .



الزيات وشقيقته د . لطيفة : اقسام السادات ان يخرّب بيتها !

الفصل التاسع

المزاج الدموي وقضية مراكز القوى

ليس هنا مجال الحديث عما سمي بقضية مراكز القوى ، وكيف جمعت أدلتها وكيف حوكم من أتهم فيها فهذا الموضوع اتركه لأصحابه ، وهم أكثر منى دراية ومعرفة بالكتابة فيه ، ولكنى اتناول جانباً ، وقد يكون في هذا الجانب من الدلالة ما يكفي لإعطاء صورة عن هذه المحاكمة .

تولت النيابة العامة التحقيق فيها وكان النائب العام (المستشار محمد علي ماهر) يشرف على التحقيق ويطلع السادات أولاً بأول على نتائجه ، واشهد اننى سمعت من الكثيرين شهادة طيبة عن نزاهته واستقامته ، واذكر أيضاً انه كان هو وشقيقته الدكتورة سعاد ماهر صديقين للسادات وأسرته ، قبل ان يصبح السادات رئيساً للجمهورية ، وأنهت رئاسة الجمهورية على هذه الصداقة ، كما أنهت على كل الصداقات السابقة عليها .

وكنت كغيري ، مطمئناً على سير التحقيق ، ولكن فجأة سحب التحقيق من النيابة ، وحولت القضية الى المدعى العام ، وهى وظيفة جديدة استحدثها القانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧١ بتنظيم فرض الحراسة وتأمين سلامة الشعب ، وعين لها الدكتور مصطفى ابوزيد فهمى الذى كان استاذاً فى كلية الحقوق قبل ذلك .

وعلمت بعد ذلك ان سبب هذا التحول فى التحقيق ان النائب العام ، فى مقابلة اخيرة مع السادات ، اخطره بان اقصى عقوبة يمكن توقيعها على أى من المتهمين فى قضية مراكز القوى ، لن تتجاوز ثلاث سنوات اذا عرضت القضية على محكمة الجنايات .

ومن هنا جاء قرار السادات باقصاء النيابة العامة عن التحقيق فى القضية ، وتكليف المدعى العام بها ، ومن هنا أيضاً كانت فكرة

احالة القضية الى محكمة خاصة ...

ولم يكن لي اتصال بالتحقيقات ، ولا اعلم بالوقائع التى تدور حولها ، فقد كان السادات حريصا على ان يبقى هذا الموضوع ، موضوعه المباشر بالذات ، غير انى اخذت على عاتقى الاتصال بالمدعى العام مرتين ، احدهما عندما وصل الى علمى انه قد بيت النية على القبض على خالد محيى الدين ، فأوضحت له ماقد يثيره مثل هذا الاجراء من ضجة محلية وعالمية ، وطلبت منه التريث فى اتخاذ مثل هذا القرار ، اما المرة الثانية فقد كانت بخصوص التحقيقات الجارية مع احمد الخواجه ، نقيب المحامين المصريين ، ورئيس اتحاد المحامين العرب ، كانت تحقيقات مبنية - كما علمت - على تقرير سرى تقدم به الصحفى موسى صبرى ، يتضمن وقائع ، كنت اعلم علم اليقين انها مختلقة ، لأن احمد الخواجه كان على اتصال يومى بى فى الاتحاد الاشتراكى قبل ١٤ مايو اذ كنت مقررا للجنة السياسية وهو عضوا فيها .

وفى المرتين تمكنت من وقف اتخاذ المدعى العام لاجراءات ضد خالد محيى الدين واحمد الخواجه ، غير اننى لم اتمكن من وقف بعض الاجراءات السياسية التى اتخذت بناء على اصرار من السادات .

واذكر ان السادات كان قد اصر فى ذلك الحين على حل المجلس المصرى للسلام الذى كان يرأسه خالد محيى الدين ، وكان الاتحاد الاشتراكى يرعى هذا المجلس ويخصص له مقرا فيه ، فاصر السادات على حل المجلس واغلاق مقره ، وقد امكنتنى ان اوقف هذا الاجراء فى ذلك الحين ، وان انقذ الموقف باتفاق مع غالبية اعضاء المجلس ، وهم ينتمون الى تيارات فكرية مختلفة ، بان يتولى سعيد خيال وهو عضو قديم فى حركة السلام رئاسة المجلس مؤقتا ، حتى يمكن تصفية الجوبين السادات وخالد محيى الدين ، كانت هناك معارضة لهذا الاتجاه ، غير اننى تغلبت عليها واستطعت ان ابقى

على المجلس المصرى للسلام ، ولكن كان ذلك الى حين ، حيث اصدر السادات بعد اتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، قرارا بحله واغلاق مقره .

واعود الى قصة مراكز القوى فبعد انتهاء المحاكمة ، اتصل بى حافظ بدوى ، وكان رئيسا لمجلس الشعب ورئيسا للمحكمة الخاصة ، التى شكلها السادات لمحاكمة المتهمين فى قضية مراكز القوى ، وطلب منى موعدا عاجلا على ان يكون ذلك فى منزلى لأهمية الموضوع وسريته ، وجاء حافظ بدوى الى منزلى فى حالة هلع شديد ، بادرنى بشكر طويل فى شخصى وبأننى الوحيد الذى يستطيع ان ينقذه من المأزق الذى وقع فيه . سألته ان يوضح لى الموضوع فقال ان هناك ضغوطا شديدة على المحكمة للحكم بالاعدام على بعض المتهمين ، وان السيد بدوى حمودة رئيس مجلس الدولة السابق (واحد اعضاء هذه المحاكمة الخاصة) قد هدد بالانتحار بالقاء نفسه من على كوبرى قصر النيل ، ولكنه عاد واستجاب ، بعد ضغوط شديدة ، للحكم بالاعدام على بعض المتهمين ، بشرط ان يعد السادات وعدا صريحا بتخفيف حكم الاعدام ، وقال لى حافظ بدوى أننى الوحيد الذى يستطيع ان يحصل من السادات على هذا الوعد . وقع على هذا الخبر وقع الصاعقة فاکثر المتهمين كانت تجمعنى بهم علاقات عمل وقبل ذلك علاقات انسانية ، وقد اختلفت معهم واختلفوا معى ، وامنت اننى على صواب ، وامنوا انهم على صواب ، ودخلنا معركة كان كل منا يعرف انها قد تكلفه الكثير ، ولكن ان يصل الأمر الى الاعدام جعل الصورة تبدو امامى مروعة ومخيفة .

هذا من جانب ومن جانب آخر لم اكن اريد للسادات ، وانا مستشاره ، ان يبدأ عهده بمذبحة دموية ، تذكرنا بمذبحة المماليك ، وفى قضية مهما قيل حولها فهى قضية سياسية ، لا تتجاوز صراعا على السلطة ، حسم لصالح السادات . كانت

قناعتي في ذلك الحين انها ليست اكثر من ذلك ، ولكن الحقيقة
تكشفت لي بعد ان اكتملت الصورة ، لقد كانت خطوة على الطريق
الذي رسمه السادات ، اورسم للسادات ، تتابعت بعدها خطواته
على نفس الطريق لتصل بنا الى ما وصلنا اليه ...

استحلفني حافظ بدوي ان اتوسط لدى السادات ، واستعجلني
لأن الاحكام ستعرض في ظرف يومين على السادات للتصديق
عليها . كنت اعرف ان السادات يستجم في حلوان ولم يكن قد بدأ
بعد في « هواية جمع الاستراحات » فاستأجرت له الرياسة فيلا
صغيرة في حلوان كانت تملكها وتديرها كفندق سيدة يونانية ،
وذهبت اليه وكان كعادته مسترخيا ، وعرضت عليه بعض المسائل
ثم فاتحته في الموضوع ، سألته ان كانت هناك نية مبيتة على اعدام
احد المتهمين ، فرد على قائلاً انه عقد العزم على اعدام علي صبري
وسامي شرف ولم يستقر بعد على رأي نهائي بشأن آخرين .

حاولت بكل وسيلة هداني الله اليها ان اثنيه عن نيته ، واستمرت
محاولاتي اكثر من اربع ساعات ، قصصت فيها قصصا من التاريخ
وعرجت على مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم وعفوه حتى عن
الكفار ، وانتقلت من الترغيب الى التهديد وانا اشير الى ان الاعدام
يحول المتهم السياسي الى شهيد ، وانه سيخلق منهم ابطالا في
التاريخ ...

وفي تلك الجلسة رأيت وجها جديدا للسادات أصابني بالرعب
والاحباط ، واصراره يزداد ، وعبارات الكراهية تتكرر على لسانه ،
وهو يردد أنه انتظر هذه اللحظة منذ وقت طويل ، وادركت فجأة ،
وبعد اربع ساعات من محاولة اثنائه عن عزمه ، استحالة محاولتي ،
ونظرة متعطشة الى الدماء تطل من عينيه .

انتفضت واقفا بلا وعي وانا اقول : يستحيل عليّ وانا
مستشارك ان اتحمل عبء هذا القرار .

ولفحتنى امواج الكراهية والتهديد ، وهو ينفجر فى ثورة عارمة قائلاً : اذا كنت تريد ان تستقيل فالباب مفتوح ولا تتصور ان لك فضلاً علىّ وحسابنا سيكون فيما بعد ..

وعدت الى منزلى واعتكفت فيه ، ولم اذهب الى مكتبى فى اليوم التالى ، صممت على الا اكون جزء من نظام يلوث يديه بالدماء ، وعانيت يوماً فيما يشبه الحمى ، العجب من هذا الوجه الجديد الذى اكتشفته فى السادات ، والشك فى امكانية ان يؤدى نظامه الى البعد الديمقراطى السليم ، الذى كنت اتطلع أن اكون من بين العاملين على اضافته للبعد الاجتماعى لثورة ٢٢ يوليو .

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التالى اتصل السادات بى تليفونيا فى منزلى وقال : طلبتك فى مكتبك لاننى اعرف انك دائماً فى مكتبك ، ولكن قيل لى انك لم تذهب اليوم الى مكتبك ، وسأنتظرك فى الساعة السادسة فى منزلى (منزل الجيزة) .

ذهبت فى الموعد المحدد ، وعرفت وانا فى طريقى الى الصالون ، ان السادات مجتمع بهيئة المحكمة العسكرية التى نظرت قضية الفريق اول محمد فوزى فى مكتبه ، وفى الصالون وجدت هيئة المحكمة التى حاكت بقية المتهمين ومعها ممدوح سالم وزير الداخلية . كان السيد بدوى حموده يجلس صامتا ، والحوار محتدم بين حافظ بدوى وحسن التهامى (العضو الثانى فى المحكمة الخاصة) وموضوع الحوار حول « الفسيخ » وهل يعتبر من الميئة التى حرمها القرآن .. كان حسن التهامى يدافع عن هذا الرأى بينما كان ينكره حافظ بدوى ، « وويل للشجى من الخلى » سلمت على الجميع وجلست صامتا وانتظرت طويلا حتى رأيت هيئة المحكمة العسكرية تغادر مكتب السادات ...

طالبنى السادات بعد ذلك لمقابلته ولم اكد اجلس على مقعدى حتى بادرنى الى القول ان احدا من المتهمين لن يعدم ، و اضاف أنه

مضطر الى تخفيف احكام الاعدام لأن المحكمة العسكرية التى كانت تحاكم الفريق اول محمد فوزى المتهم الاول فى القضية لم تجد فى القانون العسكرى ما يسمح لها بتوقيع حكم الاعدام على الجرائم التى ارتكبها ، وعلى ذلك لم يصبح من المناسب ان يصدق على حكم بالاعدام ، على المتهمين المدنيين وبنفس الجرائم ، واكد السادات انه يخفف حكم الاعدام لا استجابة لرجائى او تهديداتى ولكن بسبب موقف المحكمة العسكرية وطلب منى ان اعود الى مكتبى .. وعدت لأكمل مشوارا بدأت به ، واعتقدت ساعتها انه فى صالح مصر ، عدت لاكافح واتصدى واحاول ما أمكننى ان اوقف اى انحراف عن هذا الهدف ، ولكن صورة السادات لم تعد قط فى خيالى ، الصورة التى صورتها عنه ..

وبدأت من هذا اليوم أخذ حذرى من السادات

على ان القصة لم تنته ، فقد نجح السادات فى املاء احكام مسبقة على خصومه عن طريق تحقيق وادعاء تولاه المدعى العام ، وهو موظف عام يستطيع السادات ان يعينه وان يقيله وقتما يشاء ، وعن طريق محكمة خاصة كان على رأسها رئيس مجلس الأمة ، وكان شيخا من شيوخ القضاء فى مصر (رئيس مجلس الدولة السابق) عضوا فيها وشكل كل ذلك قنائه عند السادات بانه من الممكن تحقيق اطماعه وطموحاته بالقانون والقضاء .

وحاول السادات منذ البداية ان يستميل القضاء ، مرردا بعض الشعارات عن دولة المؤسسات وسيادة القانون واستقلال القضاء مستجيبا ، الى ما طلبه القضاء من عودة زملائهم الذين سبق ان ابعدوا عن القضاء (فيما سمي بمذبحة القضاء) ومستجيبا ايضا الى بعض المطالب الخاصة برجال القضاء واتخذ من وشاح القضاء شعارا له .

ولم يدم هذا الود طويلا ، فالسادات فى سعيه الى الاستئثار بالسلطة ، وفرض حكمه الفردى المطلق والقضاء على كل صور

المعارضة وافراغ كل مؤسسة من مضمونها كان ينتظر من كل مؤسسة ان تكون طوع امره وان يكون قوله فيها هو القول الفصل . واستطاع السادات عن طريق حكمه البوليسى ووزير داخلتيه (النبوى اسماعيل) ان يطوع مجلسه (ولا اقول مجلس الشعب) لما اراد ولكن استعصى عليه ان يطوع القضاء لما يريد رغم الضغوط التى باشرها السادات على القضاء ورغم الاساليب الفاضحة التى لجأ اليها وزير عدله (انور ابوسحلى) فى التدخل فى القضايا وفى التأثير على القضاء وفى املاء تشكيلات واشخاص معينة فى المحاكم وفى النيابة وفى التأثير المذرى فى انتخابات نادى القضاة صمد القضاء وانتفض القضاء المصرى عملاقا شامخا - كما كان دائما - وكان لنادى القضاة موقفه الحاسم فى رفض قانون حماية القيم من العيب ، هذا القانون الذى توج به السادات ترسانة القوانين الاستثنائية البغيضة التى توالى على مصر فى عهده منذ ١٩٧٧ وحتى حادث اغتياله فى ١٩٨١ ، وصدر حكم محكمة امن الدولة العليا برئاسة حكيم منير وعضوية الاستاذين على عبد الحكيم عمارة واحمد محمد بكار - المستشارين بمحكمة استئناف القاهرة فى ١٩ ابريل ١٩٨٠ فى قضية احداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٩ ، والتى اسماها السادات بانتفاضة الحرامية - صدر حكم المحكمة باسقاط دعوى السادات واحكامه المسبقة على الشرفاء والوطنيين التى ظل يرددها طوال اكثر من ثلاث سنوات ، ووضعت المحكمة هذه الاحداث فى اطارها الصحيح محددة اسبابها ومسبباتها الاقتصادية والاجتماعية ، بوصفها انتفاضة شعبية تلقائية ، تعبيرا عن سخط الجماهير ، على رفع اسعار الحاجات الضرورية والتضخم والغلاء والانهاك الاقتصادى والاجتماعى الذى اذل القاعدة العريضة من الشعب .

وحملت هذه المواقف وغيرها كثير وعظيم ، السادات على ان يكشف عن وجهه الحقيقى وكراهيته لرجال القضاء والقانون فاذا

بتشريعات مجلسه (مجلس الشعب) تتوالى تسحب من النيابة اختصاصها في التحقيق في بعض القضايا ، وتقيم اشكالا وصورا جديدة من المحاكم يجلس في مجلس القضاء منها اشخاص من غير القضاة الطبيعيين واذا بالسادات يحمل حملة شعواء على القضاة لموقفهم من قانون حماية القيم من العيب ، جاءت حملته مرة بصفته رئيسا للجمهورية في خطابه الى مجلس الشعب في ١٤ مايو ١٩٨٠ ومرة بصفته المزدوجة كرئيس للجمهورية وكرئيس للحكومة في الاجتماع الذي عقده لمجلس الوزراء الموسع في ١٩ مايو ١٩٨٠ وطالب السلطة القضائية في خطابه الاول بأن تتولى امر المعارضين لمشروع القانون من داخلها وطلب الى وزير عدله أنور (انور ابوسحلي) في الاجتماع الثاني بمواجهة الامر بلجنة للقيم من داخل القضاء .

وامتدادا لغضبة السادات على رجال القانون بسبب تمسكهم باحترام الشرعية جاءت اجراءاته الاستثنائية ضد المجلس الشرعي لنقابة المحامين على وقفته ضد القوانين والاجراءات الاستثنائية وفي مقدمتها قانون العيب الى جانب مواقفهم الوطنية ضد تنازلاته الوطنية والقومية .

وقد اشرت في كتابي « مصر الى اين ؟ » الذي امر السادات بمنع تداوله الى خطورة هذا الاتجاه المعادي لرجال القضاء والقانون فقلت :

ويكل الامانة نحاول ان ننبه الى خطورة هذا الاتجاه من الحزب الحاكم وان نعيد الى الذاكرة — وما كنا نريد ان ننير هذه الذكرى — ما جرى في المانيا في ظل حكم الحزب النازي ، فقد اثارت صحف الحزب نكرة الكراهية للمحامين والمحاكم وكثفت من حملات الاثارة ضد بعض افراد القضاء وضد المحاكم بوجه عام لموقف المحاكم منذ تسلم النازية الحكم في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ من التأكيد على

ضرورة احترام المشروعية وكان من نتيجة جو الكراهية هذا ان فقدت المحاكم استقلالها تحت ضغط الحزب الى ان اعلن هتلر رسميا الغاء استقلال القضاء في خطاب مليء بالكراهية القاه امام البرلمان في ٢٦ ابريل ١٩٤٢ وهكذا حلت السلطة المطلقة محل سيادة القانون كاساس للدولة .

تنبأت بذلك في يونيو سنة ١٩٨٠ في الكتاب المشار اليه وشاء الله ان ينجينا من هذا المصير

وفي سياق هذه النزعة الدموية ارجو ان يسمح لي القارىء بأن اتحدث عن نفسي وان كان الحديث عن كل شريف غيبه السادات وراء قضبان سجنه .

فقد ساقنى السادات الى سجنه في حملته الارهابية في فجر ٣ سبتمبر ١٩٨١ وكان يعلم اننى اصبت بجلطة في المخ في سنة ١٩٧٢ وان علاجى استمر اكثر من اربعة اشهر بين القاهرة ولندن ، اعقبته بعد ذلك ازمة قلبية اصابته الغشاء الاسفل للشريان التاجى واننى اعيش تحت عناية طبية مكثفة لاحتمال اصابة الغشاء العلوى للشريان التاجى باصابة يتوقف معها القلب (وقد اصابتنى فعلا بعد خروجى من السجن في ازمة حادة مازلت اعالج من اثارها) القى بى في زنازين سجنه في ظروف صحية قاسية ودون ادنى رعاية طبية ولما تحرك مدير القسم الطبى في مصلحة السجون وجاء الى السجن ليعاود المتحفظ عليهم ومنهم من تجاوز السبعين من عمره كان يعمل وفريقه الطبى تحت رقابة مشددة من عيون مباحث امن الدولة التى كانت تتحكم تحكما كاملا في سجن السادات كان خوفه من المباحث وخوف مساعديه يرتفع احيانا فوق المهنة وامانتها ومسئولياتها وفي حالتى وجد الامر خطيرا بعد ان اطلع على رسم القلب الذى عمل باجهزة بدائية في السجن ..

خرج يهرول الى وزارة الداخلية ليرفع الامر الى وزيرها نبوى

اسماعيل وابدى برأيه الطبى فى ضرورة نقلى الى مستشفى متخصص
ووضعى تحت العناية المركزة لمتابعة تطورات حالتى الخطيرة ..
ونقل النبوى هذه الصورة الى السادات ورفض السادات ان انقل
الى مستشفى القلب فى امبابه فنقلت الى مستشفى سجن الاستقبال
فى طره هذا السجن الذى بنى وشيد واقيم فى عهد السادات لىكون
السجن الرهيب الذى يلقى فيه بضحاياه وما اكثرهم .

ونقلت على عجل الى هذا المستشفى - الذى سسمى مجازا
بالمستشفى - وليس فيه ادنى وسائل الرعاية الطبية حتى انبوية
الاوكسجين التى جاؤا بها الىّ لأتنفس من خلالها عندما تضيق
انفاسى كانت معطلة عن العمل

وبقيت فى مستشفى السجن اكثر من اسبوعين وانا احاول ان
استقدم طبيبى المعالج ويسوف فى اجابة طلبى فأضربت عن الطعام
حتى توفر لى اسباب العلاج والرعاية الطبية فاعادونى الى السجن
بأمر السادات لالقى المصير الذى كان يستعجله السادات ...

ترك انسان يموت بلا اسعاف ورعاية .. مع سبق الاصرار
والترصد .. هكذا وصل العنف السلطوى الى ان ينزع من الانسان
مشاعر الانسان ، وأن يرتكب الانسان جريمة فى حق اخيه
الانسان ، وهذا ما كان من شأن الشهيد المهندس الدكتور عبد
العظيم أبو العطا وزير الرى السابق وسكرتير حزب مصر ، احد
ضحايا السادات فى حملته الارهابية فى سبتمبر سنة ١٩٨١ وتحملت
اختى الصغيرة صفية ، بعد أن غيب السادات اختى الدكتورة
لطيفة الزيات ، التى كانت ترعى صحتى وصحة والدتى المسنة
القعيدة ، غيبها وراء قضبان سجنه ، تحملت اختى الصغيرة كل
صنوف القهر الى جانب رعايتها لأولادها تحملت رعاية امى المسنة
القعيدة التى يعرفها السادات حق المعرفة ، والتى طالما اشاد
بافضالها عليه قبل رئاسته للجمهورية ، تحملت اختى الصغيرة اشد

صنوف القلق على صحتي ، وانا الاخ الأكبر الوحيد لها ، قضت اياما طوال تحاول ان ترسل الادوية الضرورية لاستمرارى فى التنفس ولا مجيب ، مباحث امن الدولة تحيلها على مصلحة السجون التى تعيدها بالتالى الى مباحث امن الدولة .

لم تترك صحيفة من الصحف المسماة بالقومية الا وطرقت بابها، لتستنجد بمن فيها ولا مجيب فالعنف السلطوى كان قد جمد القلوب والمشاعر خوفا وتزلزا .

وتطوعت صحفية حديثة تعمل تحت التمرين فى مجلة المصور لتحمل مسئولية القيام بهذه المهمة الانسانية التى تخلفت عن القيام بها كل اجهزة العنف السلطوى .

وعلمت بعد خروجى من سجن السادات ان هذه الصحفية الانسانية كانت تحضر اجتماعا فى مجلة المصور وكان فيه مكرم محمد احمد رئيس التحرير ، وتصدرته السيدة سكيانة السادات الاخت غير الشقيقة للسادات ، وخلال الحديث ذكر مكرم محمد احمد انه ذاهب الى ليمان طره لزيارة معينة فسألته الصحفية الانسانية اذا كان من الممكن ان يأخذ بعض الادوية معه لايصالها الى السجن ، فابدى مكرم استعداداه لذلك ، واذا بالسيدة سكيانة السادات تنهر الصحفية الانسانية ، وتنهر رئيس التحرير ، وتنهال على الصحفية الانسانية ، باسئلة واستجابات وكأنها نذبت للتحقيق من المدعى العام الاشتراكى ، او من مباحث امن الدولة او من نيابة امن الدولة .

هذه الصحفية الانسانية كانت تنتظر فى لهفه تعيينها فى مجلة المصور ، بعد استكمال تمرينها وحصولها على موافقة كل من عملت معهم ، وفى مقدمتهم رئيس التحرير نفسه ، توقفت اجراءات تعيينها ، لينقل اليها رئيس التحرير بعد ايام اسفه الشديد للاستغناء عنها .

خرجت من عملها فى المصور لأن السيدة سكيانة السادات رأت

هذا ولا راد لمشيئتها .. اليست هي اخت - ولو انها غير شقيقة
للسادات .

واذا كانت لهذه الصحفية الشريفة تحية تقدير واعزاز فان
للسيدة سكيمة السادات قصة بل قصص يتوقف قلمي عن الخوض
فيها .

حتى التقارير الطبية ، والرسومات التي ارادت اختي ، ان تكون
تحت نظر الاطباء المبتدئين الذين كانوا يعاودونني في السجن
ومستشفى السجن ، صادرتها مباحث امن الدولة وما زالت الى اليوم
حبيسة ادراجها .

اعود الى سجن السادات فاذا ذكر انه عندما كان يمسي الليل ، وانا
نائم على ارض الزنزانة ، كان يسرح بي فكري الى سنة ١٩٧١ . كان
السادات قد وضع من اسماءهم بمراكز القوى وراء قضبان سجنه ،
وكان ينتظر كل مساء وقبل نومه ممدوح سالم وزير الداخلية ليأتيه
بالتقرير اليومي عن المسجونين ، كان يصادف وجودي معه دخول
ممدوح سالم عليه فكان يبادره بالسؤال ايه يا ممدوح مفيش
« استرحامات » كان ينتظر من هؤلاء الذين القاهم وراء قضبان ،
سجنه ان يقدم كل واحد منهم استرحاما ، يلتمس فيه عفو
ومغفرته ، وان يعترف بخطئه ويقرب بأن ما صدر عنه صدر عن حسن
نية او عن خديعة غيره ، وانه لا يحمل لشخصه غير الولاء
والاخلاص . كان يقبل على قراءة تقارير ممدوح سالم في نهم
المتشفي - وهو الزاهد في قراءة اي تقرير من التقارير التي تتكدر
امامه والتي تتعلق بالمشاكل التي تحيق بالبلاد .

كان يضحك اذا تضمن التقرير ما يشير الى وقوع خلاف او
منازعات او مشاكل بين المسجونين ، وكان يقرأ كل خطاب يرسله
اي مسجون الى أسرته ، وخطابات اولاده او زوجته اليه ، يتشفي
فيما اصابهم من آلام واحزان كان يعتقد ان اول من سينهار ويسارع

الى الاسترحام ، هو محمد فائق الذى كان وزيرا للاعلام ، وفى كل ليلة يبادر بسؤال ممدوح هل وصل الاسترحام المنتظر ، وكان يرد بالنفى فيستشيط السادات غضبا .

كان يقول ان فائق رقيق ولن يتحمل السجن طويلا ، ولما طال الوقت كان يقول لى « قريبك ظهر انه ندل » ... وكان يعرف ان هناك علاقة قرابة بين والدته محمد فائق ووالدته ، من أحاديثه التى كانت تطول مع والدته ، خلال زياراته المتعددة لمنزلى ، قبل رئاسته للجمهورية .

خاب امله فى فائق فقد رفض كل العروض وظل صامدا شامخا ، ولم يخرج الا مع دفعة خرجت فى مايو ١٩٨١ ، اى بعد عشر سنوات من السجن ، ليعيد السادات وضعه فى السجن ، مع زميل سجنه عشر سنوات فريد عبد الكريم الذى اجمعت التقارير الطبية التى وضعتها اللجان التى شكلتها مصلحة السجون ووزارة الصحة على ضرورة الافراج عنه صحيا ، ونحا السادات كل هذه التقارير الطبية جانبا واعاد فريد عبد الكريم الى السجن فى حملته الارهابية الاخيرة فى ٢ سبتمبر ١٩٨١ .

كان يسرح بى الخيال بعيدا ، واتصور نبوى اسماعيل بديلا عن ممدوح سالم ، وهو يقدم التقرير اليومى للسادات ، ليقراه بنهم وتشفى ، كما كان يقرأ تقارير ممدوح سالم بنفس النهم والتشفى ... ولم يكن هذا مجرد خاطر ، ففى يوم اشتد الاخذ والرد بينى وبين مفتش المباحث المشرف على السجن لطلب طلبته ، وكانت لائحة السجون تسمح به ، ببطانية ثانية لشعورى بقشعريرة فى ليل السجن البارد ، وانا نائم على الأرض ، ذل لسانه خلال المناقشة ، فقال انه على ان اكتب فى التقرير اليومى الذى يرفعه النبوى الى السادات أننى اعطيتك بطانية ثانية وقد اعاقب على هذا ، لابد ان انتظر حتى اتلقى التعليمات من الوزارة فى شأن البطانية الثانية ..

وفي سكون ليل السجن ورهبته سألت الله ان يمنحني القوة حتى
اخر لحظة من انفاسي ، لافسد على السادات لذة الانتصار على
نفسي ، بعد ان أذل بدني .
واحمد الله ان استجاب لدعوتي .





الرئيس المؤمن .. وزجاجة من الخمر (')

الفصل العاشر

الشباب بين الحوار والعنف

جاء شهر ديسمبر ١٩٧١ ، وكادت السنة التي سماها السادات بسنة الحسم ، تنتهى بلا حسم ، وتصاعد العمل السياسى فى الجامعات ، وعبر الطلبة عن غضبهم من تميع الموقف ، بصحف الحائط التى تندد بالموقف الداخلى والخارجى ، ويتصاعد عقد الندوات والاجتماعات والمؤتمرات .

ولم يكن الغضب قاصرا على الطلبة ، فقد امتد الى الجبهة الداخلية باكملها ، فعام الحسم انتهى بلا معركة ، بل انتهى دون تسخين الجبهة (على رأى العسكريين) كانت جبهة المواجهة باردة كالثلج ، فى حين كان ابناؤنا فى القوات المسلحة يتوقون الى خوض المعركة العسكرية ، ويعيشون على خطوط القتال ، وقد اثقلتهم التدريبات ، واصابهم ملل الانتظار وآلام الغربة عن البيت وعن الاسرة . واصيبت الجبهة الداخلية بخيبة امل ايضا ، انعكست اثارها بصفة خاصة على الشباب ، والشباب دائما هوروح الوطن ونبضه واحاسيسه ومشاعره .

وانتشرت فى البلاد شائعات - بحق او بغير حق - عن الحلول الامريكية ، بل ان امريكا اخذت تذيع فى كل مكان ان الدبلوماسية الهادئة بينها وبين السادات مستمرة ، وان التفاؤل موجود ، وان هناك حل (جائ فى السكة) ، بل زادت امريكا على ذلك بالقول ان مصر قبلت الحل الجزئى . وكان للاقتراح الذى عرضه السادات فى ٤ فبراير من ذلك العام بانسحاب جزئى للقوات الاسرائيلية على الشاطئ الشرقى لقناة السويس ، وتطهير قناة السويس ، واعادة فتحها للملاحة الدولية ، كان لهذا الاقتراح اثره فى بلبله الافكار .

وكانت احاديث السادات وخطبه وكلماته تنصب كلها على اعداد الجبهة الداخلية للقتال ، وعلى ان المعركة لن تقتصر على جبهة القتال ، بل ستمتد الى اعماق البلاد ، الى قراها ومزارعها والى مصانعها ، والى الانسان المصرى فى كل مكان ، ولم يتخذ السادات خطوة ايجابية على هذا الطريق ، يلمسها الناس ، ويشعرون بحق انهم على وشك مواجهة المعركة .

واققتصاد الحرب الذى تردد فى كتابات المتخصصين ، وفى مقالات الصحفيين ، وفى احاديث السادات لم يتجاوز - كثيرا مجرد الأقوال ، رغم الالحاح فى المطالبة به فى فترة مبكرة ، وعلى وجه التحديد منذ ان بدأت الامانة المؤقتة للاتحاد الاشتراكى بعد مايو سنة ١٩٧١ ، ثم بعد ان توليت سكرتارية اللجنة المركزية فى اواخر يوليو سنة ١٩٧١ .

كان من الطبيعى ان يغضب الشباب ، وان يعبر عن غضبه فى هذه الاجتماعات والندوات والمؤتمرات التى تصاعدت فى شهر ديسمبر سنة ١٩٧٢ .

وأذكر بعد ان انتخبتنى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى سكرتيرا اول لها فى اواخر يوليو سنة ١٩٧١ ، ان وضعت امامى فى ذلك الحين خرائط وتنظيمات وانشطة منظمة الشباب ، عدة الاف من الشباب يغطون الجمهورية كلها من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب لقنوا ثقافة سياسية ، قد تكون فجأة ولكنهم يستطيعون ان يتابعوا مجرى الاحداث على المستوى الوطنى والقومى والعالمى ، ويستطيعون ان يشاركوا بالرأى فى قضايا وطنهم وعصرهم .

كان هناك نظام دورى للمعسكرات ، حيث تجتمع اعداد من الشباب للاستماع الى محاضرات يلقيها اساتذة متخصصون فى مختلف مراحل الحياة ، ولكن هذه المعسكرات ، كانت قبل ذلك ،

حلقات مناقشة وحلقات تعارف ، تربط الاساتذة وتربط الدارسين بعضهم البعض ، وتخلق صداقات روحية بين المشتركين في المعسكر . ناقشت الموضوع من كل جوانبه مع الدكتور محمد كمال ابو المجد الذي استقدمه السادات من امريكا ، وكان يعمل مستشارا ثقافيا ، وأسند إليه شئون الشباب في الامانة المؤقتة ، وقد اشترت في موضع آخر الى الرابطة التي تجمعها بجماعة الاخوان المسلمين ، ناقشت الموضوع من كل جوانبه مع الدكتور ابو المجد وانتهينا الى قناعة باننا لا بد ان نستأنف وباقصى سرعة ، انشطة الشباب ، وفي مقدمتها معسكرات تثقيف الشباب ، فنحن لا نستطيع ان ننشئ منظمة للشباب من العدم ، ولدينا منظمة موجودة فعلا ، ويمكن من خلال الممارسة ، ان نتكشف اسلوب عمل جديد ، او اخطاء يمكن تصويبها ، او انحرافات يمكن اصلاحها ، وبذلك نخلق المقومات الاساسية لنقيم تنظيما جديدا .

قابلت السادات وناقشته في موضوع المنظمة ، واستئناف نشاطها ، بالصورة التي انتهت اليها قناعتنا ، ثار السادات ثورة عارمة وقال « ان كل من في المنظمة عدوى ، انهم شيوعيون . انهم اذئاب مراكز القوى .. لقد طالبت بتنظيم شبابي جديد يكون مواليا لنا ... » .

ومضى السادات يقول : اريد تنظيما قويا من شباب اشداء يمكن ان يتصدى لاعدائنا من اذئاب مراكز القوى ، كذلك اريد تنظيما نسائيا ترأسه سيدة (تكون راجل) في قوتها وفي تصرفاتها وتصدى لآخرين ..

قلت اننا نتكلم عن اعداء ونحن ما زلنا في اول الطريق ، وكيف لنا ان نحكم مسبقا على الشباب ، ونحن لم نستمع اليه ولم نره ولم نتناقش معه ، اننا اذا تخطينا تماما عن المنظمة القائمة فعلا بهياكلها وعضويتها وخطوط اتصالاتها ، فقد نخلق جبهة من الاعداء ، وقد يكون في المنظمة عناصر طيبة نستطيع ان نصل اليها

وان نستقطبها ، ومهما كانت هذ النسبة ضئيلة فانها مكسب على كل حال .. ان السياسة عملية اختراق ، كما يقول العسكريون وعملية حوار ، وهى قبل كل ذلك عملية نضالية مستمرة ...
اصر السادات على رأيه ، فى ضرورة حل منظمة الشباب ، لأنها تدين بالولاء لعل صبرى وكل من كان يشرف عليها من المتأمرين .
وعدت الى مناقشة الموضوع مرة اخرى مع السادات ، وكان ذلك بحضور ممدوح سالم ، واشهد ان ممدوح سالم كان فى هذه المرة مقتنعا برأىي .

واخيرا انتهى السادات كعادته بان قال « اعمل الى انت عايز تعمله »

وبدأنا فى الاعداد لمعسكر للشباب فى نادى الشمس فى مصر الجديدة ، واعددنا كشفا بالمحاضرين وقد حاولت ان انتقيهم من مختلف الاتجاهات والمدارس الفكرية ، وتم كل هذا باتفاق مع الدكتور كمال ابو المجد ، وبترشيع للدارسين ، من امناء الاتحاد الاشتراكي فى المحافظات ..

رأست الحفل الذى اقيم فى اول معسكر للشباب وتحدثت فيه ، واذكر اننى شعرت ان استقبالهم لى لم يكن مرضيا — كان فاترا — على انه فى الوقت نفسه لم يكن عدائيا ...

وتركت المحاضرات والندوات ينظمها ويشرف عليها الدكتور ابو المجد ، واعتدت فى كل يوم ، وفى وقت متأخر بعد انتهاء عملي فى الاتحاد الاشتراكي ، ان اذهب الى المعسكر ، وان اقترب من الدارسين اكثر وان اجلس معهم جلسة اخوية نناقش بهدوء كل ما كان يدور من احداث ..

وأثمرت هذه اللقاءات الشخصية ، واستطعت ان اقيم علاقات طيبة مع كثيرين من الشباب الدارسين واذكر اننى تحدثت بعد انتهاء مدة الفوج الأول واننى كدت ابكى من حرارة الوداع الذى ودعنى به هذا الشباب ، وتكررت دفعات الشباب .

واشتد الهجوم على من محمود ابو وافية (عدل السادات) ورفاقه من ذوى الخطوة لدى السادات فقد كان معاديا عداء سافرا لمنظمة الشباب ، بسبب موقفها منه في البحيرة خلال الانتخابات التى سقط فيها ...

كان محمود ابو وافية يهمس في اذن السادات ومعه اصحاب الخطوة : لقد عادت منظمة الشباب الشيوعية ، واخذ الزيات يمد نفوذه عليها ، واخذت هذه العبارات التى تسكب في اذان السادات ، تتناثر هنا وهناك وفاتحنى السادات حول هذه المخاوف ، فقلت له انه يمكن ان يطلب من الدكتور كمال ابو المجد وهو يعرف اتجاهاته ، تقييم هذه العملية ليطمئن على سيرها .

وفي مناسبة حضرت اجتماعات للجنة العامة لمجلس الشعب ، بوصفى السكرتير الأول للجنة المركزية وكانت مشكلة من رؤساء لجان المجلس ومن رؤساء المجموعات البرلمانية ، ومن عدد يختاره مكتب المجلس ، وكان محمود ابو وافية عضوا فيها وتناقشنا في موضوعات سياسية كثيرة ، وفي العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي العربى ومجاس الشعب ، واذا بمحمود ابو وافية ينتقل بنا الى حديث اخر ، تحدث عن منظمة الشباب ، وقال ان المنظمة عادت بكل عفنها ومصائبها ، وقال ان التوجيه والتثقيف الذى يجرى فيها يتجه على غير خط السادات ، قلت له اننا نعرف ان خط السادات هو خط عبد الناصر ، قال السادات هذا ، واكده في خطبه وبياناته فاذا كان محمود ابو وافية يعرف خطا آخر للسادات فارجو ان يوضحه لنا حتى نعيد حساباتنا .. وعلى كل فلن اقبل ملاحظات ، على ما يجرى في اعداد الشباب ، الا في اطار مناقشة تجرى حول ذلك في مكانها الطبيعى في اللجنة المركزية .

لم اقصر اتصالي بالشباب على الاجتماع بهم في معسكراتهم ، ولكنى بدأت ايضا استقبل جماعات من الشباب من اتحادات الطلبة في الجامعات ، ومن العناصر القيادية الطلابية ، وبدأ ايضا ممدوح

سالم يتصل ببعض شباب الجامعات المنتمين لجماعات دينية ،
وبعض الاتحادات الطلابية ومعه فريق من أعضاء اللجنة
المركزية ..

كنت مطمئنا الى ان عملية الحوار السياسى لابد وأن تثمر ، قد
تكون بداية متواضعة ولكن الحوار السياسى المفتوح هو وحدة
الطريق الصحيح ..

عندما بدأ التحرك السياسى للطلبة فى شهر ديسمبر ١٩٧١ فى
الجامعات ، وعندما تصاعد فى شهر يناير سنة ١٩٧٢ ولم نكن فى
الاتحاد الاشتراكى نعتبر هذا خطرا او مخططا أو مؤامرة ، لكننا
نعتبره ، وان حدثت بعض التجاوزات ، تعبيرا طبيعيا عن ضيق
الشباب ، وفى مواجهة ذلك كثفنا من الاجتماعات التى كنا نعقدنا مع
الجماعات الطلابية ، ولم تكن الاراء متباعدة او متناقضة او
متعادية ، فقد كان ما ينادون به ضرورة تشعبها الحكومة ، ويشعر
بها السادات نفسه ، ويشعر بها التنظيم السياسى .

ولم يكن غرضنا ان نكبت الطلبة عن التعبير عن غضبهم ، او ان
نقهر نشاطهم ، او نسيطر على تعبيراتهم ، ولكننا كنا نريد ان نلتقى
على ارض مشتركة من اجل معركة حتمية ، ان لم تتحقق عام ١٩٧٢
فان الضرورة ستفرضها عاجلا او آجلا .

ومرة اخرى اقول اننا اتبعنا الطريق الذى لا بديل عنه فى مجتمع
مفتوح وديمقراطى ، وذهبنا الى اكثر من هذا واقترحنا على
« السادات » ان يبدأ عقد لقاءات مع اتحادات الطلبة ومع
قياداتها ، ولتكن اجتماعات يعد لها جدول زمنى وتكون ضيقة على
قدر الامكان .

ولكن السادات منذ بداية العام الدراسى فى ١٩٧٠ كان يردد
مسامعى فى كل يوم ، انه يشم رائحة مؤامرة أو مخطط عدوانى ،
وعلىنا ان نواجه هذا المخطط ، ونحبط المؤامرة ، وكنت اساله كلما
ردد امامى كلمة مؤامرة او مخطط ، عما اذا كانت قد تجمعت لديه

معلومات من اجهزة معلوماته ، يستفاد منها ان هناك مؤامرة كان
يرد بان شعوره لا يكذب ...

وكنت اسأل نفسي كيف تسير السياسة ، ونتعامل مع الاحداث
بمجرد تخمين شخصي او شعور انسان بان وراء كل حدث مؤامرة .
احداث مايو مؤامرة ، حوادث الطلبة في شهرى ديسمبر وينساير
مؤامرة ، موقف اتحاد عمال مصر ، بالنسبة لاعدام الشقيع الشيخ
سكرتير عام اتحاد عمال السودان ونائب الرئيس العام للاتحاد
العالمى للنقابات مؤامرة ، سلسلة من المؤامرات لا وجود لها في
الواقع ولكنها تتولد وتتضخم في عقل السادات ، وعلى عيونه واجهزة
امنه ان تضخم له هذه المؤامرة او تلك ، او تخلق له مؤامرة ،
تساير طبيعته التآمرية والا كانت مقصرة او غير متعاونة او متخلفة .
وفي الايام الاخيرة من شهر ديسمبر كانت حركة الطلبة قد بلغت
قممتها . وفي مقابلة مع السادات انتقل الى مرحلة جديدة وهى مرحلة
ضرورة مواجهة مؤامرة الطلبة ولو بالدم ، وسألته هل ستحولها الى
حرب اهلية ونحن على ابواب حرب مع العدو .

ثارت ثائرتة وقال : لقد ضقت بسياستك وحوارك .. لقد حسمت
الموضوع - اننا في حاجة الى شباب (رجالة) يضربوا ويهاجموا
ويقتحموا ، وقد كلفت محمد عثمان اسماعيل (كان عضوا بمجلس
الشعب عن اسيوط وامين لجنة النظام في الاتحاد الاشتراكي في عهد
سيد مرعى ومحافظ اسيوط حتى صيف ١٩٨٣) ومعه عدد من
نواب الصعيد بان يعدوا لنا فرقا من طلبة الجامعات ، يسلحوها
ويدربوها .. وهناك الاخوان المسلمين يمكن كمان يتصدوا للطلبة
الى لهم لون .

واستطرد يقول : مش ممكن حوادث الجامعات هتنتهى الا
بالطريقة دى .. العنف وحده هو الذى سيوقف هذه المهازل
والبذاعات انا مش فاضى لحوار وسياسة ، روح حاور انت .

لم احتمل هذا الموقف ، وكان اكثر من طاقتى ان احتمله ، فقلت للسادات اما وقد وصلنا الى هذا الحد ، ارى من واجبى ان اذكركم بتجربة الثورة مع الاخوان المسلمين ، واضطرارها الى التصادم معهم مرتين ، واذا بدأنا باستخدام العنف فان حلقاته لا تنتهى ، فالعنف يولد العنف ، وتغاضى المسئولين عن الأمن وفي الجامعات عن استخدام بعض الطلبة للمطاوى او الاسلحة الصغيرة في العدوان على طلبة آخرين يقودنا الى ما هو اخطر بكثير من ذلك .

قلت هذا الكلام ، واستأذنت في الانصراف ، فقد شعرت ان العلاقة بينى وبين السادات قد بدأت تقترب ، وانه لم يعد في حاجة الى ان يستمع لمشورتى ، وانه بات حبيس اوهامه التى تضخمها له اجهزته وذوى الحظوة عنده ..

واخذت الاحداث بالفعل تتداعى منذ ذلك الحين . ظهرت المطاوى في ايدى بعض الطلبة وهاجموا بها اخوانهم وزملاءهم ، وتظاهر بعض رجال الامن بانهم طلبة ، وتسترت اجهزة الامن على كل هذا ، وتسابق المسئولون في الجامعات والمباحث وامن الرياسة الى الاستجابة لرغبات السادات والاتصال بعناصر طلابية وتدريبها على التصدى ، ولعلنى اذكر نشاط مسئول كبير في جامعة القاهرة ، وكان في ذلك الحين نائبا لرئيس الجامعة لشئون الطلبة ، وقد شغل بعد ذلك مركزا مرموقا ، لعلنى اذكر نشاطه في تشكيل الأسر الدينية ، لتواجه الأسر التى شكلها بعض الطلبة الآخرين وفي اقامة المعسكرات الدينية وفي إحتضان الجماعات الاسلامية والتغاضى عن كل تجاوزاتها .

منذ يناير ١٩٧٢ تزايد نشاط جهات الامن ، المباحث وجهاز امن الرياسة . وتزايد تنافسها على تجنيد عناصر مأجورة من الطلبة . « للتصدي والاقتحام » تقريبا وزلفى للعنف السلطوى ، واصبحت التقارير التى ترفع للسادات من اجهزة امته ، تتضمن عبارات

التصدي الاقتحام ، وكانها بلاغات عسكرية ، « وتصدت قواتنا للعدو واقتحمت صفوفه وتجمعاته » ..

واصبحت الجماعات الدينية في الجامعات محور الرعاية ومحور الامل فمد لها المسئولون عن شئون الطلبة في الجامعات حبل التشجيع والتغاضي عن انشطتها ، بل والمعاونة في دفعها وتوجيهها ضد من وصفهم العنف السلطوى بذوى الالوان ، واذناب مراكز القوى ، وهم جموع الطلبة الذين ارادوا المشاركة في هموم وطنهم ، وهم جزء منها ، وهى جزء منهم .

ويمكن هذلا للجماعات الدينية ان تسيطر على كل الانشطة الجامعية ، وان تخضع ادارات الجامعات لارادتها . ورغم كل هذا استمر العمل السياسى فى مد وجزر ، وكان يواجه باشد انواع القمع والقهر من عملاء أجهزة الامن ، ومن الجماعات الدينية وعرفت بعض العناصر الطلابية طريقها الى المباحث وامن الرياسة لتقبض الثمن شهريا ، وانا لا اعرف على وجه التحديد ماذا جرى بعد خروجى من الاتحاد الاشتراكى فى سنة ١٩٧٢ ، ومن الوزارة فى سنة ١٩٧٣ ، غير ما كانت استمع اليه واقرأه عن تصاعد عمليات العنف فى الجامعات ، وعن سيطرة الجماعات الدينية على الاتحادات الطلابية ، بمباركة وتشجيع من بعض المسئولين فى الجامعة ، وما سمعته وقرأته عن سيطرة هذه العناصر سيطرة كاملة على كل أنشطة الجامعات — كما جرى فى جامعة اسيوط وفى كلية الطب فى جامعة القاهرة .

واقول على وجه خاص فى اسيوط حيث بدأ العنف السلطوى يمارس لعبته التى اتسعت وامتدت وتشعبت بعد ذلك .

حتى جاءت انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ بعد خمس سنوات من إنتفاضة الطلبة فى ١٩٧٢ من أجل تحرير الارض ، جاءت انتفاضة يناير ١٩٧٧ من أجل لقمة العيش وكان من الطبيعى ان يكون بعض طلبة الجامعات من بين عناصرها ، فهموم الوطن جزء

منهم وهم جزء منها .

ووصل العنف السلطوى الى قمته باصدار القرار بقانون رقم ٢ لسنة ١٩٧٧ . معاقبا بالاشغال الشاقة المؤبدة ، الامتناع عن الدراسة والمشاركة في تجمهر او اعتصام من شأنه ان يعرض السلم العام للخطر ، واستفتى الشعب على القرار بقانون ووافق عليه بالاغلبية المعروفة ٩٩,٩ ٪ .

وهكذا جمد العنف السلطوى العمل السياسى فى الجامعة ، وافسح المجال واسعا رحبا للتعصب الدينى ، لكى يفرخ ويتزايد ويستفحل امره وتشتد سطوته ويخرج عن طوع هؤلاء الذين اسبقوا عليه رعايتهم وعنايتهم ، ليكون سلاحهم فى تطويع المعارضين . ان غيرى يعرف اكثر منى بما جرى فى الجامعات من ١٩٧١ الى ١٩٧٧ ، ثم بعد ذلك وحتى اواخر عام ١٩٨١ وانا ادعواهم الى الكتابة بكل صدق وامانة ، ليلقوا الضوء على ماكان يجرى فى الجامعات ، فهى مسئولية تاريخ وليست نبشا للماضى ، فلن تستطيع ان تعيد الشيطان الى قمقمه بمحاكمات وسجون وإعدامات ، ولايتأتى ذلك الا بمتابعة علمية للاسباب والمسببات ، ثم بتحديد المسئولية عن بذور العنف ، التى بدأت فى صفوف الطلبة لتنتقل الى قطاعات اخرى من الشعب

المدخل ونحن نناقش العنف فى الشباب ان نبدأ الخيط من بدايته .. من المسئول عن خلق المناخ الذى احل التعصب بديلا عن السماحة ، التى عرفت عنا وعرفناها عن انفسنا ؟ ومن المسئول الذى أحل العنف بديلا عن الحوار ، والخنجر والسلاح بديلا عن السياسة .. من المسئول عن السياسة التى انتهت الى الحادث المأسوى فى ٦ اكتوبر ١٩٨١ .

الح على هذا الموضوع وانا اقرأ صحف الصباح الرئيسية الصادرة فى ٩ مايو ١٩٨٢ وعناوينها الرئيسية قرار الاتهام فى قضية الجهاد - احالة ٢٩٩ متهم لمحكمة الامن الدولة العليا - النيابة

تطالب باعدامهم لمحاولة قلب نظام الحكم .

عنوان حزين وذكري حزينة :

نظرة على أسماء المتهمين واعدادهم .. كلهم من الطلبة من خريجي الجامعات تتراوح اعمار الطلبة بين ١٩ و ٢٥ سنة . اما الخريجون فلا تتجاوز اعمارهم ٣٥ عاما .. جميعا حضروا مرحلة العنف السلطوى .. حضروا المرحلة التي درب فيها بعض للطلبة وسلحوا بمعرفة المسئولين عن اجهزة الامن ، وبمعرفة بعض شخصيات سياسية عهد اليها بهذه المهمة التي اطلق عليها مهمة « التصدي والاقتحام » .

كلهم عايشوا المرحلة التي كانوا فيها موضع الرعاية والحظوة لدى مسئولى الجامعات ، وحضروا المرحلة التي اشعرهم فيها هؤلاء بأنهم هم الاقوياء ، حضروا المرحلة التي لقنتهم فيها وسائل الاعلام الساداتية بأنهم هم المسلمون وحدهم . اما الطلبة من ذوى الالوان واذناب مراكز القوى فهم ملحدون .

حضروا المرحلة التي لقنتهم فيها اجهزة العنف السلطوى من امنية واعلامية .. ان الذين يعارضون السادات انما يعارضونه بسبب ايمانه ودعوته الى دولة العلم والايمان ، وهم يريدون شيوعية ملحدة امتدادا لعهد عبدالناصر .

حضروا المرحلة التي صنف فيها العنف السلطوى ، ناس مصر الطيبين ، بالاستفتاء والقانون بين مؤمن ومنكر للشرائع السماوية . هكذا شق العنف السلطوى الصف ، ويذر بذور الشقاق ، واصبح ايمان الناس نعمة يمنحها العنف السلطوى واجهزته ، والحاد الناس نقمة يصيبها العنف السلطوى واجهزته على رؤوس معارضيه (الاستفتاء على مبادئ حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى فى ٢١ مايو سنة ١٩٧١ والقانون ٣٣ لسنة ١٩٧١ لحماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى) عايش الشباب الفترة التي اغمضت فيها اجهزة الامن اعينها - وهى تشهد افراد

الجماعات الدينية يلجئون الى الكهوف والمغارات في اسيوط وبعض محافظات الصعيد وفي بعض الجهات النائية في القاهرة والجيزة ، يعيشون فيها اياما يتلقون فيها الدروس والتعليمات . ويتدربون فيها على استخدام الاسلحة ، كما كانت الجماعات الدينية تجمع الاسلحة تحت سمع السلطات المسئولة وبصرها ، وفي بعض الاحيان بمشاركة منها .

ليس هذا ادعاء فلنرجع الى تحقيقات قضية الفنية العسكرية والى قضية مصرع السادات لنرى من ذلك الكثير .. لنرى صورا من صورة التواطؤ والتواطؤ كما تعلمناه اما ان يكون بالاتفاق الفعلي او بمجرد السكوت .

ولنرجع اخيرا الى اقوال اللواء حسن على السيد نائب مدير امن اسيوط امام محكمة امن الدولة في جلستى ٢٦ ، ٢٨ فبراير ١٩٨٢ (منشورة في صحيفة الاهرام في ٢٧-٢-١٩٨٢ وفي ١-٣-١٩٨٢) وذلك خلال سماع الشهود وفي قضية احداث اسيوط (تنظيم الجهاد) والشهادة سجل تاريخى عن نشأة العنف وتطوره بين الشباب وكيف بدأ بقيام هيئات التدريس في جامعة اسيوط بانشاء الاسر الدينية لمقاومة التيار الشيوعى .. ولم يعرف احد من قبل ان هناك تيارا شيوعيا في اسيوط ولكن القصد من هذا التعبير هو تغطية تصفية كل العناصر الطلابية المعارضة لمجمل سياسات السلطة وكيف احتضن المسئولون في جامعة اسيوط هذه الاسر ، وكيف تزايد عددها وابدات تسمى الجماعات الدينية ، وكيف تحولت خلال هذا الاحتضان والتشجيع والتغاضى عن انشطتها الى جماعات تدعو الى اهداقها باستعمال القوة والارهاب ، والسيطرة على الجامعة ، وفرض افكارها بالقوة واستخدامها لبعض اعمال العنف والارهاب ضد الطلبة في الجامعة الاعتداء على بعض المعتقدات الاخرى .

ويقول في شهادته (وهنا بدأ الامن يتخذ موقفا من هذه الجماعات بالنصيحة والتوجيه ، على اساس انهم اولادنا وطلبة في الجامعة (وبدأ الامن ينصحهم ويجتمع بهم)

وما اعجب كل هذا .. اعمال العنف والارهاب والاعتداء على طلبة اخرين والسيطرة على الجامعة وفرض افكار هذه الجماعات على ادارتها ، والاعتداء على بعض المعتقدات ، وسيلة اجهزة الامن ومسئولو الجامعة لمواجهتها مجرد النصح والتوجيه .

ثم لنرجع ايضا الى شهادة المقدم ممدوح كدوانى مفتش مباحث امن الدولة باسيوط في نفس قضية تنظيم الجهاد في اسيوط امام محكمة امن الدولة في جلسة ١٩٨٣/٣/٥ . (منشورة في صحيفة الأهرام في ١٩٨٣/٣/٦)

قال ردا على سؤال رئيس المحكمة عن معلوماته عن الجماعات الاسلامية باسيوط ، فكان رده منذ بداية استلامى لعملي في اسيوط سنة ١٩٧٥ ، بدأ نشاط الجماعات الاسلامية وكان نشاطهم يسعى لتحقيق السيطرة على قطاع الطلاب بجامعة اسيوط وفي سبيل ذلك كانت الجماعة تقوم بفرض سيطرتها والضغط على قطاع الطلبة لفرض ارادتها عليهم .

وضرب امثلة لذلك الغاء الانشطة الاجتماعية والرياضية ، ومن ذلك الغاء معرض كانت تقوم باعداده المدينة الجامعية للبنات ، وهو معرض المنتجات لتدعيم النشاط الاجتماعى في المدينة الجامعية ودفع مصاريف البنات اللائى يعجزن عن دفع المصروفات

الغاء الحفلات

— التعدى على الطلبة

اثارة الفتنة الطائفية داخل الجامعة

— احتجاز عدد من الطلبة المسيحيين — الدخول في صراع مع ادارة الجامعة بقصد سيطرتهم عليها وكلهم كانوا جماعة واحدة كانت

تسيطر على جامعة اسيوط وكانت تطلق على نفسها الجماعة الاسلامية .

ولما سألته المحكمة : متى بدأت اجاب من عام ١٩٧٥ و ١٩٧٦ . وسألته المحكمة : وما موقف جهات الأمن من هذه الجماعة الاسلامية في بادىء الامر ؟ اجابها : نشاط الجماعة يكون اما داخلها او خارجها . في الأحوال التي تحدث داخل الجامعة من اختصاص ادارة الجامعة .

اما بالنسبة للاحداث التي تقع خارج الجامعة ، حررت عنها جهات الأمن محضرا (وكان موقف جهات الامن موقف مهادنة) . وسألته المحكمة : هل لديك معلومات عن فكر الجهاد المسلح قبل احداث اكتوبر ؟ فأجاب بالاجاب وان ذلك كان حوالى ١٩٧٩ او ١٩٨٠ (واورد دلائل على ذلك وسألته المحكمة : الم تتخذ اجراءات قبل اجراءات اكتوبر ؟ فأجاب : لا

وسألته المحكمة : هل تستطيع ان تقرر لنا الأسباب ؟ فأجاب : دى قرارات سياسية كانت تتخذ لا اعرف عنها شيئا . وفي رده على النيابة اجاب بانه لم تتخذ ضدهم اجراءات امنية في سبتمبر . ثم سألته المحكمة : قرر بعض الشهود من رجال الأمن امام المحكمة ان الجماعة الاسلامية في جامعة اسيوط شكلت في مرحلة ما مجلس الشورى فما هي معلوماتك في هذا الشأن ؟

فرد بأن : القيادة تشكلت ١٩٧٧ ولهم امير هو ناجح ابراهيم (في كلية الطب) ومجلس الشورى وسألته المحكمة : وما اسباب سكوتكم عن اتخاذ اجراءات منذ عام ١٩٧٧ .

فأجاب بنفس رده السابق (ده قرار سياسى ولا اعرف سببه) وفي رده على سؤال : هل تعلم ان هناك اتصالا كان بين الجماعة الاسلامية باسيوط ومحافظها السابق (والمقصود محمد عثمان اسماعيل) وحضور نشاطها ومباركة نشاطها في السنوات السبعينية

حتى حدوث حوادث اسيوط في اكتوبر ؟ وكان رده بطبيعة الحال : لا اذكر شيئاً .

فهو ضابط مازال في رتبة مقدم وعمره ٤٠ سنة ولا يستطيع ان يجب بالاجاب خشية ان يتعرض لما يمكن ان يتعرض له موظف في مثل مركزه) ..

وفي رده على سؤال اخر في هذا المعنى : هل تذكر ان لقاء تم في جامعة اسيوط عام ٧٦ ، ٧٧ حضره المحافظ (والمقصود هنا ايضاً محمد عثمان اسماعيل) وكبار المسؤولين بالمعسكر الاسلامي بجامعة اسيوط وما دار في هذا المعسكر ؟
ورد نفس الرد : لا اذكر .

وكيف لا يذكر وهو الذي في رده على سؤالين برر عن عدم ملاحقة هذا العنف واتخاذ اجراءات لوقفه رغم وصوله الى هذا الحجم من الخطورة بداية من ١٩٧٥ وتزايد هذا الحجم في السنوات التالية .
بان « دى قرارات سياسية كانت تتخذ ولا اعرف عنها شيئاً » .
فمن كان يصدر القرار السياسي في المحافظة ؟ اليس هو المحافظ الذي كان يطلق عليه السادات نائبه في المحافظة ، ومن اين كان يتلقى هذا القرار السياسي ؟ اليس من رئيس الجمهورية ؟

x x x

لقد انتهى بنا الحال في ظل العنف السلطوى ، ان نرى الافا من ابنائنا في الأمن المركزى ، وقد دربوا على الكاراتيه والضرب بالعصا الكهربائية ، التى تشل عقل الانسان وحركته الى غير ذلك من اسلحة العنف التى تكدرت بها مخازن وزارة الداخلية في عهد وزير داخلية السادات النبوى اسماعيل .

وانتهى بنا العنف السلطوى الى صور بشعة وحشية في تعذيب المسجونين والمعتقلين السياسيين وفي تعذيب المتحفظ عليهم في اقسام الشرطة .

اكتب ما في هذه القصة ليس من باب التسجيل فحسب ، ولكنى

اكتبه ليقرأه الحكماء والسياسيون في مصر ، فان المرحلة التي مرت
على مصر - مرحلة العنف السطوى - بأسبابها ومسبباتها ،
بمسئولياتها وأشخاصها ، لابد وان يكشف عنها النقاب ، فقط
طبعت هذه المرحلة الحياة المصرية بطابع غريب وخطير ، وليس
هذا نبشا للماضى ولكنه تأمين للمستقبل وهو واجب لا يحتمل
التأخير ..

x x x

لقد اراد السادات متواطئاً مع غيره او ساعياً لاسترضاء غيره ان
يحرف معركة الشعب المصرى التى تحدت ضد الامبريالية
والصهيونية والاستقلال ومن اجل الحرية والاشتراكية والوحدة الى
معركة المؤمنين ضد الملحدين وتسخير الدين لتصفية الثورة
الناصرية التى وصفت بالشيوعية الملحدة ، وارتدى السادات
مسوح الحاكم المسلم لدولة اسلامية ليعشش وينمو الارهاب وينتشر
الفساد تحت مظلة التجارة بالدين واستقطاب حماس الشباب
المتدين الى مسارات اخرى لا تمت الى الدين ..





السادات مع ديان وهو يرتدى رباط عنق مزخرف بالصليب النازى المعقوف

الفصل الحادى عشر

عام الاحسم وقضية الضباب

مع نهاية سنة ١٩٧١ وبداية سنة ١٩٧٢ بلغ شعورنا بالقلق قمته في الاتحاد الاشتراكي ، كانت مهمتنا الأولى ان نهىء الجماهير لمعركة حاسمة مع العدو الصهيوني وقمنا بالمهمة ، وجلت أنا وزملائي اعضاء الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي ، محافظات الجمهورية ، لتهيئة الجماهير للمعركة .. وبقيت الشعارات مجرد شعارات ، لا وجود لها على ارض الواقع ، ولا خروج لها من حيز الكلام الى حيز التنفيذ ، وكنت أنا وزملائي اعضاء الأمانة العامة نضغط في طريق تعبئة الشعب تعبئة حقيقية لهذه المعركة ، وتجاه التعجيل بالمعركة العسكرية . وكان هذا الاستعجال يستند الى تأكيدات متكررة من السادات على استكمال قواتنا المسلحة استعدادها للمعركة ، وقد نقلت الى اعضاء الامانة العامة ما قاله لي السادات شخصيا من انه لم يبق امامنا الا اصدار الامر بالقتال .

وليس صحيحا ما جاء في كتاب البحث عن الذات انه لم يكن هناك وجود لخطة هجومية عندما تسلم السادات الحكم من بعد عبد الناصر ، ولكن الحقيقة التي قالها لي السادات ، هي التي كتبها هيكل ، وهو على قمة الثقة من السادات ، في كتاب « الطريق الى رمضان » من ان « الاعداد لعملية جرائيت كان قد استكمل في الاشهر الاخيرة من عهد عبد الناصر ولكن من كان يستطيع ان يتحمل المسؤولية في « اصدار الامر بتنفيذها » (وتفصيلات ذلك في النسخة الانجليزية من الكتاب ص ١٠٧ و ١٠٨) .

وكان العام الذي سماه السادات بعام الحسم قد انتهى ، ولم يبد

في الافق اى بريق لامل ، حتى على المستوى الدبلوماسي ، كانت السياسة الخارجية تجرى في معزل عنا بل في معزل عن وزارة الخارجية ، والسادات ينفرد بالاتصال بالجانب الأمريكى وبالمحور العربى المساند له ، السعودية والمغرب وليبيا ثم ايران وتصلنا اخبار هذه الاتصالات ولا نعرف شيئاً عن فحواها . كان التوجس والريبة يحكمنا وان لم تقم لدينا دلائل على هذا التوجس والريبة ، كنا نشعر ان المخطط المحلى والدولى يستشرى بلا مواجهة حقيقية من التنظيم الشعبى او التنفيذى . التنظيم الشعبى ، وهو الاتحاد الاشتراكى ، لا يملك المعلومات التى يمكن ان يعتمد عليها في بدء مثل هذه المواجهة والوزارة وعلى رأسها الدكتور محمود فوزى لا تعلم ، وربما لا ترغب ولا تقدر على مثل هذه المواجهة .

وتناقشنا في امانة الاتحاد الاشتراكى واتفقنا على ضرورة اعادة تنظيم الدولة ، وعلى ضرورة مواجهة الوضع المتردى بعد انقضاء عام الحسم دون حسم .

ورغم الفتور الذى بدأ السادات يبدية نحوى ، نتيجة لتتابع الازمات معه ، تصديت للمواجهة وتعددت اجتماعاتى به في هذه الفترة .

وفي اجتماع معه في الايام الاولى من شهر يناير ١٩٧٢ ، اشرت موضوع اعادة تنظيم الدولة ، والسؤال الى اين نسير ؟ وكيفية مواجهة التردى الذى انتهينا اليه ، بانتهاء عام الحسم دون حسم . وتحدثنا عن اعادة تنظيم الدولة وكان لى رأى ، تناقشنا حوله في الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى عن ضرورة وجود رئيس وزراء قادر على العمل المستمر وعلى التنفيذ وعلى الحسم .

قلت للسادات ان الدكتور فوزى استاذ في السياسة وله آراؤه التى نجلها ونحترمها ، ولو اخليناها من المسئولية التنفيذية ، ليتفرغ الى جانبك في القضايا السياسية الكبرى ، فسيكون انتفاعنا به في هذه المرحلة الحاسمة اكبر .

وورد اسم الدكتور عزيز صدقي كمرشح لرئاسة الوزارة ، بل يكاد يكون هو الاسم الوحيد .

واذكر ان هذا الترشيح قد لاقى مقاومة عنيفة من جانب هيكل ومن جانب سيد مرعى ، ولا اعلم هل كان بين الاثنين اتفاق على ذلك . وقد كانت تربطهما في ذلك الحين اوثق الصداقة ، إلا ان كلا منهما قد اتخذ هذا الموقف مستقلا عن الآخر .

هيكل يرى ان وجود الدكتور فوزى عامل مطمئن للشعب وللقات المسلحة وعلى المستوى الدولى ، وسيد مرعى ينظر الى الأمر من منظور شخصى ، كانت رئاسة الوزارة الحلم الذى يداعبه .. فهو احق برئاسة الوزارة من اى شخص اخر نظرا لعلاقاته الشخصية والاسرية بالسادات واسرته (وكان قد بدأ الحديث عن مضاهرة جديدة بين السادات وسيد مرعى) وبدأ القول بانه ليس فى مصر من يستطيع ان يقتل الفلاحين حول السادات غير سيد مرعى ، فالفلاحون ينظرون اليه باعتباره الأب الروحى ، ما من مرة تولى الوزارة الا رفع اسعار الحاصلات الزراعية .

وكان يقول للحلقة المحيطة بالسادات من بطانة وندماء انه لولا سيطرة اليساريين على الاتحاد الاشتراكى (ممثلين فى الزيات) لأصبح رئيسا للوزارة منذ ١٥ مايو مباشرة ، ويضيف الى ذلك بان الزيات مع عزيز صدقى يشكلان مركز قوة « عزيز يربط مع العمال ، والزيات يربط مع الشباب واجتماعاتهم مع العمال والشباب مستمرة فى عملية استقطاب خطيرة تهدد السادات ذاته .. »

وتنفست كل العناصر المناهضة لثورة يوليو الصعداء ، عندما قال السادات لسيد مرعى ان عهد الوزارة القادمة التى سيتولاها عزيز صدقى ايام « سنتخلص بعدها من العناصر اياها فى الحكومة وفى الاتحاد الاشتراكى وتتولى الوزارة » .

وفى الاجتماعات التى جرت مع السادات فى الايام الاولى من شهر

يناير تناقشنا في كل شيء ، في تقييم الموقف ، وفي موقف الاتحاد
السوفيتي ، وفي موقف الولايات المتحدة ، وفي موقف المملكة
السعودية والملك فيصل على وجه التحديد ، وفي موقف سوريا
وليبيا .

وقال السادات ان الملك فيصل طلب تهدئة الموقف لان امامه
فرصا لم يستنفذها ، وعبد السلام جلود ، الذي كان همزة الوصل
بين السادات والقذافي ، قد طلب هو الآخر تهدئة الموقف .
(واستطيع ان اؤكد انه في حديث شخصي جرى بيني وبين عبد
السلام جلود ، ان هذا كان هو موقفه في الفترة التي تصاعدت فيها
نبرة الاتحاد الاشتراكي بالمعركة) .

وتعرضنا للحرب الهندية الباكستانية ، وقال السادات ان هذه
الحرب رغم بعدها عن اراضيها فهي عامل مؤثر على معركتنا وانه
لا بد من تقييم موقف امريكا ، بعد هزيمة باكستان التي كانت
تساندها ، وانتصار الهند التي يساندها الاتحاد السوفيتي ، وان
امريكا بدأت تضرب بشدة في فيتنام كما بدأت ترسل بشحنات جديدة
من الاسلحة لاسرائيل لترد على هزيمتها في باكستان ، وهذا يقتضي
ان نعيد حسابات الموقف الامريكي .

قال انه مطمئن على القوات المسلحة تدريبا واعدادا
وتسليحا وعلى قدرتها على التصدي للمهمة ، وعلى الاقتحام ، وعلى
تنفيذ القرار ، بل هي تستعجل القرار .

قلت ولكن هناك مهمة اخرى وعدت بها الشعب والقوات المسلحة
وهي اعداد الجبهة الداخلية ، لتكون امتداد الجبهتنا المتقدمة ،
ولا اعتقد اننا انجزنا شيئا على طريق هذه المهمة وهذه هي نقطة
البداية . قواتنا المسلحة نحن مطمئنون اليها فلنجعل كل ساعة وكل
يوم يمر علينا حتى ساعة القرار اضافة جديدة ، الى قدراتها ، اما
الجبهة الداخلية فهي تحتاج الى عمل كبير واضفت :

انك تصف الحرب القادمة بانها ستكون حربا شاملة . فلماذا لا

ندرب شباب جامعاتنا وعمال مصانعنا ومرافقنا تدريباً جدياً وحقيقياً على المقاومة الشعبية وعلى استخدام الأسلحة ، وهذه مهمة عاجلة لمواجهة احتمال انتقال المعركة التي خلف خطوطنا الامامية ، كما ان شعور ابنائنا على الجبهة المتقدمة ، باننا هنا في الداخل نعيش معهم حياة حرب واستعداد واستنفار ، سيقوى اكثر من عزيمتهم وسيرفع من روحهم القتالية .

قال السادات انت تتكلم كالروس فهم يوجهون النقد الى الأنوار الى تتلأ في القاهرة ، والى الملاهى التي تفتح ابوابها الى الفجر والى الحياة الصاخبة ..

اجبته باننى انقل اليه ما يحس به كل مواطن على ارض مصر ، وهذا النقد يوجه الينا من كل اجنبى يتعاطف مع قضايانا ويصارف زيارته لمصر .

وطالبت بتجيش طلبة الجامعات وعمال المصانع والمرافق ، وتدريبهم على المقاومة الشعبية بكل اساليبها وصورها ، وطلبت جدية اكثر في حياتنا ، ونحن على ابواب حرب شاملة كما كان يقول السادات ، وطلبت اقتصاد حرب حقيقى .

وكنت اعبر عن رأى جماعى لأمانة للجنة المركزية التى قررت ان تكون فى حالة انعقاد دائم فى هذه الفترة الحرجة ، وان تجعل مسئوليتها الأولى الدعوة للمعركة والتعجيل بها واعداد الشعب كله للاشتراك فيها ، مع قواته المسلحة .

وكان للسادات اراء اخرى ، لابد ان تسترضى الشعب حتى لا ينفجر ، ومثل هذا التضيق قد يسبب الانفجار ، وهذا لا احتمل نتائجه .. قلت ان الشعب فى مجموعة راض وسيتقبل اى اجراءات للتقشف . اذا كانت تطبق على الجميع

اما عن تجيش طلبة الجامعات وعمال المصانع والمرافق ، قال السادات اننى لن اخاطر بهذا ولن اضع السلاح فى ايدى الطلبة

ليوجهوه الى .

وعن اقتصاد الحرب قال السادات ان هناك لجنة لمتابعة هذا الموضوع ، وهذا كاف في الوقت الحاضر .. وبلاش تضيق على الناس ..

كلفني في نهاية هذه الاحاديث ان اضع تصوري لبيان يوجهه للشعب يشرح فيه اسباب انتهاء سنة الحسم دون صدور قرار القتال .

ولم اكف عن صرف نيته عن القاء بيان
قلت لنناقش اولاً مبدأ القاء البيان ثم تنتقل الى موضوعه ...
هناك تبريرات معقولة ومنطقية لارجاء صدور قرار القتال ، وقد فهمتها منكم خلال الاجتماعات الطويلة التي عقدناها ، ونقلتها الى الامانة العامة وعممناها على كل مستويات التنظيم السياسي ، وبدأنا فعلاً في تنظيم جولات للامانة العامة تغطي الجمهورية كلها ، فكل التبريرات قد عرفها الشعب الان ، ان البيان الذي كان ينتظره الشعب هو امر القتال ولذلك يتعين ان نكون حريصين جداً على كل كلمة ومعنى يقال في هذا البيان . لا بد ان يكون هناك جديداً فيه ، الجديد امامنا الآن هو الجبهة الداخلية ، ولا بد ان يتضمن البيان تكاليفات وتوجيهات محددة لاعداد الجبهة الداخلية ، اما الكلام العام فيمكن ان يكون ضاراً من حيث انه يزيد من البلبلة .. واضفت أنه من الأفضل ارجاء البيان الآن حتى يتحدد امامنا كل شيء ، وحتى نحسب كل حساب لرد الفعل .. اما تبريرات ارجاء قرار الحرب فيمكن لكم ان تبدونها في اي حديث صحفي ، او في جملة احاديث صحفية في مصر والخارج .

وجاء رد السادات غريباً ، فقد كنا ازاء مشكلة محلية وكان تفكيره يتجه ، كما اتجه دائماً ، الى الخارج .

رد على السادات بانه يريد ان يخاطب العالم من خلال بيانه الى الامة ، اما المسائل الداخلية فيمكن ان تكون لها مناسبة اخرى ،

وبالعالم طبعاً كان السادات يعنى امريكا .

ودخل علينا هيكل فقال السادات ، عال اهو محمد جه وحاناقش معاه الموضوع ، وأستأذنت فى العودة الى الاتحاد الاشتراكى لاستقبال الوفود المشتركة فى المؤتمر الخامس لتضامن الشعوب الافريقية والاسيوية ، وكانت هذه الوفود قد بدأ يتتابع حضورها للمشاركة فى المؤتمر الذى عقد فى القاهرة فى ١٠ يناير ١٩٧٢ .

كان وقتى كله مشغولاً فى الاعداد لهذا المؤتمر ، وفى كتابة بيان السادات اليه وفى مقابلات ومناقشات لا تنتهى ، وطلبنى السادات فى يوم ١٠ يناير ، واستأذنته فى ان احضر فى المساء ، بعد افتتاح المؤتمر والقاء رسالة فيه نيابة عنه .

وبمجرد دخولى على السادات بادرنى بالقول ان هيكل من رأيه ان اتحدث بطبيعتى الى الشعب لأن هذه الاحاديث القلبية افضل من الخطب المكتوبة .. اصعب شىء لدى فى هذه الكلمات المرتجلة ان اجد نقطة البداية ، وبعدى الكلام بييجيب بعضه ، وانا حددت الان نقطة البداية فى حديثى .. واضاف السادات ونقطة البداية اننى اتخذت قرار مماثلاً للقرار الذى اتخذه عبد الناصر فى ٩ يوليو ١٩٦٧ بسبب الضباب وانا بسبب الضباب الذى انتشر فى الايام الاولى من ديسمبر سنة ١٩٧١ اتخذت قراراً بتأجيل تنفيذ خطة القتال .. سألته اى ضباب ؟

قال فى يوم ٩ يوليو ١٩٦٧ لـ (يوم الاحد) ، وكان من اهتماماته ان يحدد اليوم والتاريخ ، ففى هذا اليوم امر عبد الناصر ان تخرج القاذفات والطائرات لكى تتعامل مع لواء مدرع اسرائيلى ، يتحرك نحو القنطرة شرق ، قبل عبوره الى الضفة الغربية ، وظلت القاذفات فى الجو لمدة ساعتين والضباب يخيم على المنطقة ، ولا تستطيع القاذفات ولا المقاتلات ان تحدد اهدافها بسبب هذا الضباب .
اتصلت القيادة بالرئيس عبد الناصر وكانت الساعة حوالى ١٢ ظهراً وابلغته بحالة الضباب هذه ، وفى يومها الساعة الواحدة بعد

الظهر الغنى جمال عبد الناصر امر القتال ، واضاف السادات ، ودا
الى حصل بالضبط ، نفس ضباب يوم الاحد ٩ يوليو ١٩٦٧ ، بس
الضباب كان في جنوب شرق اسيا ، في الايام الاولى من ديسمبر ،
قامت معركة بين دولتين صديقتين الهند والباكستان ، انتهت
بانتصار الهند التى يساندها الاتحاد السوفيتى ، وبهزيمة
الباكستان التى تساندها الولايات المتحدة .

وهذا الضباب حجب كل شىء فاصدرت فعلا للفريق اول صادق
قرارى وقلت له استنى لابد من اعادة الحساب .

سألته ما دخل الضباب الذى حصل فى ٩ يوليو ١٩٦٧ ، والواقع
الدولى الثابت والواضح الذى ترتب على الحرب بين الهند
وباكستان ، والذى حمله على اعادة الحساب ، واضفت بان هذا
تشبيه مع الفارق .

ورد ثائرا : الناس الى لا بسين قميص عبد الناصر لازم يعرفوا
ان عبد الناصر ، فى موقف مماثل اتخذ نفس القرار ، ولو كان
موجودا الان لا اتخذ نفس القرار الذى اتخذته ، ده رد ضرورى على
الى بيشككوا ويقولوا السادات مش داخل حرب ابدا .. وحاولت ان
اعود الى مناقشة موضوع الضباب هذا ولكنه اسكتنى وسألنى
بعصبية : انت معايا ولا مع عبد الناصر ولا مع مين ؟ انت تريد ان
تحمى عبد الناصر ولا تحمينى ؟ ... قلت له وكان قد حل بى تعب
جسمانى ونفسى جارف : هذا سؤال غريب ، وهذه معاملة لم اعتدها
من سيادتك لقد طلبت حضورى واستشرتنى فى شىء ، فقلت لك رأى
فيه ، والرأى الأول والأخير لك ، وانا لا املك الا تقديم المشورة ولك
ان تأخذ بها ولك ان ترفضها ، وهذا واجبى ، طوال ست سنوات لم
تشكك فى رأى ابديته لك مثل هذا التشكيك ، فماذا حدث الان ؟

شعرت فى هذا اليوم ١٠ يناير ١٩٧٢ أنه لم يعد هناك من مكان لى
الى جانب السادات ، فقد أرادنى ان اكون على غير ما عاهدت نفسى
ان اكون عليه ، أرادنى ان اقول فى كل مناسبة : ليس فى الامكان

ابدع مما كان .. وهذا امر يستحيل على طبيعتي ، وتقاديت أن اعود الى مناقشة موضوع الضباب ، وعرضت رسائل من عدد من رؤساء الدول الافريقية ، حملها بعض رؤساء الوفود الافريقية التي اشتركت في مؤتمر التضامن الآسيوي الافريقي ، وعلى رغبات بعض رؤساء هذه الوفود في مقابلته ، ونقلت اليه صورة عن مناقشات المؤتمر واجتتماعاته ومشروعات التوصيات المقترحة صدورها عنه .

تركت ورقة كنت اعددتها ضمنيتها بعض الخطوط للبيان المقترح ، ولم ابق كعادتي لمناقشتها معه ، حتى يمكن اعداد الصيغة النهائية ، ضمنت الورقة رفض اية حلول سياسية لا تتضمن الانسحاب الكامل من كل الاراضي العربية المحتلة ، وتصعيد الاستعداد العسكري للقتال ، وتجهيز الشعب ليخوض معركة التحرير ، وقدرة الجيش والشعب معا ، على تجاوز الأوضاع الدولية التي ادت الى تأجيل تنفيذ قرار القتال .

وخرجت من هذه المقابلة وأنا على يقين من ان تغييرا ما قد طرأ على موقف السادات خرجت وأنا اتساءل اى حسم هذا الذى رده السادات طوال السنة الماضية ؟ خرجت وأنا اتساءل لماذا هذا التصميم على البيان وعلى الضباب وهل هى رسالة جديدة يريد ان يوجهها السادات الى امريكا بانه حريص على عدم احراجها ، وخاصة بعد انتصار الهند في معركتها ضد الباكستان ، وان كل ما يطلبه منها هو ان تساعد دبلوماسيا ؟ وهل مازال الحل العسكرى هو احد الحلول الواردة ؟

صحيح ان السادات دخل معركة اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، وان القوات المسلحة المصرية الباسلة احرزت في هذه المعركة نصرا كبيرا ، وصحيح انه دخل هذه المعركة كما وصفها الفريق محمد عبد الغنى الجمسى في اجتماع مغلق بعد الحرب مباشرة - كعملية

عسكرية محدودة - تستهدف تحريك الموقف الدبلوماسي (بعد ان
يأس السادات من تحريك الموقف الامريكى بلا معركة) .

وقد عبر الفريق محمد عبد الغنى الجمسى في كلمات قليلة عن
الفجوة ، التى قامت خلال حرب اكتوبر المجيدة ، بين تحفظ
السادات وجموده نحو اهداف المعركة ، والذى تمثل فى التوجية
الاستراتيجى الصادر من رئيس الجمهورية الى القائد العام للقوات
المسلحة والذى يحدد استراتيجيه الحرب واهدافها وتكليف بدء
العمليات العسكرية ، والذى وقع السادات فى ٥ اكتوبر ١٩٧٣ -
وبين التحفز العسكرى والوطنى لدى المقاتلين ، والذى كان
يدفعهم ما حققوه من انجازات الى المزيد منها ، ولكن تحفظ
السادات وجموده اوقفهم عند الحد الذى اراده السادات مجرد
تحريك الموقف دبلوماسيا ، ازالة الجمود العسكرى ، لينتقل
بعد ذلك العمل الدبلوماسى كل العمل الدبلوماسى بمجمل تفصيلاته
ويمجمل صياغاته ، الى العقل واليد الأمريكية (حديث الفريق
الجمسى فى اجتماع محدود حضره بعض الكتاب والادباء
والصحفيين بعد اسبوعين من وقف القتال) .

ومازلت اسأل نفسى هل كان السادات ينتوى دخول المعركة فى
سنة ١٩٧١ ، ان كان يستخدم تعبير الحسم والشعارات المتطرفة
لحث الدبلوماسية الأمريكية على الحركة ؟

وقد يكون من المناسب هنا ان اقول ان اطلاق عبارة الحسم على
سنة ١٩٧١ مصدرها امريكى ، بدأ السادات يطلقها بعد تصريح
لرورجى وزير الخارجية الأمريكية فى ١٥ / ٦ / ١٩٧١ قال فى بدايته
انه على ثقة من انه مازال هناك امكانية لحل مرحلى للسلام فى
الشرق الأوسط يمكن التوصل اليه فى سنة ١٩٧١ .

وكان رورجى قد أرسل قبل ذلك خطابا الى محمود رياض وزير خارجية
مصر فى ١٥ يناير سنة ١٩٧١ - سلمه اليه بيرجس المشرف على

المصالح الأمريكية في مصر - في شأن استمرار وقف إطلاق النار
أشار فيه الى ان القرار في هذا الشأن سيجعل هذه السنة حاسمة
(١٩٧١) اما في الوصول الى سلام عادل وشامل واما في بداية صراع
دائم ومكلف .

ومن ثم فعبرة الحسم ليس من مفردات السادات وانما من
مفردات السياسة الامريكية التي اتجه اليها بكليته .

ولم تكن عبارة عام الحسم اول ولا آخر مفردات السياسة
الأمريكية ، مع تصاعد توجه السادات الى امريكا ، فمنذ النصف
الثاني من ١٩٧٢ كان السادات يسر لخلصائه من ان الحل في يد
امريكا ، ومنذ ١٩٧٣ انطلقت على لسان السادات عبارة اللعبة ، و
٩٩ ٪ من اوراق اللعبة التي كانت ومازالت في يد امريكا ، ولا يمكن
للمرء سوى ان يتساءل ، ان صح هذا القول ، ماهي ابعاد هذه
اللعبة الامريكية واهدافها ، ومتى بدأت هذه اللعبة مع السادات ،
او متى بدأ هو معها ؟

لقد بدأت هذه اللعبة ، حتى قبل اجتماعات السادات بعزيمة
هنري (كسينجر) الذي يعتبر بحق عراب كامب ديفيد ، وما تلاها
من اعتراف وصلاح وتطبيع مع اسرائيل .

وقد كشف كسينجر بعد ذلك ، في كثير من احاديثه عن ابعاد هذه
اللعبة واهدافها ويكفي ان نشير الى ما قاله كسينجر اخيرا عن
اهداف امريكا من اعتراف الدول العربية باسرائيل .

يقول كسينجر في الاكونوميست اللندنية في عددها الصادر في ١٣
نوفمبر ١٩٨٢ :

« إن الاعتراف بالدولة الاسرائيلية من جانب منظمة التحرير والدول
العربية لن يكون ، الا بداية عملية تعديل وتنظيم لسلاوضاع
الاقليمية ، تبعاً للارادة الاسرائيلية »

ولا يتردد في ان يزيد اهداف اللعبة وضوحاً فيضيف « ان الخطر
الحقيقي في المنطقة سوف يتمركز حول عدم القبول بالارادات

الاسرائيلية «

وتعديل وتنظيم الاوضاع الاقليمية ، حسب الارادة الاسرائيلية ، او على وجه التحديد تجزئه كل دولة عربية الى دويلات وكيانات طائفية ، كدولة مارونية واخرى سنية اوشيعية اودرزية في لبنان ودويلات للشيعية والسنة والعلويين ، في كل من سوريا والعراق تجزئة لا تنجو منها أى دولة عربية أخرى ومصر على وجه التحديد ..

ويكشف عن ذلك العالم الاسرائيلي « اوديد يونون » الذى كان من اكبر مخططي السياسة في وزارة الخارجية الاسرائيلية ان (المساهمة في العمل على تجزئة مصر وتحويل كياناتها ، الى وحدات جغرافية مستقلة ، عوضا عن الدولة المركزية الحالية) واذا تمت تجزئة مصر ، فان دولا بكليبييا والسودان ، بل ودولا اخرى ، اكثر بعدا ، لا يمكن ان تظل في صورتها الحالية ..

هذه هي ابعاد اللعبة الامريكية واهدافها التى شارك فيها السادات ودفع بها الى الامام ، وليس ما يجرى في لبنان الا بداية من بداياتها ، وليس ما يجرى على الساحة العربية الا محاولات امريكية ، للمسير بهذه الأهداف قدما الى الأمام . واستطيع ان اؤكد الان من تتابع الاحداث والوقائع ان السادات لم يكن ينوى دخول المعركة في سنة ١٩٧١ ولا في ١٩٧٢ ، حدثت حرب الهند وباكستان اولم تحدث ، ففي خلال هذه الفترة وبعدها كانت الاتصالات على اشدها مع الأمريكان وكانت الوعود تبذل والوساطات تجرى والتنازلات تطلب والأمل يتفتح ويخبو ولسكنه لا يفقد في الأمريكان ويحتاج الامر في هذا السياق الى عودة الى المقابلة التى جرت في لندن بين السيدة حرم السادات وبينى في يوم من ايام شهر اكتوبر او نوفمبر ١٩٧٢ والتى سبق ان اشرت اليها في مناسبة

سابقة . وكان هذا في القصر الذي استأجرته في حي السفارات في لندن وهو افخم واغنى احياء لندن .. وقد تمت ترتيبات اقامتها في لندن في ذلك الحين بمعرفة اشرف مروان والمليونير المصري رشدي صبحي المقيم اقامة دائمة في لندن والمشهور في تجارة الاسلحة ومع محب السمرة قنصل مصر في لندن في ذلك الحين والذي كان محل سر اشرف مروان . (وكان كمال رفعت سفيراً في ذلك الحين في لندن وقال انه لا يعرف شيئاً عن هذه الزيارة ولا على من استأجر هذا القصر ولا على اسباب هذه الزيارة وانه مدعو الى العشاء شأنه شأنى تماماً .)

وكان بين السيدة حرم السادات وبينى حديث سألتنى عن الاخبار فاشرت الى تعليق كنت قد قرأته صباح نفس اليوم في صحيفة الجارديان البريطانية بقلم المعلق البريطانى ديفيد هيرست وعنوان المقال « الفأر في المصيدة » وكان العنوان يغنى عن المضمون فقد كتب المعلق ان السادات قد كشف جميع اوراقه ولم تعد ورقة واحدة يلعب بها ودخل برجلية المصيدة الأمريكية الاسرائيلية واغلق الباب على نفسه .

وقالت السيدة حرم السادات وهى تستمع منى الى هذا التعليق « حنُفعل إيه قدنا صوابعنا شموع وبرضه مش راضيين » . كانت هذه الكلمات قد عبرت اصدق تعبير عن سياسة السادات التى بدأ بها وانتهى اليها وكانت من خلفه دافعا ومشجعاً على السير فيها سعياً للاثمئنان على السلطان والمستقبل (مستقبلها هى) .

ولكن ليت الحريق اقتصر على اصابع السادات وحده ولم يفكر السادات في المعركة المحدودة التى تحرك الجمود الأمريكى الى ابعد من مجرد التاريخ بالوعود والآمال الا بعد الحديث الذى جرى بين هنرى كسينجر واشرف غريال (وكان في ذلك الحين المشرف على المصالح المصرية في امريكا) وكان ذلك في يناير

١٩٧٣ حيث قال كسينجر بحسم « انه لا يتدخل الا في الازمات الساخنة وازمة الشرق الاوسط ليست من هذا النوع » .
ونعود الى هذه الفترة فنقول ان السادات قد اتخذ قراره بطرد الخبراء السوفيت في يوليو ١٩٧٢ واخذ ينتظر لفتة من امريكا تكافئ قراره هذا ولكن انتظاره طال . ويقول كسينجر في كتابه (ايام في البيت الابيض) ان توقعي لخطوات ابعده من جانب السادات جاءت سريعة فقد جرى اتصال في ٢٠ يوليو بكسينجر من مصر تطلب فيه عقد لقاء على مستوى عال بين الطرفين يتقدم فيه الامريكيون باقتراحات جديدة وان السادات مستعد لعقد اتفاق مؤقت بشأن قناة السويس » . وأجاب كسينجر على هذه الرسالة بأنه لا يمانع في عقد مثل هذا اللقاء ولكن بدون شروط .

ووافق انور السادات على ذلك .

وفي فبراير ١٩٧٣ وصل حافظ اسماعيل مستشار الأمن القومي للسادات الى واشنطن وكانت زيارته من شقين الأول الجزء العلني وهو ظهوره في التليفزيون وزياراته للبيت الأبيض ومحادثاته مع الرئيس نيكسون - اما الشق الثاني فكان مقابلاته مع كسينجر وقد جرت هذه المقابلات ثلاث مرات في منزل رئيس شركة البيبسي كولا « رونالد كيندال » في ولاية كونيكيت وكيندال كما هو معروف كان صديقا مقربا الى نيكسون كما ان نيكسون كان قد فوض كسينجر تفويضا مطلقا في هذه المحادثات .. وقد احيطت هذه المباحثات بسرية كاملة لدرجة ان كسينجر امر مساعده اسكاي كروفت بعدم تدوين اى شيء .

وقد كتب الكثيرون عن هذه الفترة وعن حزب ١٩٧٣ وعما تلاها من فك الاشتباك الأول وفك الاشتباك الثاني ومؤتمر جنيف وزيارة القدس واتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح مع اسرائيل وغير ذلك الكثير على ان هذه الفترة تخرج عن نطاق بحثنا .

على ان كل ما يمكن قوله ان السادات في تعليقه على زيارة حافظ اسماعيل لأمريكا قال لمحرر صحيفة الجواث، اللبنانية ان امريكا تتفهم الموضوع على النحو التالي : اما ان مصر توافق على شروط اسرائيل بوصفها دولة منهزمة واما ان تتحرك امريكا (من كتاب غالى شكرى الثورة المضادة ص ٢٠٩) .

وماذا كان يعنى كسينجر من هذه الكلمات التى قالها لأشرف غربال وحافظ وهل هى كانت رسالة للسادات تحمل له الضوء ليؤزم الموقف ، فى حدود مخطط مرسوم ، حتى يتدخل بعد ذلك كسينجر وينفذ مخططة المرسوم فى اقتلاع الوجود السوفيتى وتحقيق الصلح بين مصر واسرائيل واخراج مصر من حلبة الصراع العربى الاسرائيلى وفصلها عن امته العربية وبذلك يتحقق هدف استراتيجى لم تتوقف امريكا منذ نشأة اسرائيل عن السعى من اجله

على ان ما يلفت النظر ان يتواكب مع هذه الرسالة زيارة خاطفة قام بها فى شهر سبتمبر ١٩٧٣ اى قبل شهر واحد من اكتوبر احد اعمدة الراسمالية الامريكية بل زعيم الراسمالية الامريكية قاطبة ورئيس امريكا الحقيقى والدائم فى كل العهود امتدادا من ادارة

كيندى الى ادارة ريجان وهو ديفيد روكفلر واستغرقت الزيارة عدة ساعات فقط لم ير خلالها سوى السادات وبعدها انتقل بطائرته ومنها الى امريكا وكانت هذه الزيارة اختبارا لنوايا السادات وتوجهاته واستعداده للسير فى الركب الأمريكى .

وقد كشف ديفيد روكفلر بعد حرب اكتوبر بقليل عن مهمته فى مصر فقال : « أن مصر ادركت ان الاشتراكية والقومية العربية المتطرفة لم ترفع مستوى معيشة السبعة والثلاثين مليون مصرى وانه لا سبيل لمساعدة هؤلاء الا بالاتجاه الى المبادرة الخاصة والمعونات الأجنبية » .

وأضاف روكفلر انه ناقش ذلك مع بعض القادة الاسرائيليين
ووجد توافقا كاملا في وجهات النظر باعتبار ان هذا التوجه سيوجد
فرصا اكبر لانهاء الحرب .

واخذت اجراءات الانفتاح الاقتصادي تتابع كما اخذت التبعية
الأمريكية تتصاعد لتصبح كامب ديفيد واقعا منطقيا وحتميا قبل ان
تتشكل في اتفاقات يوقع عليها السادات وبيجين ثم كارتير كشاهد
وشريك كامل في عملية السلام .

على أن الأمر الذي لم يكشف عنه ديفيد روكفلر انه في هذه
المقابلة اعطى الضوء الأخضر للسادات « لتسخين الموقف » في
حدود متفق عليها (هيكل - خريف الغضب ص ٤٩ و ٥٠
بالانجليزية وص ١٢٦ بالعربية) .

واذا صدق كسينجر فيما اورده في كتابة « التغير الكبير - Up-
heaval » فإن القناة السرية بين السادات وأمريكا كانت تعمل
بانتظام و تسخين الموقف وكل ما يتصل بالحرب المحدودة تم
الاتفاق عليه خلال هذه الاتصالات بل أن السادات نشط قناة
اتصالاته السرية بسرعة بعد بدء الحرب وان الاتصال عبر هذه القناة
كان له في حد ذاته أهمية كبيرة عند الأمريكيين وأن لهجة الاتصال
كانت دائما ودية (ص ٥٧٤ من كتاب كسينجر) وان السادات كان
مستعدا للتفاوض مع اسرائيل بعد تحقيق انتصار غير حقيقى عليها
(ص ٤٦٠ من كتاب كسينجر) .





السلطات .. وبين الضباب

الفصل الثاني عشر

بيان الضباب .. وإبعادى من الاتحاد الاشتراكي

في مساء يوم ١٣ يناير سنة ١٩٧٢ وجه السادات الى الامة البيان الذي عرف فيما بعد في مصر ببيان الضباب ، ومن هذا البيان استبعد السادات بالطبع كل الخطوط العامة التي اقترحتها ، كان من المفروض ان يكون البيان موجهاً إلى الامة المصرية العربية ، ولكنه في الواقع كان موجهاً الى الادارة الامريكية .

وفي وقت متأخر من نفس المساء ، كنت سكرتيراً اول للجنة المركزية ، ورئيس للمؤتمر الخامس لتضامن الشعوب الافريقية والاسيوية بهذه الصفة - القى الكلمة الختامية لعمال هذا المؤتمر (الذي عقد في القاهرة في المدة من ١٠ - ١٣ يناير سنة ١٩٧٢) . كان شعور داخلي يلح عليّ بان كل القيم والمبادئ التي ارستها ثورة يوليو في ضمير شعبها ، قد حاق بها الخطر ، فاردت التاكيد عليها من على منبر الاتحاد الاشتراكي ، الذي اردنا له ان يكون التعبير عن كل هذه القيم والمعاني ، وحاولت ان اجعل الخطاب سجلاً لكل قيم ثورة ٢٣ يولية التحررية فأكدت على المعاني التالية : مصر الثورة . مصر النضال من اجل الاستقلال السياسي ، والتحرر الاجتماعي ،

مصر قلعة من قلاع النضال العالمي ، ورادف من روادف الثورة العالمية ، ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، وكل صور التفرقة العنصرية . مصر مع كل حركات التحرر الوطني ، مهما اختلفت مواقعها ، وتباينت اعلامها ، من اجل تحرير الانسان سياسة واقتصاداً وثقافة وفكراً . مصر الصمود والنضال ضد الغزوة الصهيونية الامبريالية . مصر الحرب ضد كل قوى ورواسب

التخلف والسيطرة والاستغلال . مصر القلب من المسيرة العظمى
للأمة العربية ، تحت رايات الحرية والاشتراكية والوحدة .
حملت في هذه الكلمة على السياسة الأمريكية ، وفضحت
أساليبها في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . وطلبت من كل الوفود
المجتمعة ، أن يفتحوا عيونهم ، وأن يشددوا من نضال شعوبهم ،
ضد المخاطر التي تحملها وتمثلها الامبريالية ، بزعامة الولايات
المتحدة الأمريكية .

وكان شعور داخلي أيضا يلح على بانني اودع بهذه الكلمة آخر
تجمع من بين هذه التجمعات العالمية النضالية ، التي تتابع
انعقادها في مصر عبد الناصر ، قلعة النضال وملقنى الاحرار ،
وصدق حدسى فقد كان مؤتمر تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية
الذي انعقد في ١٠ يناير ١٩٧٢ في القاهرة آخر تجمع نضالى عالمى
يلتئم في القاهرة .

القيت هذه الكلمة ، وصعدت الى مكتبى في الاتحاد الاشتراكى ،
واذكر اننى تلقيت مكالمة من محمد حسنين هيكل حوالى منتصف
الليل ، يسألنى عن اثر البيان الذى القاه السادات . اجبت باننى
وصلت الى مكتبى للتو ، بعد انتهاء الجلسة الختامية لمؤتمر تضامن
الشعوب الافريقية الآسيوية ، ووجدت نفسى بلا وعى اكرر فقرات
من الكلمة التى القيتها في المؤتمر واسال هيكل :

هل ستكون مصر هى مصر اذا انسلخت عن كل هذه القيم
والمبادئ ؟ كنت اعرف الاجابة ولكنى سألت بحاسة الخطر .

كما اذكر ايضا ان السادات قد اتصل بى في صباح اليوم التالى
للقاء بيانه وسألنى عن اثر بيانه فقلت له اننى مسافر الان الى
الاسكندرية لحضور مؤتمر طلابى يعقد في المساء ، وستكون هذه
فرصة لمعرفة اثر البيان ، وقال لى السادات خلال المكالمة ، ايه
الهجوم الشديد ده على امريكا ؟ وكان السادات يعلق على كلمتى في

المؤتمر .

وتصادف ان كان يوم ١٤ يناير سنة ١٩٧٢ موعدا لمؤتمر في الاسكندرية ، دعت اليه لجان الاتحاد الاشتراكي في كليات جامعة الاسكندرية ، وكان موعد الاجتماع الساعة السادسة بعد الظهر ، ذهبت لحضور المؤتمر كان في قاعة الاجتماعات مايربو على ثلاثة الاف من الطلبة وهيئات التدريس ، استقبلتني القاعة بصيحات ارتفعت من كل جوانبها بكلمة . « الضباب » وانعم الله علي بصبر من عنده في هذه الليلة ، حتى استطعت ان اسيطر على القاعة الغاضبة .

ولا أريد ان اشغل وقت القاريء بما قلت ولكن اسمح لنفسي ان اشركه فيما حصلت عليه من خبرة خلال هذه الاجتماعات ، والاجتماعات الاخرى التي شاركت فيها طوال فترات طويلة من عمري .. فانك تستطيع ان تشعل حماس الجماهير بخطبك وشعاراتك وبياناتك ووعودك ، ولكن الجماهير تفرغ هذا الحماس على ارض الواقع ، عندما يتبدد الحماس ولا يبقى غير الواقع . وتستطيع ان تخدع الجماهير بعض الوقت ، ولكن لايمكن ان تخدع الجماهير كل الوقت ، والسياسة هي فن الممكن ، والتنظيم هو الذي يكفل توظيف هذا الممكن باقصى طاقة وجهد وتخطيط من اجل تحقيق الاهداف العليا للوطن .

ان اثارة حماس الجماهير واستنفارها من اجل المعركة يحتم تنظيم القنوات التي تستوعب هذا الحماس وتوظيفه لخدمة المعركة فعلا وعملا بحيث يشعر كل واحد من جماهيرنا انه يشترك في هذه المعركة ، وان اشتراكه ضروري وان دوره في المعركة يكمل دور الآخرين في احراز النصر .

وانا اذكر بعض الدروس التي خرجت بها في هذه الاونة ، لانها دروس الماضي والحاضر والمستقبل ، واذا كنا اليوم نثير حماس

ال جماهير من اجل مزيد من الانتاج ، فيتعين علينا ان ننظم القنوات التي تستوعب فيها هذا الحماس ، وان نوظفه لخدمة الانتاج ودفعه فعلا وعملا ، ولا يكفي ان نضع الحقائق امام الجماهير وهذا واجب ومسئولية بل يتعين ان نحدد دور هذه الجماهير ، بكل فئاتها ومع اختلاف فئاتها في تغيير هذه الحقائق ، وان نحدد لكل فئة القنوات التي تستطيع ان تؤدي دورها من خلالها في هذا التغيير ، ان الجماهير يجب ان تكون دائما وابدا هي صانعة القرار ، وانه ما من قرار يمكن ان يخرج الى حيز التنفيذ دون مساهمة فعالة من هذه الجماهير .

ولان السادات خرج عن كل هذه البديهيات في ادارته لسياسة مصر ، ولان حديث الضباب جسد الازدواجية بين القول والفعل ، بين الظاهر والباطن ، بين الشعار والواقع ترتب الكثير من التعقيدات نتيجة لهذا الحديث .

ففى صباح ١٥ يناير كنت فى مكتبى فى الاتحاد الاشتراكى عندما تواردت الاخبار تباعا عن انصراف طلبة الجامعات عن المحاضرات وعقدهم لاجتماعات لمناقشة بيان السادات ولم استطع التغلب على انفعالى فقلت فى حضور عدد من الزوار واعضاء اللجنة المركزية : هذا ماكنت اخشاه كرد فعل البيان . وهذا سيضاعف من مسئوليات العمل السياسى ونقل البعض هذا القول عنى للسادات .

وبعد ظهر هذا اليوم تجمعت لدى الاتجاهات التى برزت فى هذه الاجتماعات الطلابية . مع القرارات التى اتخذها الطلبة فى هذه الاجتماعات من استمرار الامتناع عن الدراسة والدعوة لعقد مؤتمرات طلابية موسعة . وكانت الاتجاهات التى برزت ويكاد يكون الاجماع شاملا عليها هى :

- اعداد الجبهة الداخلية للمعركة وتحديد دور الطلاب فيها .
- توصيات مختلفة تجمع كلها على رفض الحلول السلمية .
- اغلاق الجامعة لاعداد الطلاب عسكريا .

كتبت يوم ١٥ يناير تقريراً مفصلاً عن كل ما جرى في جامعات القاهرة والاسكندرية وفي بعض المصانع ، واقتрحت على السادات ان نواجه المسألة في بدايتها بعمل سياسى سريع ، ووضعت في التقرير تصورى لهذا العمل بالدعوة الى عقد اجتماعات لممثلى فئات الشعب (بمن فيهم مندوبين عن اتحادات الطلبة وعن لجان الاتحاد الاشتراكى فى الكليات المختلفة لتحديد دور كل فئة فى عملية اعداد الجبهة الداخلية للمعركة) .

وقلت له فى التقرير ان مثل هذا الاجتماع ضرورى وعاجل لازالة اى غموض او عدم فهم لما جاء فى البيان الذى القاه ، كما سيكون له اثره السياسى الكبير فى الداخل والخارج ، وقلت ان اجتماع اللجنة المركزية سيعقد فى اليوم التالى (١٦ يناير) وبالتالى يمكن ان تخرج عن هذا الاجتماع ، الدعوة لاجتماع موسع لممثلى فئات الشعب ومن بينهم الطلبة .

وعلمت من بعض ممن كانوا فى منزل السادات ، انه قرأ التقرير عند وصوله وقال : طبعاً الزيأت مش عاجبه البيان ، وعايذ يقول اضرابات الطلبة نتيجة لهذا البيان ، عجيبة الزيأت عايذ يرسم لى سياستى دى وصاية جديدة ، انا عارف ده مخطط ..

وفى اليوم التالى الحقت هذا التقرير بتقرير اخر ، عن التطورات التى جرت حتى ظهر يوم ١٦ وكانت هذه التطورات تنحصر فيما قرره الطلبة من رفع طلباتهم الى رئيس الجمهورية والى سكرتير اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، والاعتصام بعد عدة ايام اذا لم يتلقوا رداً عليها ، والدعوة لمؤتمر طلابى كبير فى قاعة جمال عبد الناصر فى جامعة القاهرة ، وسارعت بارسال هذا التقرير الاخير حتى يكون تحت نظر السادات قبل انعقاد اللجنة المركزية .

وجاء اجتماع اللجنة المركزية مساء ١٦ يناير واعاد السادات امام اللجنة المركزية ماسبق ان قاله فى خطاب الضباب . لم يشر الى

ما اقترحته بدعوة ممثلي فئات الشعب ، ، لم يسوجه كلمة الى الشباب ، ولم يشر الى طريقه لمواجهة الطلبة بالحوار .
لم يضيف جديدا اثناء انعقاد اللجنة ، ولكنه اضاف الجديد بعد ان وقف معلنا انتهاء الجلسة ولم يعد هناك مجال لالاخذ والرد والحوار ، توقف وهو على اهبة مبارحة منصة الاجتماع ، وأقال السكرتير الاول المنتخب للجنة المركزية واحل محله اخربالتعيين ، وكان السكرتير الذي اقبل هو محمد الزيات والسكرتير الذي عين هو سيد مرعى ، وأشار وهو في طريقه الى الخروج انه محتاج للزيات في مركز تنفيذى ، وقبل ان يستوعب اعضاء اللجنة المركزية ما قال ، كان قد بارح الاجتماع ..

ووصل الامر الى حد ان الغالبية العظمى من الاعضاء تصوروا ان السادات يضيف الى عملي في اللجنة المركزية عملا تنفيذيا جديدا ، وظلوا على هذا التصور الى ان صدر قرار تعيين سيد مرعى امينا عاما للجنة المركزية ، وقرار تعييني نائبا لرئيس الوزراء في الوزارة الجديدة التي تشكلت برئاسة الدكتور عزيز صدقي . وكانت هذه اول صدمة من صدمات السادات الكهربائية التي تسالت على مصر طوال عهده ، وقد تشكلت وزارة عزيز صدقي واجتماعات الطلبة وتظاهراتهم مستمرة بعد القاء خطاب الضباب ، واعتذرت اولا عن تولى منصب وزاري وكتبت للسادات معتذرا عن قبول هذا المنصب والح علي الدكتور عزيز صدقي وقال انه يشكل وزارته في فترة عصيبة ويعلم ماذا يواجهه ، وعلينا ان نكمل المشوار ونبذل ما في طاقتنا للحفاظ على مابنيناه ونواجه التحديات معا ..

وجاءني صديق ينصحنى بعدم دخول الوزارة ونقل لي ما قاله سيد مرعى عندما جلس على كرسيه في الاتحاد الاشتراكي ، قال لخلصائه انه لن يقيم معهم طويلا لان وزارة عزيز صدقي لن تبقى اكثر من اسبوعين .. قال سيد مرعى :

انور .. (وكان دائما يتحدث عن انسادات امام الناس باسمه

الأول ليوهم السامع بأنه اقرب المقربين الى السادات) انور قال لي انه حيثخلص من الناس دى كلها فى ضربة واحدة .. وسأتولى اننا (اى سيد مرعى) الوزارة .

وصدق سيد مرعى فيما قال ، فقد استطاع السادات ان يبعد كل العناصر النشطة عن الاتحاد الاشتراكى ، والتي تستعجل المعركة العسكرية ، والتي تناضل من اجل الحفاظ على خط ثورة ٢٣ يوليو ، والتي اعتادت ان تكون صادقة مع نفسها ومع غيرها وان يجمعها فى سلة واحدة هى سلة وزارة عزيز صدقى .

ولم يدرك صديقى الذى نقل إليّ هذا الحديث انه بهذا الكلام دفعنى الى قبول هذا المنصب التنفيذى ، منصب نائب رئيس الوزراء ، فقد بات واضحا اننا مقبلون على مرحلة جديدة من الصراع ، ولا بد ان اكون وسط هذا الصراع مهما كان جهدى متواضعا . وكان سيد مرعى الذى ولاه السادات على الاتحاد الاشتراكى ، وهو الاقطاعى السابق ، والمليونير الحالى ، يشير الى طبيعة الصراع ، كان الرمز الذى رفعه السادات والعلامة والمؤشر ليؤكد لمن فى الداخل والخارج ان ما هو مطلوب ات .

ولكننى لم اعرف اذ ذاك ان استبعادى وزملائى عن الاتحاد الاشتراكى كان عربونا ، ارخص من عربون لم يملك السادات الاستجابة له اذ ذاك امام غضبة الطلبة والشعب من بيان الضباب . لم يتوقف كمال ادهم - المعتمد السعودى فى مصر - على الضغط فى اتجاه المطلب الأمريكى بتصفية الوجود السوفيتى فى مصر وقد تردد السادات طوال ١٩٧١ ، وخاصة بعد ١٥ مايو فى اتخاذ قرار الاستغناء عن الخبراء السوفيت خشية ان يؤكد ما كان يتردد فى ذلك الحين من انه قد عدل نهائيا عن الحل العسكرى فضلا عن ان قيادات القوات المسلحة قد ابدت فى اكثر من مناسبة حاجة القوات المسلحة الى استمرار وجود مثل هؤلاء الخبراء ، لاستيعاب بعض الاسلحة الحديثة ، التى لم يستكمل التدريب عليها .

وجاء عام ١٩٧٢ واخذ السادات منذ بدايته ، يمهد الارض للاستجابة للمطلب الأمريكى السعودى ، بتصفية الوجود السوفيتى فى مصر ، فأجرى تعديلات فى الاتحاد الاشتراكى العربى ارضى بها السعودية ، وابتعد عن الامانة العامة العناصر التى كانت تستعجل المعركة العسكرية ، ثم اخذ يقوم بزيارات ميدانية للقوات المسلحة ، يبشر فيها بما وعد به الملك فيصل من تزويد مصر بكل ماتحتاجه من الاسلحة ، وخاصة بالطائرات المتطورة ، وكان القصد من ذلك طمأنة القوات المسلحة بأن السعودية ستحل محل الاتحاد السوفيتى ، فى تزويد مصر بالاسلحة وفى مقدمتها الطائرات ، وهذه الوعود التى بشر بها السادات لم تتحقق ، بل ان بعض هذه الوعود — على حد قول هيكى — قد الحقت ضررا بانتظام زيادة قدراتنا العسكرية وعلى وجه خاص فى سلاح الطيران (الطريق الى رمضان ص ١٥٨) .

وكان فصل الختام فى هذا الموضوع رسالة حملها الامير سلطان ووزير الدفاع السعودى الى السادات من واشنطن فى ٥ يوليو ١٩٧٢ ، كانت الرسالة خاصة فى ان الحل فى يد امريكا ، وكان نص الرسالة لك ان تستريح وان تفعل ماتشاء ولكن عليك ان تذكر ان مفتاح الحل هنا فى امريكا . (ص ١٧٤ من الطريق الى رمضان) .



ولم يكن غريبا بعد ذلك ان يصدر السادات قراره بالاستغناء عن الخبراء السوفيت فى ٦ يوليو ١٩٧٢ ، بعد يوم واحد من تسلمه رسالة واشنطن ، وصدر القرار وكمال ادهم والامير سلطان فى القاهرة وبعد اجتماعات مطولة عقداها مع السادات .

واذكر وانا اتابع شريط الاحداث ان السادات فى اواخر صيف ١٩٧١ كاد يكشف لى عن نية الاستغناء عن الخبراء السوفيت ،

عندما سألتني هل تذكر المعركة التي احتدمت في ١٩٥٩ بين عبد
الناصر وخروشوف ، لقد سارعت المخابرات الامريكية في ذلك
الحين الى الاتصال بعبد الناصر ، وقالت ان امريكا تضع كل
امكانياتها تحت امره ، وانهم على استعداد لتقديم اية معونة
يطلبها ، وقد قدموا الى مصر في ذلك الحين كميات كبيرة من القمح
والزيوت .. تشبيهه ، مع الفارق فأمريكا التي استجابت للثقل
السياسي الذي يمثله عبد الناصر ، لم تشأ ان تستجيب للسادات ،
حتى بعد ان تطوع بمظاهرة طرد الخبراء السوفيت . ويكفي الآن
الاشارة الى واقعة أوردها هيكل في كتابه « الطريق الى رمضان » وهو
يعدد الاشخاص الذين كانوا على علم بقرار الطرد هذا ..

يقول هيكل : شخص واحد كان يبدو واضحا انه لم يخطر مقدما
بهذا القرار ، وهو هنري كسينجر ، فبعد ايام وبعد ان اصبح سحب
الخبراء معروفا للجميع قال كسينجر لاحد مساعديه :
لاستطيع ان افهم السادات هذا .. اذا كان قد جاءني قبل ان
يحدث ذلك ، وافصح لي عن نيته ، في اصدار مثل هذا القرار ، فسأشعر
انني ملزم ان اعطيه شيئا في المقابل ، ولكنني الان حصلت على كل
شيء ، في مقابل لا شيء (ص ١٨٤ من كتاب « الطريق الى رمضان »
النسخة الانجليزية) .

ولعل كسينجر لم يصدق في قوله ، مثل ما صدق في هذا القول ،
فقد وضع السادات كل اوراقه في السلة الامريكية .. ولم يأخذ شيئا
لانه لم يكن يريد شيئا اكثر من الاسترضاء والامل بالحظوة .
اليس من العجب بعد ذلك ان يقول السادات ، او من كتب
للسادات في البحث عن الذات في سياق حديثه عن التركة الخربة التي
ورثها عن عبد الناصر : كانت هذه هي التركة التي ورثتها
سياسيا ، لوجود لوزارة الخارجية ، او سياسة مدروسة مخططة لم
يكن هناك سوى الرئيس نفسه الذي ينفع ، فيصدر قراراته بناء
على هذا الانفعال ، وهو راض وسعيد مادام كل مايقول يصفق له

الشعب (ص ٢٢٥) ...

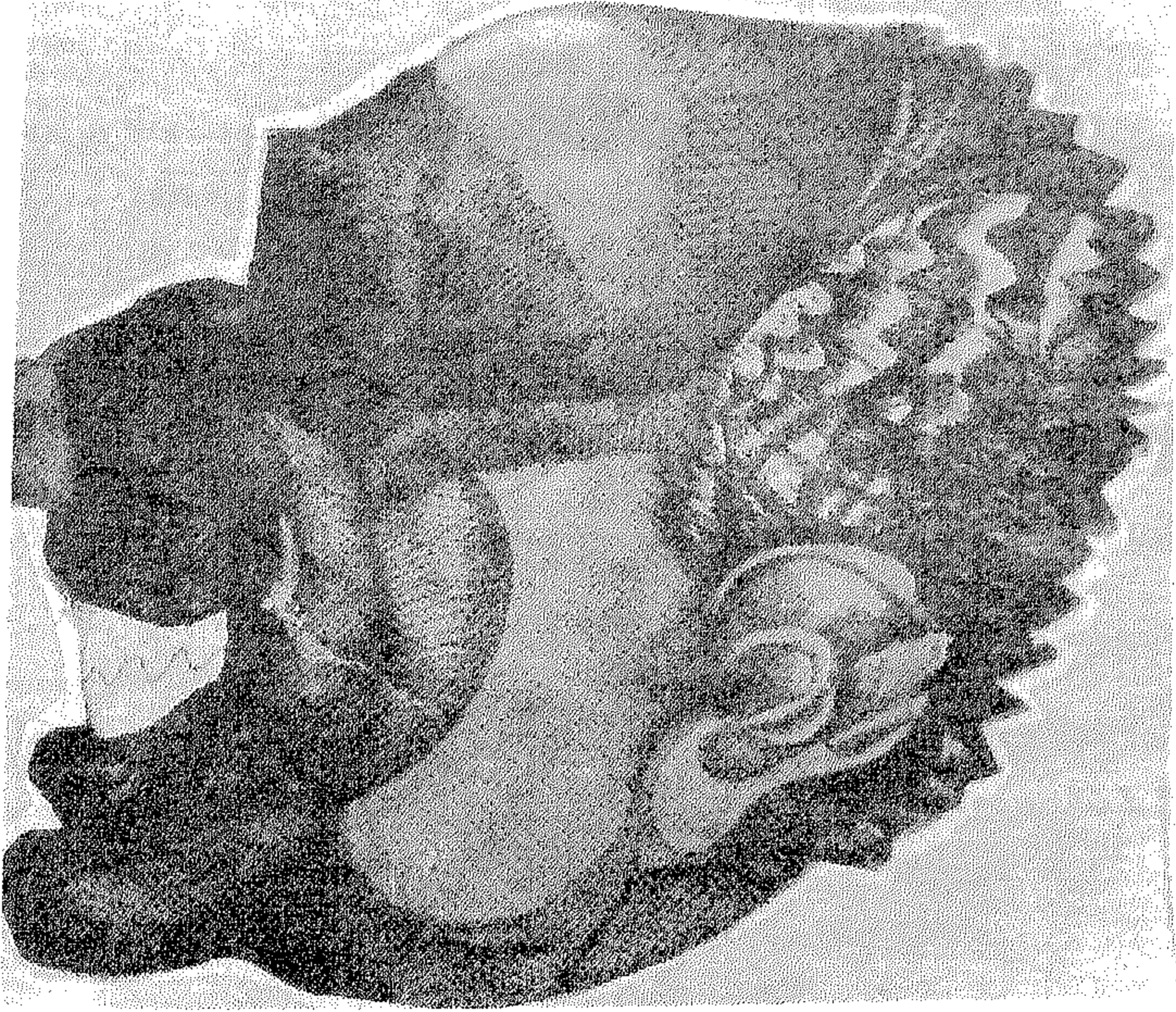
واسمح لنفسى تعقيبا على مقاله السادات ان استشهد ولو مرة واحدة بما يكتبه موسى صبرى فى افتتاحية الاخبار فى ١٢ سبتمبر ١٩٨٥ تحت عنوان وزارة على لطفى يقول موسى صبرى وهو يحيى رئيس الوزراء « كمال حسن على » ان له ادوارا وطنية شجاعة تسجل بأنصع السطور فى سجل عمله القومى ويقول تولى وزارة الدفاع وكان مسئولا عن مباحثات السلام فى القاهرة بين مصر واسرائيل لم يفرط ولم يقع فى حبائل المفاوض الاسرائيلى وتحدى كل الضغوط (اى كانت هناك ضغوطا من جانب اخر غير حبائل المفاوض الاسرائيلى) وقطع المفاوضات اكثر من مرة وكما تعبيره المشهور .. لن اقبل هذا ... على جثتى ... حتى لو حصلت على موافقة الرئيس السادات ..

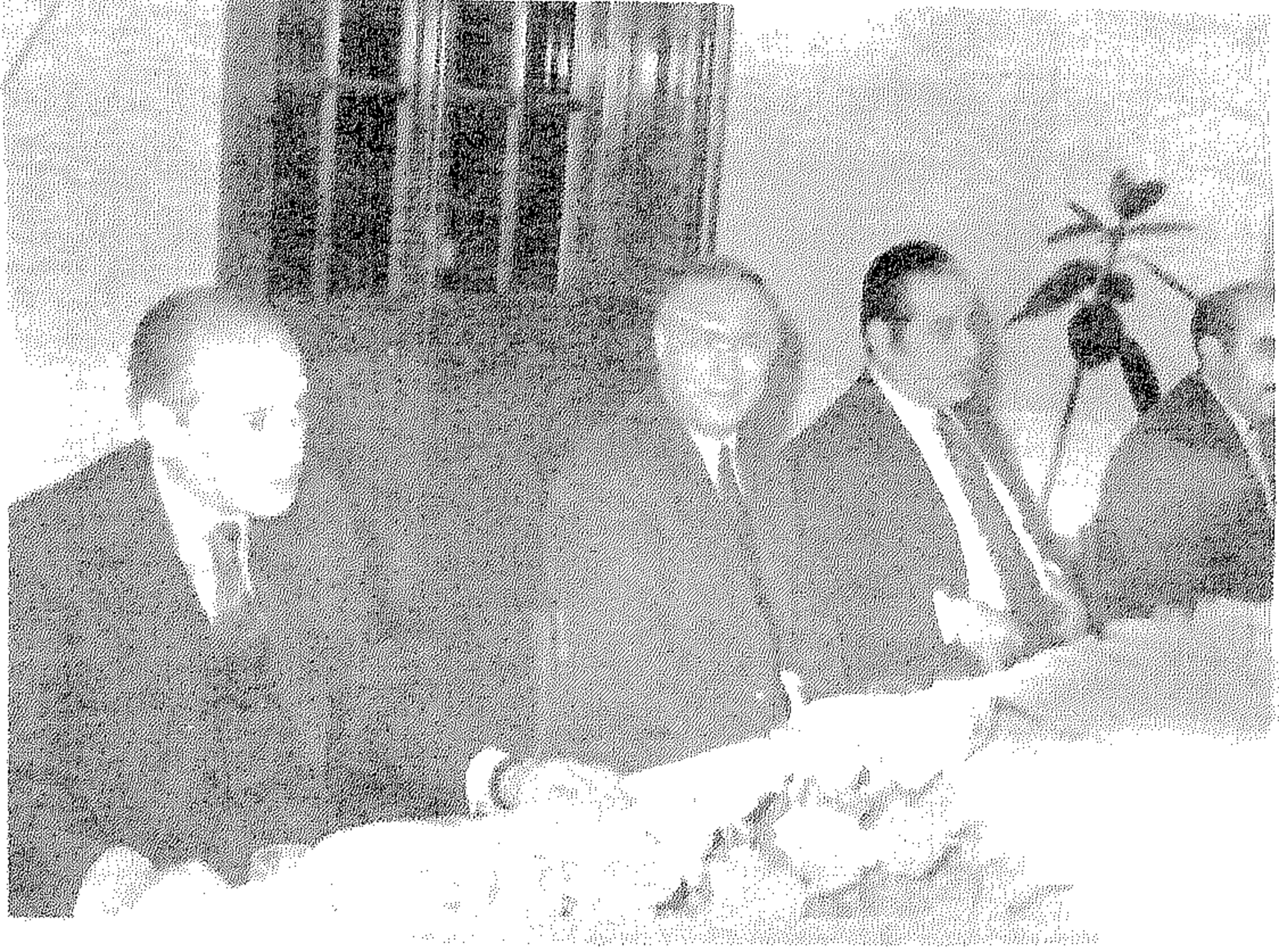
وهل يمكن ان يصدر مثل هذا القول الخطير من مسئول (وزير الدفاع المصرى) وعلاقيه الا اذا كان الكيل قد طفق من اغفال السادات لاراء ومواقف ومشورة مستشاريه وقبوله . بتنازلات على غير رأى مستشاريه .

واذا كان السفير الامريكى هيرمان ايلتس . والذى اشترك فى كل مراحل مفاوضات السلام قد قال فى احد أحاديثه ان السادات لم يكن يستمع لاراء مستشاريه . وقال محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية فى كتابه « السلام الضائع » ان السادات لم يكن يقرأ او يستمع لما يكتبه او يقوله مسئولوا الدبلوماسية المصرية ويتخذ قراره مستوحيا من مصادر اخرى وقال كمال حسن على وزير الدفاع فى ذلك الحين على حد قول موسى صبرى ، نفس القول او مايمثله فهل هى سقطة لسان من موسى صبرى ام انه لم يرد ان يؤكد - كدأبه - على أن السادات هو وحده بطل الحرب والسلام وغيره اصفار على اليسار .. هو وحده الاسطورة .. وغيره مجرد اشباح وهياكل ... ولعل هذا هو ما سيكشف عنه فى إلياذته الجديدة « السادات الحقيقية

والاسطورة « .

وسواء كان هذا او ذاك فماذا كان اذن من امر المؤسسات في عهد
السادات عهد « دولة المؤسسات » .. ؟ !





في حفل توديع جمعية الصداقة للسفير السوفيتي

الفصل الثالث عشر

السادات يكلفني برئاسة جمعية
الصداقة المصرية السوفيتية

اذكر في النصف الثاني من عام ١٩٧٢ وكنت نائبا لرئيس الوزراء ، ان تقابلت مع حافظ اسماعيل وكان مستشارا لسلامن القومى للسادات ، فى احدى الحفلات فى قصر عابدين ، فقال لى ان السادات يريدك ان تتولى رئاسة جمعية الصداقة المصرية السوفيتية بدلا من صدقى سليمان .

قلت له اننى اريد تكليفا رسميا من السادات بذلك . (وكانت كل خطوة من خطوات السادات فى ذلك الحين أصبحت مثار الشك فى نفسى) . قال : يمكنك ان تقابله .

ومضت أيام وطلبنى السادات لحضور اجتماع اللجنة الدائمة لمجلس الشعب ، عقده فى استراحة القناطر ، لم اكن عضوا فى هذه اللجنة ، ولكن السادات كدأبه منذ أن اخرجنى من الاتحاد الاشتراكى ، تفادى المواجهة معى شخصيا ، كانت المواجهة تعنى ان اسأل عن تصرفاته العامة والخاصة وان استفسر عن مبرراته لهذه التصرفات ، ولم يكن السادات يزاغب ولا قادر على ابداء هذه المبررات .

قابلت السادات وهو فى طريقه الى حضور الاجتماع ، وكان معه حافظ اسماعيل وفوزى عبد الحافظ وآخرين ، قال إن السوفيت يطلبون منى ، فى كل زيارة ، تنشيط أعمال جمعية الصداقة المصرية السوفيتية ، وقد رأيت ان اكلفك برئاستها ، وسيكون التمويل من رئاسة الجمهورية (وارسل لى شيكا اوليا بمبلغ ٥٠٠٠ خمسة آلاف جنيه) .

واتصالا بحديثه قال اننا فى مشاكل مستمرة مع الروس ، ويمكن

لهذه الجمعية ان تلعب دورا مطلقا ، وان تبقى على خيط العلاقات المصرية السوفيتية .

واذا كنت قد قبلت رئاسة هذه الجمعية فلم اقبلها ارضاء للسادات ولكن ارضاء لقناعة في نفسى باننا نستطيع دائما ان نستفيد من صداقة السوفيت ، ومازلت الى اليوم على هذه القناعة . ومن المفارقات الغربية ان علاقتى بالسوفيت بدأت مع السادات نفسه ، وقبل ان يصبح رئيسا للجمهورية ، قال السادات اكثر من مرة ان عبد الناصر قد عهد اليه بعد هزيمة ١٩٦٧ بالاتصال بالسوفيت ، ومن هنا فقد اتهمته المخابرات الامريكية بانه عميل للسوفيت .

وما ادعاه السادات ان عبد الناصر قد عهد اليه بالاتصال بالسوفيت بعد هزيمة ١٩٦٧ ليس صحيحا فهو الذى عرض على عبد الناصر ان يعقد اجتماعات دورية مع السفير السوفيتى ، ليدفع الامور الى الامام لمعرفته - كما ادعى - بطبيعة واسلوب التعامل مع السوفيت ، ولم يمانع عبد الناصر .

وقد طلب منى السادات فى ذلك الحين - وكنت امينا لمجلس الامة ومقررا للجنة السياسية فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى - طلب منى ان احضر معه هذه الاجتماعات وان اعد له تلخيصا لما يجرى فى هذه الاجتماعات ليرفعه الى عبد الناصر .

ومازلت اذكر اول اجتماع فقد جاء السفير (واذكر اسمه كان بودياجسيف) ومعه مترجمة وكان منفعلا الى اقصى حدود الانفعال ، حتى صعب على المترجم ان يتابع انفعالاته ، .. فقد كانت الهزيمة كبيرة ، وكان حجمها اكبر من كل توقع ، وانثقلت كل الاسلحة السوفيتية ، بكل اسرارها وتعقيداتها ، الى امريكا ليكتشف اسرارها الكمبيوتر الامريكى ، وكان على السوفيت ان يعدلوا ويبدلوا فى خطوط انتاج هذه الاسلحة وفى هذا تكلفة مادية وفنية باهظة .

وكان السفير يعبر عن انفعاله الشديد بكل ملامح وجهه ويديه قائلاً « لو ان كل دبابة وكل مدفع وكل مصفحة وكل طائرة ضربت طلقة واحدة لما حدث ما حدث » .

وكان واضحاً من حديث السفير السوفيتي ان حجم هزيمة ١٩٦٧ كان له تأثيره المعنوي والنفسى على القيادة السوفيتية التى اكتشفت ان البيروقراطية فى القوات المسلحة هى السبب فى انهيارها .

وجرى فى الاجتماع الأول تقييم للهزيمة وابعادها واثارها ، وانتقلنا فى الاجتماعات التالية الى الحديث عن مفاتيح الخروج من الهزيمة .

لم يكن موضوع الاسلحة والتسليح محور هذه الاحاديث الدورية ، فقد كان هناك وعد من السوفيت بتعويض كل ما فقدناه من اسلحة ومعدات — دون مقابل — ، وقد أنشأ السوفيت فى ذلك الحين ما يمكن ان نسميه بالجسر السوفيتي الجوى والبحرى لنقل الاسلحة والمعدات إلى مصر حتى كنا نسمع صوت الطائرات السوفيتية ، وهى تحلق فوق القاهرة ، بمعدل طائرة كل خمس دقائق ، ونحن مجتمعون مع السفير السوفيتي ، وكان السادات نفسه هو الذى يوجه انتباهنا الى صوت الطائرة السوفيتية وكان الجسر السوفيتي الجوى والبحرى يعمل منذ ٩ يونيو ١٩٦٧ مكوناً ٥٥٠ رحلة جوية و ١٥ باخرة نقل بلغت الدفعة الأولى منها ما يقدر بـ ٥٠ ألف طن معدات عسكرية كان قوامها أعداداً كبيرة من طائرات ميغ ١٧ و ٢١ .

ولم يكن لهذه الاجتماعات اى اتصال بالمسائل الحربية والعسكرية فقد اعطاها عبد الناصر كل وقته وجهده ، وتولى بنفسه اعادة بناء القوات المسلحة مع المارشال زخاروف رئيس اركان الجيش السوفيتي ، الذى وصل الى القاهرة مع الرئيس بودجورنى فى نهاية شهر يونيو ١٩٦٧ واستبقاه عبد الناصر فى مصر ليعاونه على

اعادة بناء القوات المسلحة ، وظل في مصر حتى بداية شهر نوفمبر ١٩٦٧ حتى استكملت مصر خطط دفاعها ، وكان عبد الناصر في اجتماعات يومية معه ، ومع الجنرال لاشنكوف رئيس البعثة العسكرية السوفيتية ، التي اوفدت الى مصر لتدريب القوات المسلحة المصرية .

لقد بنى عبد الناصر في ذلك الحين عقيدته على اساس ان الدفاع الوحيد للخروج من الهزيمة هو اعادة بناء القوات المسلحة ، وانه لا سبيل الى تحقيق هذا الهدف الا بمساندة السوفيت وعلى هذا لا بد من اشعار السوفييت أن ما لحق مصر من هزيمة هزيمة لهم ايضا لدفعه ويستمرار على الاستجابة لما تطلبه مصر من اسلحة ومساعدات .

وأذكر في مقابلة مع عبد الناصر ، وكنت مع السادات لنعرض عليه نتائج عدد من المحادثات والتي اجريناها مع السفير السوفيتي ، ان قال عبد الناصر ان على كل مسئول في كل موقع ويمدى قدرته على الاقناع ، ان يضرب على هذا الوتر ، لزيادة ربط السوفيت بمعركتنا . وأنا دائما اقول لاصدقائنا العرب ولشعبنا المصري انه حتى ولو ان الروس بطيئون ، إلا أنهم في النهاية يعطونا ما نريده وهذا هو اهم شيء واتصلا بهذا اذكر اننى استمعت لتحليل سياسى من عبد الناصر في يناير ١٩٦٩ ، وكنت ايضا مع السادات في هذه المقابلة حيث كنا نرافق الكسندر شليبين عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى الذى كان في زيارة للقاهرة في ذلك الحين .

كانت هناك ثوابت تكررت في حديثه :

أولا : ان اسرائيل اداة في يد امريكا لفرض نظام جديد على الشرق الاوسط .

ثانيا : ان اسرائيل هى اداة امريكا ، في اجهاض القوى العربية ، كل عقد من السنين سواء اكانت قوى عسكرية ... أو قوى

اقتصادية ، أوقوى بشرية وحضارية ، وان هذه الاستراتيجية لن تتغير وان تغيرت الوسائل والحيل .

ثالثا : ان هناك تفاهما امريكيا - اسرائيليا على انه لا عودة لحدود ١٩٦٧ .

رابعا : ان هناك تفاهما امريكيا - اسرائيليا على انه لا مهرب للعرب في هذه المرة من المفاوضات المباشرة ، وكل دولة على حدة .
خامسا : ان حل النزاع المصرى الاسرائيلى رهين بحل القضية الفلسطينية ، ولن تحل القضية الا باستراتيجية عربية مشتركة متكاملة ، تعيد التوازن المختل لصالح الأمة العربية وهذا أمر ممكن فى أى حساب استراتيجى .

ومن هنا فانه لزلزلة هذه الثوابت لابد من ان تكون مصر على استعداد لخوض معركة حاسمة وان تعتمد فى استراتيجيتها على حليف استراتيجى ، تواجه به هذا الحلف الاستراتيجى الأمريكى الاسرائيلى .

وكان عبد الناصر يكرر دائما لكل مسئول سوفيتى يزوره ، اننا دائما نريد المزيد من الروس وكان عليهم ألا يشعروا أننا نغفل تقديرنا لما أعطونا .

لقد استطاع عبد الناصر وفى اقصى الظروف ان يقيم نموذجا رائعا للعلاقات المتكافئة بين دول صغيرة - كمصر - واحدى الدولتين العظميين ، دون ان يؤثر ذلك على استقلال مصر ، اوسيادتها ، أو حرية ارادتها .

وفى قمة نمو العلاقات المصرية السوفيتية لم يستطع صوت واحد ، ان يرتفع باتهام مصر بانها خرجت عن دائرة حركة عدم الانحياز ، بل ظلت فى مقدمة هذه الدول ، صوتها مسموع ومركزها فى حركة عدم الانحياز مرموق ، كدولة مؤسسة لحركة عدم الانحياز ، وكدولة ملتزمة بمبادئ هذه الحركة .

واذكر هنا موقفا لعبد الناصر عندما اشتد الخلاف بينه وبين خوروشوف في ١٩٥٩ حول الوحدة بين مصر وسورية ، وبلغ عنف الهجوم بين الاثنين أشده ، وشن كل منهما على الآخر حملة تجاوزت كل المعقول والمقبول في العلاقات الدولية ، كان عبد الناصر في هذه الفترة في زيارة لسورية ، ولما عاد الى مصر استمر في حملته ، وفي نفس الوقت اخذ في استشارة الكثيرين حول مصير العلاقات المصرية السوفيتية .

واستشار عبد الناصر واستمع الى آراء كثيرة حول مصير العلاقات المصرية السوفيتية ، بعد هذه الحرب السياسية التي تبادلها مع خوروشوف ، وانتهى به التفكير الى أنه لابد من انقاذ العلاقات الاقتصادية من خضم هذا الخلاف .

وكلف عبد الناصر سفيرنا في موسكو ان يطلب مقابلة مع خوروشوف ، لمناقشته في مصير العلاقات الاقتصادية ، وذهب السفير وهو يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، وهو يتوجس من هذه المقابلة ، فقد كان خوروشوف سليط اللسان .

ولكن الزيارة انتهت باتفاق كامل بين الجانبين ، على استمرار العلاقات الاقتصادية ، بل واخذ في تنفيذ الاتفاقيات الاقتصادية طريقة المرسوم ...

وكان بقاء العلاقات الاقتصادية واستمرارها ، عاملا هاما ، من العوامل التي ساعدت فيما بعد على عودة العلاقات السياسية الطبيعية بين البلدين .

سمعت هذه القصة من عبد الناصر في حديث مع خوروشوف في أسوان خلال زيارة خوروشوف لمصر عام ١٩٦٤ ، وقد كنت من بين الذين اختارهم عبد الناصر لترتيبات زيارة خوروشوف لمصر ، حيث كنت في ذلك الحين امينا عاما لمجلس الامة ، وكان البرنامج يتضمن زيارة خوروشوف للمجلس والقاء خطاب فيه .

ذكرت السادات بهذه الواقعة في كتاب ارسلته اليه عندما اعلن

عن نيته لالغاء معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية في مارس سنة ١٩٧٦ وكنت عضوا في مجلس الشعب في ذلك الحين ، قلت له ان مايعنينى هو العلاقات الاقتصادية واستمرار التعاون في هذا المجال بين البلدين للمصلحة المشتركة ، وان ما نلاحظه هو اتساع ونمو العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة . وبين الشرق والغرب بوجه عام ، وان الخلافات الايديولوجية تجبها المصالح الاقتصادية ، وابدت هذا الرأى في اللجنة الموسعة في مجلس الشعب التى ناقشت المشروع الذى تقدم به السادات لالغاء المعاهدة ...

وأذكر اننى خرجت في هذا اليوم من اللجنة الموسعة مع اسماعيل فهمى وزير الخارجية في ذلك الحين وانه قال لى : لا أملك الا ان اقول ربنا يسترها ... رغم ما كان لاسماعيل فهمى من مواقف خاصة بالنسبة لعلاقتنا بالاتحاد السوفيتى .

وكان موقفى هذا في مجلس الشعب وغيره من المواقف المعارضة من الموضوعات التى حسبها على السادات ، في الملفات التى فتحها لكل سياسى عارضه في أى موقف أو تصرف من تصرفاته ، والسادات لم يكن يهتمه الوضع الاقتصادى من قريب أو بعيد ، ولكن الذى كان يلح عليه هو الارضاء والاسترضاء والذهاب الى ابعد مما تطلبه أو تلوح به امريكا ، وحرق كل الكبارى مع الاتحاد السوفيتى . لقد تعرفت بجميع القيادات السوفيتية التى زارت مصر في عهد عبد الناصر وكان ذلك عن طريق السادات وكان تعرفى عن هذا الطريق أيضا بفيلا ديمير فونوجرادوف الذى أصبح فيما بعد سفيرا لبلاده في مصر بعد وفاة سلفة سيرجى فوئوجرادوف .

وقد كان فيلا ديمير فوئوجرادوف السفير الجديد نائبا لوزير الخارجية جروميكو ، وكان يتردد بهذه الصفة كثيرا على مصر بوصفه مختصا بالعلاقات المصرية السوفيتية ، كان موضع تقدير عبد الناصر في كثير من المواقف ، بل قد أكون متجاوزا في التقدير اذا

قلت اننى كنت أشعر أن حبه لمصر لا يقل عن حبه لبلاده ...
وخلال ترده على مصر اقام صداقة مع الكثيرين من أعوان
عبد الناصر ، وكان من بينهم هؤلاء الذى اسماهم السادات بمراكز
القوى ، كما كنت واحدا من بين اصدقائه .

وقد استبشرت خيرا بتعيينه سفيرا لبلاده فى مصر ، وكلفنى
السادات أيضا بعد احداث مايو بأن أوثق من علاقاتى معه ، وكنا
نتبادل الزيارات وأنا فى الاتحاد الاشتراكى ثم بعد أن عيننى
السادات نائبا لرئيس الوزراء فى النصف الثانى من يناير ١٩٧٢ ،
ليخلى مكانى لسيد مرعى فى الاتحاد الاشتراكى كبداية لنهاية
الاتحاد الاشتراكى .

وفى اطار هذا الفهم ، أدت أعمال جمعية الصداقة المصرية
السوفيتية بكل الحذر وبكل التوجس من السادات ، وشاركنى فى
ذلك مجلس ادارة هذه الجمعية ، نخبة من رجالات مصر ، الذين
عملوا مع السوفيت فى المشروعات المشتركة ، فى مختلف
المجالات ، ولا حاجة لأن أدخل فى تفاصيل نشاط الجمعية فقد
كانت كل حركة فى هذه الجمعية تجرى بعلم رئاسة الجمهورية
وموافقتها أو بعلم الاتحاد الاشتراكى وموافقه الا ان هناك واقعة
جديرة بأن تذكر ، فقد كانت من الأسباب التى زادت من سخط
السادات على وعلى جمعية الصداقة .

فبعد حرب اكتوبر وبعد ان تكشفت واتضحت توجهات السادات
الى امريكا ، قررت القيادة السوفيتية نقل سفيرها فيلاديمير
فوتوجرادوف من القاهرة رئيسا لوفدها الدائم فى مقر الأمم
المتحدة ، فى جنيف ، وكان ذلك ايضا استعدادا منها للمشاركة فى
اعمال مؤتمر جنيف ، الذى كان من المقرر عقده لتسوية النزاع
العربى الاسرائيلى ، والذى تقرر عقده وفقا لقرار مجلس الأمن رقم
٢٨٣ الذى صدر فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، والذى اتضح منذ
أول جلسة من جلساته ، أن السادات عازف عنه ، استجابة

لتوجهات امريكا ، في الانفراد بالحل واستبعاد مشاركة السوفيت في اى خطوة من خطواته ، وقد حاول السادات ان يغطى عزوفه هذا بافتعال خلافات مع الاطراف العربية ، التى كانت من المفروض اشتراكها في هذا المؤتمر وهكذا اجتمع مؤتمر جنيف في جلسة واحدة لينفض بعد ذلك عقده ، وتتولى بعد ذلك امريكا خطوات الحل وحدها بما يتفق وسياساتها المشتركة مع اسرائيل ...

ونعود الى السفير فوتوجرادوف فقد كان في اجازة وعاد الى القاهرة لينهى بعض اعماله ويودع أصدقاءه وزملاءه ورجال السلك الدبلوماسى والمسؤولين في وزارة الخارجية "مصرية وغيرهم .

ولم يقتصر السادات ، اذلالا للاتحاد السوفيتى ، وتقربا من امريكا ، على رفض مقابلة السفير ، وهو تقليد متعارف عليه في العالم كله ، لم يكتف السادات بهذا الرفض ، بل اصدر اوامره الى وزارة الخارجية بالا تقيم حفل التوديع التقليدى ، الذى تقيمه لآى سفير يتقرر نقله من القاهرة ، وقدم السفير السوفيتى احتجاجا شديد اللهجة الى وزارة الخارجية المصرية .

واقمنا حفلا في جمعية الصداقة لوداع السفير ، حضره الكثيرون ، الذين عبروا عن تقديرهم العميق للمساعدات التى قدمها الاتحاد السوفيتى والتى كان لها اثرها الكبير في حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

وكان دفء الوفاء الذى عبر عنه من اشترك في هذا الحفل ، عوضا عن الاهمال والاغفال الذى لم يكن له مثيلا من قبل - والذى لقيه السفير من وزارة الخارجية بأمر السادات .

لم اكن ادرك ان اقامة مثل هذا الحفل - وهو واجب اجتماعى من واجبات جمعية اجتماعية ، لاعلاقة لها بالسياسة ، تعمل على توطيد العلاقات بين البلدين سيكون سببا في هذه الثورة العارمة التى اصابت السادات ، وفي الهجوم الذى ركزه على شخصى ، وهو ما نقله الى بعض المحيطين بالسادات

واذكر واقعة صغيرة كانت بين الوقائع التي اثارت حفيظة السادات على هذا السفير السوفيتي واتهمه بالتدخل في الشؤون الداخلية لمصر ، فقد عين السادات حافظ اسماعيل مستشارا للامن القومي ، وحدث ان جاء السفير لمقابلته بعد تعيين حافظ اسماعيل فقدمه للسفير بقوله My Kissinger فكان تعليق السفير ولكن كيسنجر يهودى صهيونى ياسيادة الرئيس .

واعتبر السادات ان هذا تدخلا من السفير في شئونه وشئون مصر الداخلية وتعريضا بشخصه .

لقد كانت قناعتى ان تظل الجمعية ، حتى لو جمد نشاطها بسبب الأوضاع السياسية بين البلدين ، وأن يظل هذا الخيط الرفيع يربط بين البلدين ، وان تظل العلاقات الاجتماعية بين الشعبين ، فقد نجد من المصلحة ان ندفعها في المستقبل الى افاق اوسع .

كان مقر الجمعية ... شارع محمد حشمت بالزمالك وهو عبارة عن فيلا يملكها أحد اليهود من الذين وضعت اموالهم تحت الحراسة بعد العدوان الاسرائيلي في ١٩٥٦ وبعد أن رفعت الحراسات عن املاك اليهود ، بذل الثلاثي المعروف بوكالته عن اليهود لاستعادة املاكهم في مصر ، سعد فخرى عبد النور المحامى ، وحرى بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية وهى يهودية ، ومحام مصرى اخر قيل انه على منصور ، بذلوا كل جهد ممكن للاستيلاء على مقر الجمعية ، بمساعدة بعض القوى المصرية المؤثرة وعرضوا على الكثير لأقبل التنازل عن المقر ورفضت كل العروض .

واخيرا استطاعوا في صيف عام ١٩٨٠ - بحيل قانونية - ان يصدروا حكما باخلاء مقر الجمعية وان ينفذوا الحكم في ذات اليوم وأن يبدأوا في هدم المبنى ، قبل ان تبت المحاكم في الاشكالات والقضايا التي رفعتها كرئيس لجمعية الصداقة على انور ابوسحلى وزير عدل السادات في ذلك الحين بشخصه وصفته ، ببطلان الحكم

الذى استصدره المنتفعون ، وبطلان الاجراءات التى اتخذوها .
واذا بالسادات فى ثورة الانفعال التى عصفت به وفى قمة الثأر من
معارضيه فى سبتمبر ١٩٨١ - يصدر قرارا بحل جمعية الصداقة
المصرية السوفيتية ، لانها اصبحت وكرا للتأمر عليه ، وهو لا يدرى
ان مقر الجمعية قد هشم وازيل من الوجود ، واصبح اثرا بعد
عين ، قبل ذلك بأكثر من عام .

هذه قصة جمعية الصداقة المصرية السوفيتية التى انشأها
عبد الناصر فى ١٩٦٩ وهدمها سماسرة المليونيرات اليهود فى مصر ،
وحصلوا على عمولة تقارب المليون جنيه من بيع ارضها فى ١٩٨٠ ،
ولحققتها لعنة السادات فى سبتمبر ١٩٨١ بقرار حلها ...

لم اواجه باى مأخذ على نشاطها من اى جهة من جهات التحقيق
السياسى او الجنائى ، التزمعتصرتنى عصرا ، والتى استنطقتنى
عن تاريخى السياسى خطوة بخطوة وواقعه بواقعة ، حتى لم يبق الا
سؤال واحد لم يوجه الى ، وهو لماذا ولدت وكيف ولدت ؟ ..

ومازلت على قناعتى ان طريق مصر هو طريق التحرر الوطنى ،
وان مكان مصر هو فى معسكر دول عدم الانحياز ، وان سياسة
الانحياز بالكامل الى امريكا لا يمكن ان تقودنا سوى الى التبعية
والتخلف ، واننا يجب أن نقيم علاقاتنا بالقوتين العظميين على
أساس من الاحترام المتبادل ، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية ،
واستقلال ارادتنا فى القرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى .

□□□

شرف ملاحقته الذى اعتز به

وبعد فقد اقتصرت فى كتابى على الفترة التى تعاونت فيها مع السادات ، ولم أشأ أن اتعرض لمعارضتى الصلبة له فى مجلس الشعب وأنا عضوفيه حتى ١٩٧٦ ، وفى مختلف التجمعات الشعبية وال جماهيرية ، وكان كتابى الذى منع السادات تداوله بضبطه فى اغسطس سنة ١٩٨٠ « مصر الى اين ؟ علقما مرا فى حلق السادات ، لأنه كشف عن الواقع الجديد الذى أحله السادات محل الشرعية الدستورية ، وعن العدوان المستمر على احكام الدستور نصا وروحا ، وقد استمرت معارضتى له حتى لحظة أن زج بى فى سجنه فى ٣ سبتمبر ١٩٨١ ، وحتى لحظة حادث المنصة ا بى فى ٦ اكتوبر سنة ١٩٨١ ، ومازلت إلى اليوم أرفض كل سياسات السادات الخارجية والداخلية وأعتبر أنه تسبب فى ردة فى مصر وفى الامة العربية ، ستقتضينا أجيالا لتجاوزها .

وقد التزمت الا اخوض فى هذا الكتاب المسائل الشخصية أو الخاصة ، ولدى من وقائعها الكثير ، ورغم ارتباط الخاص بالعام وانعكاس هذا الخاص على العام ، فان الخصومة لا يمكن ان تنزل بالانسان الى اقتحام حياه انسان آخر ، فى أدق خصوصياته كما فعل معى السادات ...

ولعلى أجنب فى هذا الكتاب ، دون أن أعرض لمعارضتى العلنية لمجمل سياسات السادات للسؤال لماذا اتهمنى السادات بالعمالة ، ولماذا حاول جاهدا أن يلصق بى التهمة ، مقتحما حياتى الخاصة بأجهزة التصنت والاستماع والتصوير لمدة ثلاث سنوات ، ولعلى أجنب أيضا على السؤال لماذا اعتبر محاولة السادات هذه ،



مع عبد الناصر

الدائبة والفاشلة ، شرفا اعتزبه ، فكل وطنى عند السادات عميل لهذه الدولة أو تلك ، عربية أو غير عربية ، وكل معارضة فى أى اتجاه أيا كان الاتجاه عمالة .

ان اية تهمة ادعاها السادات على ، وأية اباطيل نسجها حولى ، اعتبرها وسام شرف تقلدته وسأفخر به مابقى لى من سنين أو أيام . على انه لابد من كلمة اخيرة عن هذا الاتهام الكاذب المزيف الذى نسجه السادات كنسيج العنكبوت حولى . لقد كلف السادات جهاز الامن القومى ان ينسج هذا النسيج المتهالك وعندما طلب الى جهاز الامن القومى بعد ان قبض على فى حملته الارهابية فى سبتمبر ١٩٨١ - ان يتقدم الى النيابة العامة والى المدعى العام الاشتراكى بعناصر الاتهام ضدى فى جريمة تخاير مع السوفيت ومع منظمة التحرير الفلسطينية ودول الرفض أبى شرف رئيس الجهاز أن يشترك فى نسج اتهامات باطلة ملفقة فنحاه السادات عن مركزه ليجد



مع خالد محيي الدين

من ينسج ما سمته صحافة السادات الصفراء واجهزة اعلامه العميله بقضية أو مؤامرة « التفاحه العطنه » أو « المستنقع » ليدفع بي وبغيزي الى مشنقته وشاء الله ان يمضى السادات وان يتداعى نسيج العنكبوت وأن تسقط النيابة الاتهام بالعمالة وأن يبقى الاتهام الموجه اليه قائما حتى الآن في حياته وبعد أن ذهب مع حادث المنصة .

قال السادات انه لم يخف يوما بل يتباهى دوما بأنه عمل جاسوسا لألمانيا النازية وسجل اعترافه تفصيلا في مذكراته وأحاديثه وفي كتابه (البحث عن الذات) .

ثم تخرج علينا صحيفة الهيرالد تريبيون الأمريكية في ٢٥ فبراير ١٩٧٧ بمقال تحت عنوان « مدفوعات وكالة المخابرات لقادة الشرق الأوسط استثمار مربح » .

ويتحدث المقال عن ملايين الدولارات ... في صورة عمولات



مع سريمافو باندرا نايسة

دفعتها الاحتكارات الأمريكية لقادة ورجال اعمال عرب
ويمضى المقال فيقول : ان المخابرات الامريكية كانت تقوم بهذه
المهمة من خلال وسطاء من ابرزهم كمال ادهم مسئول جهاز الامن
السعودى الذى تجاوز نفوذه وتأثير حدود بلاده ، كان كمال ادهم
وثيق الصلة بكل من الاسرة الحاكمة السعودية وبالرئيس المصرى
انور السادات فبينما كان سلف السادات ، جمال عبدالناصر ،
يحاول الاطاحة بالنظام المحافظ فى السعوديه فى الستينيات إلتقط
السيد ادهم بعناية السادات الذى كان يومها نائبا لرئيس
الجمهورية .

وكان ادهم يزود السادات بدخل خاص ثابت وفقا لما قرره
مسئول رفض ان يدلى بتفاصيل. ونشر هذا تحت سمع وبصر البيت
الأبيض والبنтажون ووكالة المخابرات الأمريكية والسفارة المصرية
ومع ذلك لم يصدر أى تكذيب ولم ينشر أى تصحيح ، ولم يصدر أى

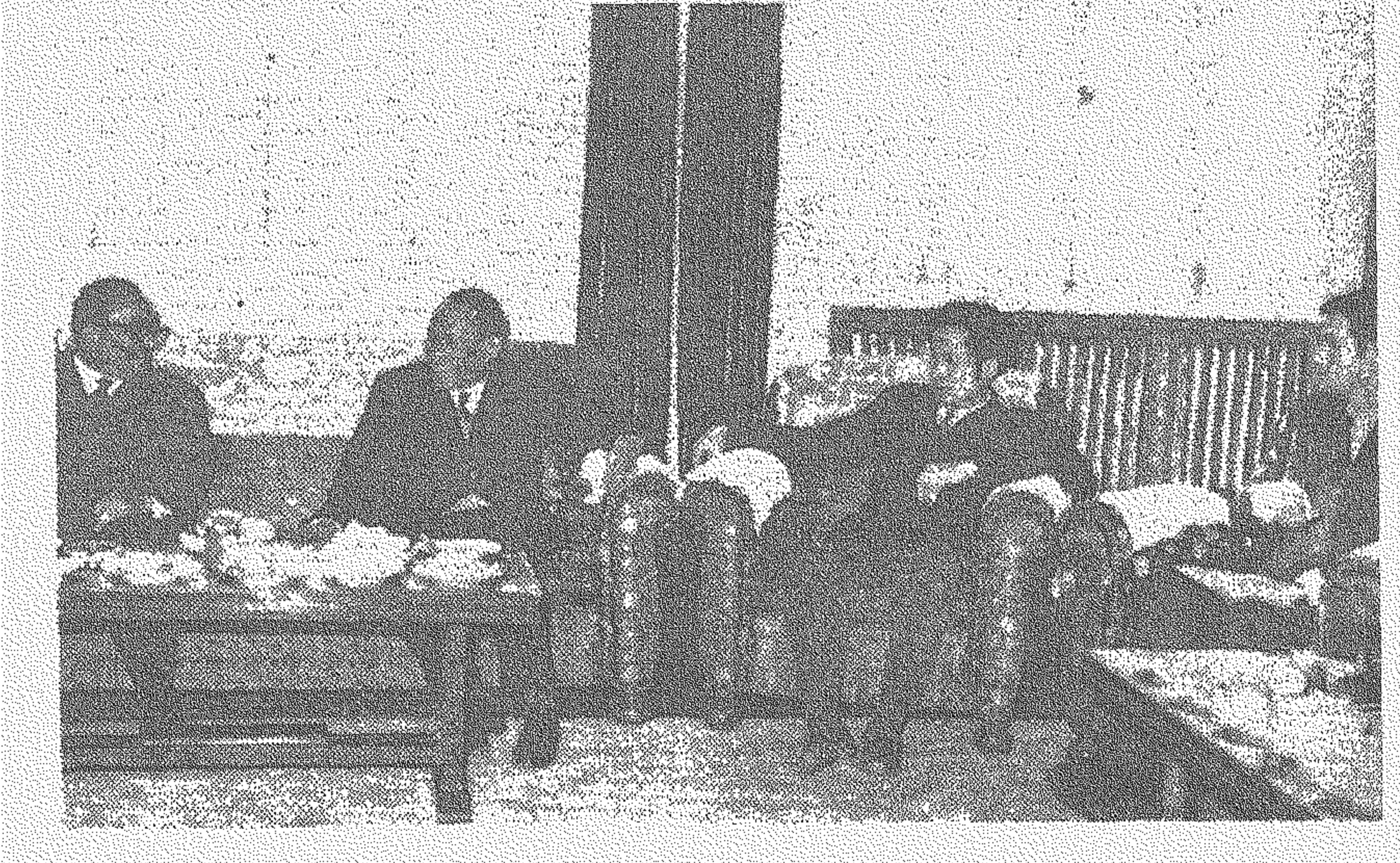


مع كيم ايل سونج

احتجاج أوتكذيب من أى طرف من الأطراف الثلاثة ، اليد التى تدفع أو اليد التى تتلقى أو الوسيط بين هذا وذاك ...

وأشهد الله اننى فى فترة تعاونى مع السادات رأيت ان اوجه له النصيحة التى تنطوى على صالح بلدى ، وكل نصيحة اعتبرها السادات عمالة ، وكل اختلاف مخطط ومؤامرة ، ما من أحد أسدى له نصيحة خالصة ، الا وحاول ان ينهى عليه بالفعل ، وما من أحد اختلف معه الا وحمل له كراهية التحريم ، ورغبة التشفى والانتقام .

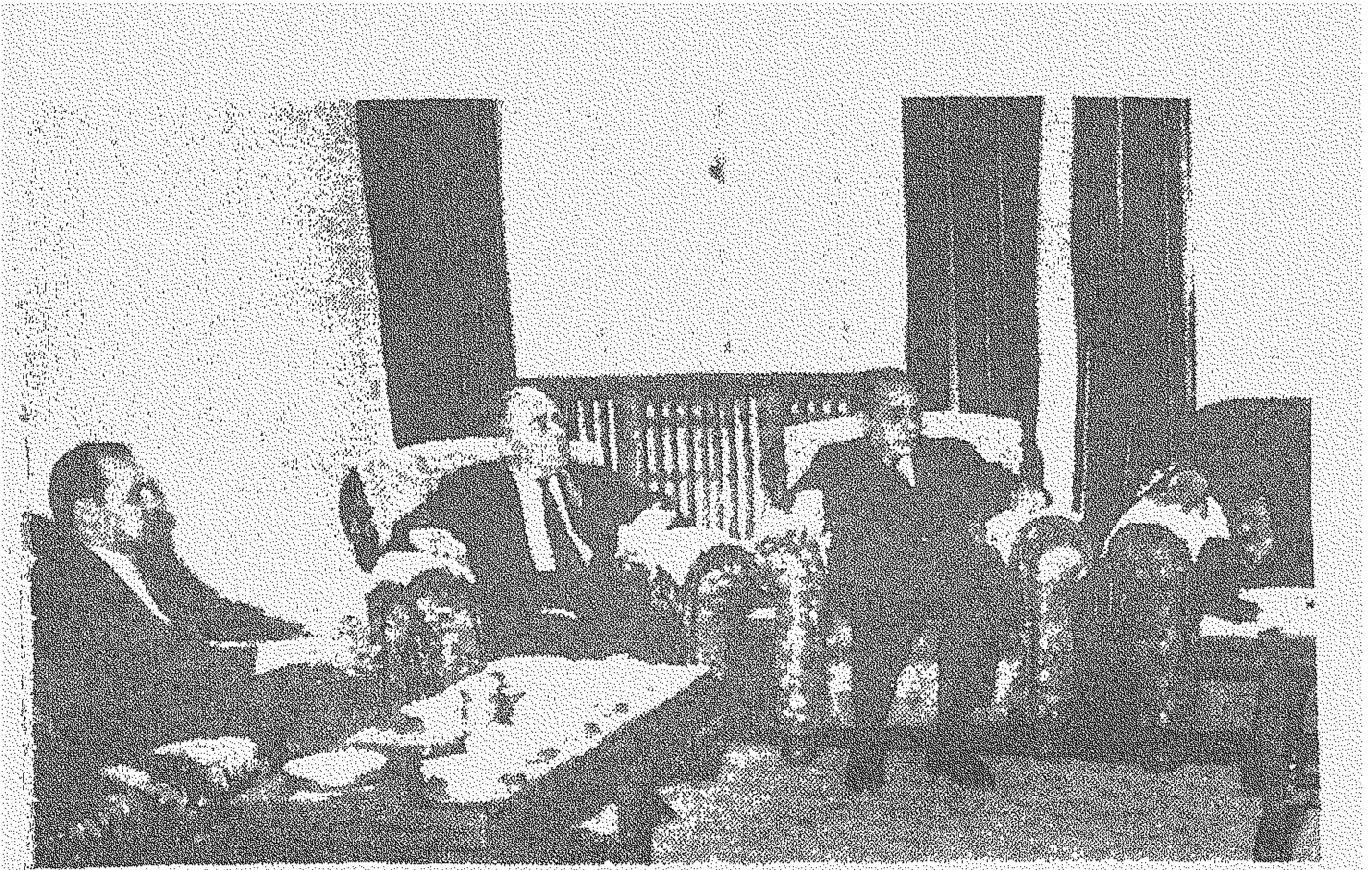
وقد اختلفت وعارضت ويشرفنى اننى فعلت ، ولولم اكن فعلت هذا فى حياة السادات لشعرت اليوم بجرمى الكبير ، ولو عاش ليلف حبل المشنقة على رقبتى ، الامر الذى ردد إصراره على تنفيذه ، لسرت قرير العين الى حبل المشنقة ، فما من راحة اعز من راحة الانسان ، الذى ارضى ضميره ، وعمل لصالح الشعب والأمة التى يتشرف بالانتماء اليها .



مع الوفد البرلماني المصري في زيارة الصين

فالنضال في سبيل المستقبل واجب ، والوقوف ضد الطغاة واجب ، وكلمة الحق واجب ان يقولها الانسان ، وليكن بعد ذلك ما يكون .
فان كتمان كلمة الحق ، أوحجبها عن الناس ، لا يقل اثما عما وصفه الرسول الكريم في حديثه الشريف « الساكت عن الحق شيطان أخرس » .





مع الدكتور محمود فوزى والدكتور فؤاد مرسى

الفهرس

- من المحرر : ثلاثة أحجار صغيرة في بحيرة راكدة — صلاح عيسى ٤
— قناع السادات وحقيقة الزيات بقلم : د . فؤاد مرسى ١١
— افتتاحية : هذه الخواطر حول صديق زائف ٢٩

- القسم الأول : السادات كما عرفته قبل رئاسته [ص ٣٩ — ص ١٠٤]
الفصل الأول : السادات وكيلا لمجلس الأمة ٤١
الفصل الثاني : السادات ومسئوليات الرئاسة في مجلس الأمة ٤٩
الفصل الثالث : السادات يهرب من مواجهة عامر وعلى صبرى ٥٩
الفصل الرابع : عبدالناصر يتنازل والسادات يعد غرفة العمليات ٦٧
الفصل الخامس : العلاقة بين عبدالناصر والسادات ٧٢
الفصل السادس : لماذا اختار عبدالناصر السادات نائبا ؟ ٨٣
الفصل السابع : الشيك المشبوه .. والكرسى الهزاز ٨٩

القسم الثانى : صراع القوى بعد ولاية السادات [ص ١٠٥ — ص ١٤٨]

- الفصل الأول : ولاية السادات وتعيينى وزيرا ١٠٧
الفصل الثانى : الاتحاد مع ليبيا وسوريا وتحول الدفة نحو أمريكا ١١٥
الفصل الثالث : الاتحاد وبداية الصراع ١٢١
الفصل الرابع : اقالة على صبرى وافتعال الصدام مع السوفييت ١٢٩

■
الفصل الخامس : تفجر الصراع .. وانقلاب ١٥ مايو
١٣٧.....

القسم الثالث : مع السادات بعد ١٥ مايو [١٤٩ - ٣٤٤]

الفصل الأول : بيان ١٠ يونيو ١٩٧١ : المحاولة الأولى لوقف
الردة ص ١٥١
الفصل الثاني : السادات يتنكر لبرنامج العمل الوطني .. ص ١٦٧
الفصل الثالث : الظاهر والباطن ص ١٧٩
الفصل الرابع : اتحاد عمال مصر وجماعات ألد في السودان
ص ٢٠١

الفصل الخامس : بداية التفكير في اللجوء لاسرائيل ص ٢١٥
الفصل السادس : الدستور الدائم وحقيقة ديمقراطية
السادات ص ٢٢٣
الفصل السابع : السادات يوفدني الى موسكو ص ٢٤٧
الفصل الثامن : السادات يمهد لزيارة موسكو ص ٢٥٧
الفصل التاسع : المزاج الدموي وقضية مراكز القوى .. ص ٢٦٩
الفصل العاشر : الشباب بين الحوار والعنف ص ٢٨٥
الفصل الحادي عشر : عام الاحسب والاسلم وقضية الشباب
ص ٣٠٣

الفصل الثاني عشر : بيان الشباب وإبعادى من الاتحاد
الاشتراكي ص ٣٢١
الفصل الثالث عشر : السادات يكلفني برئاسة جمعية الصداقة
مع السوفييت ص ٣٣٣
خاتمة : شرف ملاحقته الذي اعتز به ص ٣٤٥

٨ فريق من المتخصصين في السياسة الدولية : محاكمة ريجان
- مختارات من الابحاث التي قدمها فريق من المتخصصين في الشؤون الدولية ينتمون
لجنسيات شتى ، الى محاكمة ادارتها منظمة التقدم العالمى ، حول جرائم عهد
ريجان ، الذى مولت الحكومة الامريكية في عهده ادوات الارهاب الدولى في الشرق
الاوسط وامريكا الوسطى وجنوب شرق اسيا .

ترجمها وقدم لها « بيومى قنديل » وراجعها وعلق عليه « محمد
سيد احمد »
(٢٤٤ صفحة - صدر في اكتوبر ١٩٨٥ - الثمن جنيه واحد)

٩ د . سعيد اسماعيل على : انهم يخربون التعليم
- يستكمل المؤلف في هذا الكتاب دراسة عدد اخر من مشكلات التعليم في مصر التي
ناقش بعضها في كتابه « محنة التعليم في مصر » من خلال نظرة مجتمعية تربط التعليم
عضويا بالبنية الاساسية للمجتمع .
(٢٦٨ صفحة - صدر في يناير ١٩٨٦ - الثمن جنيه واحد)

١٠ - ثلاثة مؤلفين اسرائيليين : حدث في كامب ديفيد
- يروى هذا الكتاب القصة السرية لمبادرة السلام الساداتية على لسان ثلاثة من
الصحفيين الاسرائيليين الذين اتيح لهم ان يطلعوا على كثير من اسرار ماجرى بين
السادات ومعاونه ، وبين الطرفين الامريكى والاسرائيلى في مفاوضات كامب ديفيد :
- والمؤلفون الثلاثة هم « ايتان هابر » - المراسل العسكرى لصحيفة « يديعوت
احرانوت » و « زيف شيف » - المحلل العسكرى لصحيفة « هاروتس » و « ايهود
يعارى » - رئيس الشؤون العربية في التليفزيون الاسرائيلى ، وقد وثق مترجم الكتاب
« ابراهيم منصور » الرواية الاسرائيلية فقارنها بما كتبه اثنان من وزراء خارجية مصر
هما « اسماعيل فهمى » و « محمد ابراهيم كامل » .. و٣ مسئولين امريكيين هم
« جيمى كارتر » و « وليام كوانت » و « بريز نسكى » ومسئولان اسرائيليان هما
« موسى ديان » و « ايزر فايتسمان »
(٧٥٢ صفحة - صدر في يوليو ١٩٨٦ - نفذ)

١١ - **لطفي الخولي : مدرسة السادات السياسية واليسار المصري** .
- توصيف وتحليل للخلاف الجذري بين رؤية السادات السياسية ورؤي فصائل اليسار المصري ، للقضايا الرئيسية التي تتعلق بمستقبل الشعب والوطن والامة .
يستند الكتاب الى مجموعة لقاءات جمعت بين المؤلف والسادات خلال العام ١٩٧٤ وماقبله ، وهو يعتبر نبؤه مبكرة لما آل اليه حال السادات وانتهى بفاجعة المنصة .
(٢٢٠ صفحة - صدر في نوفمبر ١٩٨٦ - نفذ)

١٢ - **محمد ابراهيم كامل : السلام الضائع في كامب ديفيد**
- اخطر المذكرات السياسية التي صدرت في التاريخ العربي المعاصر وتكشف جانبا هاما من اسرار المفاوضات التي انتهت بتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد ، وادت الى خروج مصر من المواجهة مع العدو الصهيوني .
- وتكمن قيمة هذه المذكرات في ان صاحبها كان في المكان الذي يتيح له ان يعرف جوانب من الطريقة التي ادار بها السادات المفاوضات مع الطرفين الامريكي والاسرائيلي . مما دفعه للاستقالة من منصبه كوزير للخارجية المصرية بعد تسعة شهور فقط . قدم للطبعة انصرية فتحي رضوان .
(٦٦٤ صفحة - صدر في يناير ١٩٨٧ - الثمن خمسة جنيهات)

١٣ - **بهجت : حكومة واهالي وخلافه**
- مختارات من رسوم الكاريكاتير التي ينشرها على صفحات الاهالي فنان الكاريكاتير المرموق « بهجت » . « لاجت ثنائية » حكومة .. واهالي « الشهيرة .. وهي تتضمن تنويعات ساخرة على هذه الثنائية فتجاوز العلاقة بين السلطة والمواطن ، الى كل العلاقات الانسانية غير المتنافسة .. حيث يفجر « بهجت » عبر تناوله لهذه الثنائيات ضحكات تفصل الروح وتضيء العقل .. قدم لها « صلاح عيسى » بدراسة عن نشء وتطور فن الكاريكاتير في مصر ..
(١٦٠ صفحة - طباعة فاخرة - لونين - صدر في مارس ١٩٨٧ الثمن ٣٥٠)

١٤ - **خليل عبد الكريم : لتطبيق الشريعة لا للحكم**
- يناقش المؤلف - وهو احد كتاب اليسار الاسلامي - في هذا الكتاب التفسير الشائع على السنة المطالبين بتطبيق الشريعة للآيات التي يستندون اليها في هذه المطالبة ، كما يناقش مطلبهم بتطبيق الحدود الاسلامية فورا ، وفي ظل الظروف الاجتماعية التي تسود المجتمعات الاسلامية الان
(١٢٨ صفحة - صدر في مايو ١٩٨٧ - الثمن ٥٠ قرشا)

١٥ - د . غالى شكرى : الثورة المضادة فى مصر
- تحليل علمى ، ومتابعة دقيقة للجذور الاقتصادية والاجتماعية التى بذرت بذور
الثورة المضادة فى مصر . وادت الى نضوج ثمارها من خلال رؤية تقول ان انقلاب
السادات فى مايو ١٩٧١ كان نتاجا طبيعيا لاختفاء وتشوهات فى الرؤية والممارسة وقعت
فيها الحقبة الناصرية . التى زحفت الثورة المضادة على انجازاتها وسلطتها
(٥٢٦ صفحة - صدر فى سبتمبر ١٩٨٧ - الثمن خمسة جنيها)

١٦ - من كتاب وفنانى « الاهالى » : لهذا نعارض مبارك
- يتضمن هذا الكتاب ٩٤ مقالا وعشرات الرسوم الكاريكاتورية التى نشرت على
صفحات جريدة الاهالى بين مايو ١٩٨٢ و اكتوبر ١٩٨٧ . وتناولت حوارا او اختلافا
او معارضة لممارسات واقوال . كان طرفها الثانى هو الرئيس مبارك . وهو تسجيل
امين لتطور موقف حزب التجمع من ادارة الرئيس مبارك .
(٥١٢ صفحة - صدر فى اكتوبر ١٩٨٧ - الثمن ثلاثة جنيها)

١٧ - كامل زهيرى : النيل فى خطر
صرخة وطنية تحذر من مخطط اسرائيلى يريد تحويل مياه النيل عبر سيناء الى
صحراء النقب ، وتنبيه الى الحلم الصهيونى القديم (١٩٠٢) الذى اصبح مشروعا
جديدا (١٩٨٠) يقدم تفاصيل المشروعات عبر حقائق ووثائق وقد اضاف اليه المؤلف
فى هذه الطبعة وثائق المعركة التى اثارها الكتاب والتى كانت واحدة من كبرى المعارك
بين عامى ١٩٧٩ و ١٩٨٠ دفاعا عن النيل ضد الاطماع الصهيونية
(٢٨٠ صفحة - صدر فى يناير ١٩٨٩ - الثمن ٣ جنيات)

(النسخ المتوفرة من هذه الكتب محدودة وتطلب من مقر « الاهالى » ، ٢٣
شارع عبد الخالق ثروت شقة ١٨ القاهرة ومكتبة مديولى ميدان طلعت
حرب ودار الثقافة الجديدة ٣٢ شارع صبرى ابو علم والمقر المركزى
لحزب التجمع ١ شارع كريم الدولة - المتفرع من ميدان طلعت حرب -
القاهرة)

اقرأ في أول مارس ١٩٨٩

كتاب **الأهالي** رقم ١٩
مارس ١٩٨٩

أزمة النظام الاشتراكي

[ورقة للنقاش]

يطرح الكتاب بعض الأفكار حول مايعتبره الكاتب
أزمة تواجه النماذج الاشتراكية القائمة والأسباب
التي أدت الى بروز تلك الأزمة والشروط الضرورية
لتعديها . بهدف إكتساب الدروس المناسبة التي تفيد
المناضلين العرب من أجل الاشتراكية والتقدم .

د . ابراهيم سعد الدين

— رقم الإيداع : ١٥٩ / ١٩٨٩ —

طبعت بمطابع شركة الأمل للطباعة والنشر

« إخوان مورفيلي سابقا »

عادل الرفاعي وشركاه

تليفون ٣٩٠٤٠٩٦

لم ينل السادات حقه من الدراسة بعد . قد تتولى هذه المهمة الصعبة أجيال قادمة . لكن تظل المسئولية الأولى معلقة برقاب معاصريه الذين لا يبرىء ذمتهم ما صدر حتى الآن من كتابات حول السادات .

ترى هل يكفي كتابان إثنان ، أحدهما كتبه «محمد حسنين هيكل» بعنوان «خريف الغضب» والآخر وضعه أحمد بهاء الدين بعنوان «محاوراتي مع السادات» ؟ وهذا لحسن الحظ هو الكتاب الثالث الذي فزنا به ، كتبه واحد من أقرب الناس إلى السادات خلال فترة حافلة بدأت برئاسة السادات باسم ثورة يوليو لمجلس الأمة وانتهت برئاسة السادات للدولة وانقلابه الشامل على ثورة يوليو .

كان محمد عبد السلام الزيات طوال تلك الفترة في ثورة الأحداث الى جانب السادات . كان المستشار الموثوق برأيه والصديق المؤتمن على أمره . لكن السادات «ضحك عليه» كما ضحك على غيره من قبل : وعندما اكتشف الناس الخديعة متأخرين كان «الزيات» أول المخدوعين . وكانت فجيعة في السادات بقدر ما أخلص له من الود والنصح من قبل . ولولا ذلك ما كتب «الزيات» هذا الكتاب وجعل عنوانه : «السادات .. القناع والحقيقة» .. بل ولولا ذلك ما كان «الزيات» ليكون أول من عارض «السادات» من بين أقرب المسئولين إليه .

خرج «الزيات» عن صمته الطويل بعد أن كان قد ارتضى لنفسه أن يحتجب وراء «السادات» . وانبرى «الزيات» يعارض «السادات» في مجلس الشعب وكاتبا في الصحف وخطيبا في المحافل . ثم انقلب السادات على ثورة يوليو في كتاب بعنوان «مصر الى خروج السادات على الدستور والمشروعية الدستورية» . فأصدر بمصادرة الكتاب وملاحقة الكاتب . وانتهاز أول فرصة تالية ضمن من شملتهم أحداث سبتمبر ١٩٨١ .

وخرج «الزيات» من السجن ليواصل رسالته في المعارف قد عقد التزام على أن يزيح القناع عن وجه السادات نفسه . وهذا الكتاب . فجاء شيئا متميزا .

Bibliotheca Alexandrina



0399709